



دراسة
هاني مندس



الصهيونية في الاتحاد السوفياتي

يفغيني يفسييف

دوره الفكري والسياسي في المواجهة

دراسة

هاني مندس



الناشر: كومبيونشر (للدراسات والإعلام والنشر والتوزيع)
المؤلف: هاني مندس
الطبعة الأولى، ١٩٩١
العنوان: بيروت - سوق الروشة الجديد - بئر حسن - بلوك D 1045
تلفون: ٨٢١٨٦٢ - ٨٣٢٢٦٣ . فاكس: ٨٢١٨٦٢ LE .
ص.ب. ٥٢٨٣ - ١١٣

«الحرب قد تعرف الهدوء، حيث يسكت لبعض الوقت هدير المعارك، أصوات القذائف، ودوي المدافع؛ لكن حرب الأفكار لا تعرف فترات هدوء.. فهي صراع لا تحدّه أرض، وكل فرد فيه محارب، والمعارك مستمرة باستمرار مرور الزمن.

إن المعركة بين القديم والجديد.. معركة حتى الموت، بالرغم من أن الجرح والقتل فيها يصيبان الروح والجسد. وكلما تزايد لجوء العالم القديم إلى الهجمات النفسية في الجبهة الأيديولوجية، قارب الوقت المخصص له في التاريخ على الانتهاء»..

(يفغيني يفسييف)

«إلى ذكرى يفغيني يفسييف..
إلى الفكر المنير،
والشجاعة الملهمة».

هاني

الفصل الأول

يفغيني يفسييف في المواجهة ضد الصهيونية

السيارة «السوداء»!

مساء العاشر من شباط ١٩٩٠ امتدّت يد الغدر الصهيونية واغتالت أحد أبرز الكتاب السوفيات المناوئين لها، حيث قامت سيارة «سوداء» مطفأة الأنوار، كانت تنتظر في الشارع المؤدي إلى منزل يفسييف، عودته إلى منزله، فانطلقت ودهسته، ثم أعادت الكرة ودهسته، مرة أخرى، ولاذت بالفرار. .

وكانت آخر كلمات يفسييف: «قتلوني بسيارة سوداء»، واستغرق في غيبوبة استمرت خمسة أيام في إحدى مستشفيات موسكو، ثم لفظ أنفاسه الأخيرة مساء ١٥ شباط ١٩٩٠.

وأحدث نبأ وفاته ردّة فعل شعبية واسعة، فاحتشد المواطنون أمام مراكز الإعلام ودوائر الأمن، وانهالت الاتصالات التلفونية تستوضح أسباب الوفاة، وقام بعض الصحفيين والكتاب والهيئات، إضافة إلى بعض المواطنين بالتحقيق مباشرة في ظروف الحادثة! فاضطرت إدارة

وزارة الداخلية السوفياتية إلى إصدار بيان، بعد يومين (١٧ شباط)، نشرته صحيفة «موسكو فسكايا برافدا» تحت عنوان: «المأساة.. والشائعات»، ومما جاء فيه «تعلن إدارة الداخلية نتيجة الاتصالات المستمرة للاستفهام عن ظرف مصرع يفغيني يفسييف.. أن حادثة الوفاة قد أثارت الكثير من الشائعات حول مقتل يفسييف، وان هناك الكثير من الصحفيين والعاملين في دور النشر يقومون بالتحقيق في ظروف الحادثة بشكل فردي، وترجو الوزارة بشدّة ممن يقومون بتلك التحقيقات أن يكفّوا عنها، لكي لا يعرقلوا التحقيق الرسمي الذي تتولّاه الوزارة بعناية».

«الصهيونية لن تمر!»

وفي اليوم التالي (١٨ شباط)، وبدعوة من اتحاد القوى الوطنية السوفياتية، الذي يضم كافة القوى والهيئات والتيارات المعادية للصهيونية، جرت تظاهرة حاشدة في منطقة (استانتينا) أمام مبنى التلفزيون المركزي في موسكو، ضمّت حوالي (١٥) ألف شخص، رفع فيها المتظاهرون يافطات كتبوا عليها: «الصهيونية.. لن تمر!»، «قتلة يفسييف سيدفعون الثمن»!، «سنطهّر الإعلام والجيش والأمن والمخابرات من الصهاينة»، ووزع المتظاهرون بياناً دعوا فيه إلى تخليص الاتحاد السوفياتي من براثن النفوذ الصهيوني، وطرد العناصر المعروفة بميولها الصهيونية من وسائل الإعلام المركزية وكافة المجالس والهيئات السوفياتية. ودعا البيان إلى قيام تظاهرة أخرى في (٢٥) شباط ١٩٩٠. وقد ألقى الأكاديمي والمؤرخ المعروف الكسندر رومانينكو (جامعة لينغراد) في المتظاهرين كلمة مؤثرة استهلها بالتساؤل: «نريد **أن نعرف هل الديمقراطية والتعددية للصهاينة، والموت لنا»؟!**

التشييع والإدانة..!!

في ٢٠/٢/١٩٩٠ شيّع جمهور غفير ضم عشرات الآلاف جثمان (يفسييف) إلى مثواه الأخير في إحدى ضواحي موسكو، وتحوّل التشييع إلى مهرجان سياسي ألقى فيه عدد من أصدقائه كلمات تأبينية وسياسية حارة أمام قبره، أشادت بنضاله العنيد الذي جلب عليه سخط وغضب الصهاينة داخل وخارج الاتحاد السوفياتي. وقد حذّر الخطباء من تصاعد النشاط الصهيوني والماسوني مؤخراً في الاتحاد السوفياتي، ومن استغلال الأوساط الصهيونية والرجعية لأجواء البيروبسترويكا والعلنية من أجل تحقيق أهدافها ومشاريعها العنصرية المعادية للاتحاد السوفياتي والبشرية جمعاء. **وحمّل الخطباء الأوساط الصهيونية وأعوانها في الاتحاد السوفياتي المسؤولية الكاملة عن تدبير حادث اغتيال يفسييف** بهدف التخلّص من نشاطه الفكري العلمي والسياسي. وحذروا من أن يكون هذا الحادث الاجرامي الارهابي مقدمة لعمليات اغتيال أخرى ضد الوطنيين والتقدميين السوفيات المعادين للصهيونية. وعاهد جميع الخطباء الشهيد يفسييف على مواصلة طريق النضال حتى الانتصار على الصهيونية.

نعته وكالة «نوفستي» السوفياتية الرسمية في ٢٧/٢/١٩٩٠، ووصفت حادث اغتياله «بالحادث المؤلم»! وكتب عنه صديقه الكاتب (فالنتين تشيمودين) تحت عنوان «في ذكرى يفغيني يفسييف» كلمة جاء فيها: «مُني علم الاستشراق السوفياتي بخسارة فادحة. بفقدان يفسييف (٥٨ عاماً) عالم الاستشراق السوفياتي الشهير والكاتب الاجتماعي والباحث العلمي الأقدم في معهد الفلسفة لدى أكاديمية العلوم السوفياتية والمرشح في العلوم التاريخية ونائب رئيس مجلس الجمعية الروسية ـ الفلسطينية («ورئيس اللجنة الاجتماعية السوفياتية» المناهضة للصهيونية). وكان يفسييف قد كرّس كل جهوده الابداعية لدراسة قضايا

الشرق الأوسط وتحليل وفضح أيديولوجية الصهيونية الدولية وممارستها السياسية. وقسطه كبير، أيضاً، في المضمارين الديبلوماسي والاجتماعي، وذلك من أجل تعزيز وتنمية علاقات الصداقة السوفياتية ـ العربية».

وفي إشارة تلميحية لا تخفى على من تقع مسؤولية قتل يفسييف، أضاف تشيمودين: «إن الصهيونية كحركة سياسية حملت على الدوام طابعاً رجعياً وتوسعياً واضحاً. وهي تتمسك بمفاهيمها العنصرية استناداً إلى قول: «إن الغاية تبرّر الوسيلة».

أما زعماء الصهيونية فإنهم لم يتورعوا، قط، عن جميع الوسائل المشبوهة واللاأخلاقية في سبيل تحقيق غاياتهم. إلّا أن تحركات أنصار الصهيونية العملية تجري، عادة، بشكل خفي عن انتباه الأوساط الاجتماعية، وهنا لا بد أن يتّسم المرء بالشجاعة كي ينفذ إلى أسرارهم التي يسهرون على حراستها بيقظة.

وعلى هذه الخلفية، كان النشاط العلمي والعملي الذي مارسه يفغيني يفسييف هاماً، غنياً، وكبيراً جداً!». علماً، أن ما يميّز مؤلفات هذا العالم هو «قوة الإدانة، وقوة إيمانه بالحق».

فقد قام بفضح أيديولوجية وسياسات وممارسات الصهيونية العدوانية سواء في الاتحاد السوفياتي (وسابقاً، في روسيا القيصرية)، أو على النطاق الدولي، أو تجاه الشعب العربي الفلسطيني ولبنان والأمة العربية. وسلط الأضواء على الحروب العدوانية للكيان الصهيوني معتمداً في ذلك على لغة الوثائق وقوة التحليل.

ويذكر (تشيمودين) أن يفسييف، قبل أسابيع من استشهاده، قام بنشر بحثه العلمي «الجلاد» (أو الطاغية) في كانون الثاني ١٩٩٠ في

مجلة «سوفيتسكي باتريوت». وهي دراسة مخصصة لفضح الصهيوني اليهودي (لازار كاغانوفيتش) الساعد الأيمن وأقرب المقربين لستالين، والذي كان قد «شارك في بث وتنفيذ جميع المهام الخاصة باضطهاد الوطنيين والشيوعيين الثوريين في الاتحاد السوفياتي والمساهمة في طمس الثقافة القومية والآثارات الروسية»[١]. فهذا «الكاردينال المتخفي»، قام عمداً بتحطيم الآثار الحضارية القيمة للشعب الروسي وأوّلها (معبد المسيح المنقذ) الذي يرمز لانتصار الشعب الروسي على نابليون في الحرب الوطنية عام (١٨١٢)[٢]. (هذا، بينما الكتاب الصهاينة يركزون، فقط، على ستالين كشخص ليحملونه وحده كل أخطاء المرحلة السابقة!).

وفي عددها الصادر في ٢٦/٢/١٩٩٠ ذكرت مجلة «روز اليوسف» المصرية، أن مقتل يفسييف في أحد شوارع موسكو كان «عملية اغتيال». وأضافت أنه قبل ثلاثة أسابيع من اغتياله أعلن يفسييف أن «لديه الأدلّة على تورّط المخابرات الصهيونية والأميركية والبريطانية في عمليات التهجير السوفياتية اليهودية إلى الأراضي المحتلة.. وأن الهجرة اليهودية تعني احتلال أراضي شعب يمتلك وحده الحق التاريخي والقانوني.. على أرض فلسطين».

الحملة الصحفية الصهيونية العالمية

وأبرزت «روز اليوسف» أن الصحافة الصهيونية العالمية شنت على يفسييف حملة كبيرة، فذكرت مجلة «شتيرن» الألمانية بأنه «عميل للنازية»، وهدّدته جريدة «الجيروزاليم بوست» الصهيونية «بالاغتيال والتصفية الجسدية»[٣].

والحملة الصهيونية ضد يفسييف وسواه من زملائه المعادين

للصهيونية، كانت تترافق مع كل عمل جديد، أو موقف سياسي يصدر ليفسييف، وتبدأ الحملة في (تل أبيب) وتمر بألمانيا الغربية وموسكو وأمريكا.. فمجلة «دير شبيجل» الالمانية نشرت مقالاً ادّعت فيه أن (يفغيني يفسييف) «اسم مواطن لا وجود له»! وأنه الاسم المتنكّر «لمواطن تشيكي ممّن شاركوا في تعذيب اليهود في معسكرات النازية»! هذا، بينما اتهمته صحيفة «الكومسمولسكايا برافدا» السوفياتية بأنه «قومي شوفيني روسي»، وكذلك «أنباء موسكو» التي كان يفسييف يطلق عليها مازحاً، حسب ما ذكر صديقه الكاتب المصري أحمد خميسي (ابن الكاتب عبد الرحمن خميسي)، انها «أنباء ماسونية.. لا علاقة لها بموسكو أو الشعب الروسي»!. أما صحيفة «مورننغ فراي جايد» الأمريكية الصهيونية، فقد شنت حملة متواصلة ضد يفسييف وكتاباته، وأعربت عن ارتياحها لعزوف الصحافة السوفياتية عن نشر أغلب مقالاته منذ العام ١٩٨٢.. وحيث أخذ يزداد نفوذ وهيمنة العناصر اليهودية ذات الميول الصهيونية على عدد من الصحف الرئيسية ومراكز الإعلام المركزية السوفياتية. والواقع أن اليهود الصهاينة في الاتحاد السوفياتي، استغلوا ظروف العلنية والديمقراطية (وهو ما سيشرحه ويحلّله بعمق يفسييف نفسه بعد قليل)، وشنوا حملة ضارية اتهموا فيها كل معادٍ للصهيونية «بالشوفينية» و«العداء للسامية»، وبالتحضير لمجازر ضد اليهود. نذكر، على سبيل المثال لا الحصر، اتهام الصحفي اليهودي الصهيوني «ألكسندر بوفين» ليفسييف بذلك.. في مقال نشرته صحيفة «الأزفتسيا» السوفياتية، وقبل استشهاده بأسابيع قليلة!

كما نذكر أن وكالة «تاس» وزّعت، قبل اغتيال يفسييف بعشرة أيام بياناً أصدره الجنرال (ديفيد دراغونسكي) اليهودي المتأثر بالأفكار الصهيونية، رئيس ما يسمى «باللجنة السوفياتية لمكافحة الصهيونية»،

اتهم فيه يفسييف «بمعاداة السامية وإثارة الكراهية ضد اليهود»، والاضرار بعمل لجنته! فما كان من يفسييف إلّا أن رفع دعوى قضائية ضد دراغونسكي ووكالة «تاس» معاً، بتهمة «تشويه السمعة»، وطالب بمواجهة صحفية علنية لتحديد من يعمل حقاً لإثارة النعرات العنصرية ومعاداة السامية إلخ.. وقد قبلت المحكمة دعوى يفسييف وحدّدت يوم ٢٢ شباط ١٩٩٠ موعداً للجلسة الأولى.. لكنه استشهد قبل ذلك ببضعة أيام!

لقد عُرف يفسييف بمواقفه المبدئية الشجاعة، وكان في أوائل عام ١٩٨٩ قد رفع دعوى قضائية ضد الحكومة السوفياتية لسماحها بفتح قنصلية للكيان الصهيوني، وهو ما يتناقض مع مبادىء ومواقف السياسة الخارجية السوفياتية المعلنة. لقد كان يفسييف حقاً المدافع الأبرز فكرياً وسياسياً عن المسألة الفلسطينية والصداقة السوفياتية ـ العربية في الاتحاد السوفياتي. وكان أوّل من حذّر، بعد العدوان الصهيوني عام (١٩٦٧)، من مخاطر هجرة ضخمة لليهود السوفيات إلى الكيان الصهيوني، كما كان يدرك ويدرس بعمق مدى تغلغل نفوذ اليهود ذوي الميول الصهيونية في المجتمع السوفياتي. ومن هنا كانت دعوته ومبادرته إلى قيام النشاط المضاد لمكافحة النشاط الصهيوني هناك. وكان يعتبر الصهيونية العدو الأول للاشتراكية كفكر ونظام يسعى إلى تحقيق العدالة والمساواة والاستغلال وإلغاء التمييز والتفوق العرقي.

لقد كتب الكثير من الكتب والدراسات والمقالات، ونظم العديد من الندوات واللقاءات والمهرجانات الخطابية تأييداً للقضية الفلسطينية والقضايا العربية وضد النشاط الصهيوني والهجرة اليهودية.

وكانت له كلمات معروفة ضد هجرة اليهود السوفيات هي: «الرجال من عندنا والسلاح من امريكا، والأرض من عندكم [العرب]»!.

أبـــرز مـؤلفاتـه

(عدا مقالاته ودراساته في المجلات والصحف):

١ ـ الفاشية في ظل النجمة السداسية.
٢ ـ الصهيونية في النظرية والتطبيق.
٣ ـ التخريب الفكري الصهيوني.
٤ ـ الصهيونية في روسيا القيصرية.
٥ ـ الصهيـونيـة في روسيـا من الإصلاح العـظيم ١٨٦١ وحتى البريسترويكا. (وهو كتاب موسوعي كان يسعى يفسييف لطباعته على حسابه الخاص قبل استشهاده).
٦ ـ طبيعة وبناء ونشاط الصهيونية العالمية (رسالة دكتوراه).
٧ ـ صراع الأفكار في العالم المعاصر.
٨ ـ التوسع الفكري والايديولوجي للغرب.
٩ ـ الفلسطينيون شعب لا يُقهر.
١٠ ـ فلسـطين في شراك الصهيـونيـة؟! (كتبـه تحت اسم مستعـار ف. أليسطين، أي «فلسطين» ونشره عام ١٩٨٨).
١١ ـ الصهيونية والعرب (بنفس الاسم المستعار السابق).
١٢ ـ الجلاد (نشره مؤخراً، وهو كتاب وثائقي يتحدث عن جرائم لازار كاغانوفيتش اليهودي الصهيوني المساعد الأيمن لستالين، والذي لا يزال على قيد الحياة في موسكو).
١٣ ـ أعدّ المادة الوثائقية لثلاثة أفلام قصيرة في الاتحاد السوفياتي هي: أ ـ الصهيونية في محكمة التاريخ، ب ـ الفلسطينيون وحق الحياة، جـ ـ شارع الصهيونية.

موقفه ضد الاعتراف بالكيان الصهيوني

كان يفسييف أوّل من أعلن موقفاً ضد اعتراف الاتحاد السوفياتي

بالكيان الصهيوني. وكان ذلك في احتفال تضامني مع الشعب العربي الفلسطيني في موسكو في ١٩٨٧/١٢/٢٤، حيث تحدث باسم العلماء السوفيات في «الجمعية الروسية ـ الفلسطينية»، وقد فاجأ الجميع بجرأة ووضوح كلمته التاريخية ـ السياسية المكتوبة والتي جاء فيها:

«نحن العلماء السوفيات، أقصد نفسي، وزملائي في الجمعية الروسية الفلسطينية الذين ندرس تاريخ فلسطين المعاصر والأحداث.. وقفنا دائماً مع المجتمع السوفياتي بأكمله دفاعاً عن حقوق الشعب العربي الفلسطيني، فقد كنا نحن المواطنين السوفيات ـ وسنظل نقف إلى جانب حركة التحرر العربية.

ولكن لدينا ما نقوله من باب النقد الذاتي في هذا الصدد، فقد كان يُعد، إلى آونة قريبة، أنه ليس للدولة السوفييتية سوء في التقدير في سياستها الخارجية، أو خطوات دبلوماسية غير موفّقة، أو أخطاء. ولكننا، الآن، وقد صرنا في عصر العلنية والديمقراطية، وعصر إزالة «البقع البيضاء»(*)، فإن هذه العلنية لا بد أن تتطرق إلى سياسة الاتحاد السوفياتي في الشرق الأوسط.. وأعني بالتحديد تلك الأحداث التي يعود تاريخها إلى أربعين عاماً، حيث تم القبول بقرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ في ٢٩ نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ عام ١٩٤٧ (قرار التقسيم) وكذلك ما تبع هذا القبول من أحداث في عام ١٩٤٨.. لقد كان ممكناً، فقط في ظروف عبادة الفرد، أن يحدث ما حدث حينذاك، وأعني تحديداً الاعتراف بدولة «إسرائيل»، إن ذلك الاعتراف أمر لا يمكن تبريره، كما أنه يتنافى مع مبادىء الحقوق الدولية المتعارف عليها.. ويتحمل ستالين المسؤولية الكاملة عن تلك الخطوة الدبلوماسية، وما زالوا أحياء الذين يمكنهم أن يؤكدوا أنه لولا أوامر ستالين ما كان لتلك الخطوات أن تتخذ. وليعلم أصدقاؤنا العرب الذين عبّروا عن شكوكهم واستيائهم من

ذلك الموقف أن الشعب السوفياتي الذي هبّ دوماً لمناصرة الضعفاء والمضطهدين ووقف بثبات في صف واحد مع الشعوب العربية دفاعاً عن الاستقلال والحرية لم يكن ليقبل ـ لو أتاحوا له إمكانية الإفصاح عن رأيه ـ أن يحل مشكلة ما على حساب الشعوب العربية. لقد تركت عبادة الفرد أثرها، أيضاً، في السياسة الخارجية، وفعلت فعلها في تدشين مأساة الشعب الفلسطيني ما بعد الحرب العالمية.. (و) يتحمل ستالين كامل المسؤولية عن خرق قرارات الأمم المتحدة بحيث تقبل «اسرائيل» عضواً فيها، دون أية مراعاة للشروط والقواعد التي تتضمنها مواثيق المنظمة. ونؤكد، مرة أخرى، أن فكرة إقامة دولة لليهود وحدهم ـ على حساب الشعب الفلسطيني قد ألقت، بالفعل، ببذور التمييز العنصري.. إن السياسة الصهيونية ـ التي انتهكت وداست حقوق الشعب الفلسطيني ـ ما أن وجدت نقطة ارتكاز لها في فلسطين، حتى شكّلت لها تلك النقطة دفعة طوّرتها في اتجاهها المعروف. وأصبحت مطاردة العرب والعنصرية أبجدية ذلك النظام «الإسرائيلي» الصهيوني، عدو العرب»(٤).

«تقسيم فلسطين قرار خاطىء»

إثر إعلان موقفه ضد الاعتراف السوفياتي بالكيان الصهيوني في نهاية عام ١٩٨٧، أجرت جريدة «الثورة» السورية حديثاً مع يفسييف أكد فيه «أن مسألة التقسيم نفسها لم تكن عادلة. أنت ساكن في شقة ويأتيك شخص غريب ويقتسم معك شقّتك. نفس الأمر حصل مع الفلسطينيين على أرض فلسطين، ولكن بشكل أسوأ».

وذكر أن الدولة الصهيونية قامت على أساس الدعاية الصهيونية، وسيطرة رأس المال، وأجهزة الإعلام اليهودية الصهيونية في الغرب. «وفي تلك الفترة لم يكن المواطنون السوفيات، والروس بشكل خاص،

يعرفون عدد ضحايا الحرب العالمية الثانية، بينما واعجباه؛ كان الجميع يعرفون أن عدد ضحايا اليهود (٦) مليون، من أين جاؤوا بهذا الرقم؟ ولما لم يعرف أحد عدد ضحاياه إلاّ الإعلام اليهودي الذي كان يروج لفكرة أن أكثر من عانى من الفاشية وحربها الظالمة هم اليهود! إن أحداً لا يعرف من أين جاؤوا بهذا الرقم. وفي الاتحاد السوفياتي وفي الغرب كان هناك تعاطف كبير مع اليهود كمضطهدين خلال الحرب، بينما قدّمنا نحن الروس (٢٥) مليون انسان في تلك الحرب!.. وقد وقع ستالين وحكومته تحت تأثير النشاط الإعلامي الصهيوني.. وفي تلك الظروف أخطأ ستالين (باعترافه بالكيان الصهيوني) وواجبي كمؤرخ سوفييتي أن أملأ الصفحات البيضاء في علاقتنا مع أخوتنا وحلفائنا».

وكان هذا التصريح هو الأول من نوعه في الاتحاد السوفياتي. «هناك حقيقة تاريخية لا يجوز السكوت عنها.. من واجبي الرد على الاتهامات الموجهة، وخاصة من قبل القوى الرجعية اليمينية، على أن الاتحاد السوفياتي لم يكن دوماً مبدئياً في سياسته في الشرق الأوسط، إن الناس السوفيات كانوا على الدوام مبدئيين في تعاطفهم وتضامنهم مع العرب، وليس ذنبنا نحن المواطنين السوفيات أن الأمور جرت في هذا المجرى. والخطوة الأولى هي الاعتراف.. بخطأ ارتكب دون إرادتنا».

وأضاف يفسييف أن «طريق الديمقراطية» لا يعني الاعتراف بحقوق الفلسطينيين متساوية مع «حقوق اليهود» في فلسطين. فاليهود أنفسهم لا يعترفون بالمساواة مع «البشر». فهم «شعب الله المختار».. «ونحن بالنسبة لهم لسنا بشراً، بل «غوييم» مثل الحيوانات... كيف يمكن لنا نحن الحمير أن نعيش بالمساواة مع «البشر» (اليهود)!.. لذا، يجب تدمير فكرة اليهودية، أيضاً ككل، والتي أخذها الصهاينة من الديانة اليهودية ووضعوها في صلب سياستهم كشرط.. ومثلما قال

ماركس: «إن تحرير اليهود هو تحرير البشرية جمعاء من اليهودية» (المرادفة للرأسمالية). لقد اتفقنا (يفسييف وجالينا نيكيتينا معاً) على أن رفع شعار القضاء على الصهيونية سيساعد على حل مشكلة الشرق الأوسط ككل»[٥]. (الجدير بالذكر أن حديث يفغيني يفسييف إلى جريدة «الثورة» تم نشر الجزء الأول منه فقط، أما الجزء الثاني فلم ينشر لأسباب دبلوماسية!!)

من أسباب دفاعه عن القضية العربية

يرى يفسييف أن الحركة الصهيونية هي حركة فاشية عنصرية، ليست موجهة فحسب، ضد الشعب العربي الفلسطيني والأمة العربية، بل،أيضاً،«ضد الشعب الروسي» وضد الاشتراكية، وأن لديه القناعة التامة والثقة أن «إسرائيل» كيان غريب صنعته الدول الامبريالية. هذا إضافة إلى قبوله «التحدي المعلن» الذي أعلنته الصهيونية ضده في براغ حيث كان يعمل عام ١٩٦٨ كمندوب وباحث سوفياتي في مجلة«السلم والاشتراكية»، وحيث حصل «على الكثير من المعلومات والوثائق» التي تثبت أن الإدارة الأمريكية، والحركة الصهيونية، كانتا، حسب قوله «وراء محاولة انقلاب «ربيع براغ».. لتخريب وإسقاط النظام الاشتراكي عموماً بدءاً من براغ، وكان معظم الانقلابيين صهاينة». وقد «فوجىء» يفسييف، بينما كان يعد دراسة حول هذا الموضوع، بفقدان أوراقه وتحطيم أشيائه الخاصة في مكتبه.. وهو يقول «كان لذلك أثر في قبولي التحدي المعلن». ويذكر، أيضاً، سبباً آخر وراء وفائه للصداقة العربية - السوفياتية، هو «أنه أثناء زيارة خروشوف للسد العالي في أيار ١٩٦٤ برفقة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، بكيت من الفرحة، عندما شاهدت الجموع الغفيرة من الجماهير العربية تهتف للسوفيات، وتحيي خروشوف مثلما تحيي عبد الناصر. كانت مظاهرة عارمة للصداقة

السوفياتية المصرية والعربية، لن أنسى تلك اللحظة طيلة حياتي، ومنذ تلك اللحظة أقسمت أن أظل وفياً لعلاقتنا مع العرب وقضاياهم. وأود أن أكرّر أن هذا التاريخ لم يكن سبباً لانحيازي، بل كان كما قلت سبباً لتكريس جل نشاطي في الدفاع عن القضية العربية»[٦].

يفسييف والتيار المعادي للصهيونية في الاتحاد السوفياتي

الكاتب يفسييف جزء من تيار واسع معاد للصهيونية، وهذا التيار حسب قوله: «موجود، أساساً، بين المستشرقين الروس الشرفاء، وبطبيعة الحال فإن هناك تياراً آخر مضاداً له».

وأبرز أسماء هذا التيار، كما يذكرهم يفسييف، هم:

١ - المستشرق المرحوم (يوري إيفانوف) صاحب الكتاب المعروف «احذروا الصهيونية» (الذي تم اغتياله شنقاً على أيدي الصهاينة في احدى غابات موسكو عام ١٩٧٨).

٢ - (جالينا نيكيتينا)، صاحبة كتاب «دولة إسرائيل» (الذي جرى تعطيل مناقشته كرسالة دكتوراه لمدة عشر سنوات «لأن موضوع الرسالة كان دولة إسرائيل»، وكانت نيكيتينا هي أول من رفع، فيما بعد، شعار «محو الصهيونية»).

٣ - (فلاديمير بيجون)، في كتابه «غزو بدون سلاح».

٤ - فلاديمير كيسيلوف، في كتابه «القضية الفلسطينية».

٥ - الكسندر رومانينكو، في كتابه «حول الجوهر الطبقي للصهيونية».

٦ - ليف كورنييف، في كتابه «حقيقة الصهيونية الطبقية».

٧ - ليديا مودجريان، كاتبة متخصّصة في دراسة الإرهاب الصهيوني،

وغيرهم العشرات من الكتاب والعلماء والمئات من الصحفيين والشخصيات الأخرى. ويتحدث يفسييف عن أوجه القصور في تلك الأعمال والدراسات، والصعوبات التي كانت تواجهها «لقد وجدنا دائماً من يلومنا، لأننا حين كنا نقوم بعرض جذور المشكلة الفلسطينية، كنا ننتهي إلى نتائج لا تتفق مع المقدمات!.. وقد يكون ذلك صحيحاً بالنسبة لبعض الأعمال والدراسات.. ولكنكم، الآن، تعرفون الظروف التي كنا نحيا فيها في مرحلة الركود وغياب الديمقراطية. أنتم لا تعرفون أية ضجة تصاحب كل كتاب يصدر عندنا حول الصهيونية.. هناك قوة صهيونية منظمة وذات وزن عندنا، وتتحرك هذه القوة للتغرير بالمواطنين اليهود السوفييت، وهم يستخدمون في ذلك اتصالات واسعة وأشكالاً علنية وسرية، ولهم علاقات بالخارج.. فمن يا ترى الذي جعل اليهودي السوفياتي «أناتولي شارانسكي» جاسوساً معادياً لبلاده؟ وحينما خرج «شارانسكي» من السجن، بعد قضاء ثمانية أعوام، سافر إلى الخارج.. وهناك أهدته البنوك والمنظمات الصهيونية ثمانية ملايين دولار.. مليون دولار عن كل سنة في السجن. وإذا أمعنت النظر في مغزى هذه المكافأة، ستجد أنها إشارة للآخرين: خن وطنك ولا تخف.. سوف تلقى المكافأة! هل يجري كل ذلك اعتباطاً؟ كلا.. وهذه القوة الصهيونية المنظمة تستهدف «أولاً، تشغيل العملاء أمثال «شارانسكي» وتجنيدهم للخارج. ثانياً: تهجير العقول اليهودية الكفء في مجالات العلوم. ثالثاً: تخريب العقلية الاشتراكية لصالح النظام الرأسمالي... أتدري على سبيل المثال بكم تقدر خسائرنا بسبب حادثة «تشيرنوبل» وانفجار المفاعل الذري؟ تقدر خسارتنا بحوالي ملياري روبل. ولكن هجرة ٣٠٠ ألف يهودي خلال عشرين سنة كلّفتنا عشرة أضعاف هذا الرقم،

لأنهم كانوا يقومون بتهريب الأيقونات، والتحف الغالية، واللوحات التاريخية، والمعلومات القيمة، والذهب وغير ذلك. وتمثل الهجرة اليهودية أيضاً، بالنسبة لنا، خسارة أدبية ومعنوية هامة، وخسارة عقلية، ذلك لأن الصهيونية التي تخدم الامبريالية، لا تغفر للاتحاد السوفياتي أنه دولة اشتراكية»[٧].

أما **أسباب تزايد النشاط الصهيوني**، وبالتالي النشاط المضاد له في الاتحاد السوفياتي، فيشرح ويحلل ذلك يفسييف بنفسه في مقاله المنشور بجريدة «الوطن» الكويتية، فيذكر أن «نتائج المرحلة الأولى من «إعادة البناء» انعكست بشكل واضح على حياتنا الداخلية»، فظهر «عدد من الروابط الابداعية للمثقفين»، وتزايد نشاط «المنظمات الاجتماعية القديمة»، وجرى تشكيل «عدّة تجمعات غير شكلية مثل «الذاكرة» و«ضد الذاكرة» و«الثقة» وغيرها، حيث أصبحت هي المحاور الأساسية في حياة المجتمع «العلنية»، «وإشاعة الديمقراطية»، و«التسريع».. التي تقوم عليها اتجاهات البناء، ويستخدم هذه المبادىء والشعارات، بشكل واسع، ليس فقط المؤيدون، بل والمعارضون أيضاً». ومن هنا، برأي يفسييف، «انتعشت تحت مظلة هذه الشعارات نشاطات الصهاينة بشكل خاص. وتحوّلت «العلنية»، عملياً، إلى التحرر من الرقابة فقط، و«الديمقراطية» إلى ليبرالية؛ أما «التسريع» فأمسى يعني «بمنطقهم» هجرة ودخول اليهود من وإلى الاتحاد السوفياتي وبدون عراقيل إلى «الأقارب» الذين «اكتُشفوا»، فجأة، خارج الحدود، ويرغبون في «جمع شمل العائلة»! وفي الوقت نفسه، ازداد نشاط الصهاينة خلف الكواليس، الذين عملوا خلال ٧٠ سنة من عمر السلطة السوفياتية على تنظيم العناصر المعادية للاتحاد السوفياتي داخله، وشاركوا في النشاط الهدّام مع أعداء الاشتراكية».

وهكذا يحاول الصهاينة استغلال ظروف «إعادة البناء» بهدف إضفاء «الشرعية على نشاطهم السري، وفي نشر سموم ايديولوجيتهم بين اليهود السوفيات». ويتم «بجهود موحدة» في «داخل وخارج الاتحاد السوفياتي» القيام بأعمال ونشاط للدفاع عن «حقوق الإنسان». (هذا، بينما نسبة اليهود من سكان الاتحاد السوفياتي هي٦٩, ٠٪، أي أقل من ١٪. وهم المقصودون «بحقوق الإنسان»).

وقد تكثف النشاط الصهيوني من الخارج والموجه إلى الاتحاد السوفياتي، فخلال عام ١٩٨٧ وصل إلى موسكو زعيما الصهيونية العالمية، رئيس المؤتمر اليهودي العالمي ادغار برونغمان، ورئيس المؤتمر الوطني الأمريكي «للدفاع عن اليهود السوفيات» إبراهام موريس، حيث «طرحا مطالب الصهاينة أمام الدولة السوفياتية والتي انعكست، مثلاً، في السماح بدراسة اللغة العبرية بشكل علني، وهي كما معلوم، اللغة الرسمية «لإسرائيل»، ولغة الوثائق الرسمية للمنظمة الصهيونية العالمية، وأخيراً هي لغة الطقوس الدينية لليهود في الاتحاد السوفياتي». وهناك اتصالات «علنية» بين الهيئات الدينية اليهودية في الاتحاد السوفياتي والهيئات الدينية اليهودية «الأجنبية» التي تهيمن عليها المنظمة الصهيونية العالمية!

وبهذه «الأشكال» وغيرها، يرى يفسييف، أن الصهاينة «يتسللون رسمياً، بين يهود الاتحاد السوفياتي المتدينين»، وتمنح الشرعية «لمطالبهم». وهم يحاولون الوصول إلى أهدافهم «تحت أعلام الدول الغربية الكبرى مستخدمين في ذلك سعي القيادة السوفياتية لتطبيع العلاقات مع الدول الرأسمالية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية».

وبحكم تزايد النشاط الصهيوني المباشر الموجه من الخارج إلى

الاتحاد السوفياتي، وبرعاية ودعم من الدول الغربية، بدأ ينتشر في الاتحاد السوفياتي مناخ «مناهضة القوى الوطنية الحقة للشعب الروسي» المعادية للصهيونية، والتي تؤيد سياسة «إعادة البناء» و«تنظيف» الجهاز الإداري، وتنظيم الصناعة والزراعة والنقليات إلخ... «وتقوم العناصر الصهيونية بأعمال هدفها نسف الوحدة الأممية للشعب السوفياتي.. وإثارة النعرات القومية بين سكان الاتحاد السوفياتي». ويضرب يفسييف مثلاً، عن كيفية استغلال النقد و«العلنية» من قبل الصهاينة. فهم «باستخدامهم الصحافة وعملهم وسط الكتّاب السوفيات يتزعمون الهجوم على ستالين وتشويه كل فترة قيادته للحزب والدولة، ويحاولون إلقاء كامل المسؤولية في خرق القوانين والإرهاب والمحاكمات القضائية للسنوات الثلاثين من حكمه على عاتقه بالذات. وفي الوقت نفسه، يتستّرون جيداً على «الكاردينال المتخفي» لتلك المرحلة «لازار كاغانوفيتش» (اليهودي الصهيوني والمساعد الأيمن لستالين)، ورئيس الشرطة السرّية والمباحث «لافرنيتي بيريا»، و«ليون ميخايلس» الصهيوني السابق، ومن ثم مساعد ستالين ورئيس الإدارة السياسية للجيش الأحمر والأسطول البحري، ويضعونهم في الظل خارج حدود النقد! وفي سنة ١٩٥٣، وهي السنة التي توفي فيها ستالين، توفي ميخايلس أيضاً، ولا يزال وعاء رماد هذا الصهيوني السابق محفوظاً في جدار الكرملين. وفي السنة نفسها أُعدم الخائن «بيريا» رمياً بالرصاص (كان عميلاً للمخابرات البريطانية). ولكن إلى الآن، يعيش متقاعداً «لازار كاغانوفيتش» المتهم بتحطيم الآثار الحضارية القيمة للشعب الروسي، وأولها معبد «المسيح المنقذ» علامة انتصار الشعب الروسي على نابليون في الحرب الوطنية عام ١٨١٢. هؤلاء الأشخاص الملطخة أياديهم بدماء الكثيرين من خيرة أبناء الشعب الروسي، يحاول الصهاينة التستّر عليهم من الفضيحة ويجنبونهم النقد قدر المستطاع»!

وهكذا، ينظر الصهاينة ومؤيدوهم في الاتحاد السوفياتي إلى «انتقاد ستالين» وظاهرة عبادة الفرد «بشكل آخر، فلا يوجد، هنا، أي تحديد، أو خوف». فيتم نشر مقالات متتابعة لكتاب وصحفيين ومؤرخين تتضمن «تلفيقات وأكاذيب وأشباه حقائق بحق القائد الراحل الذي كان على رأس الحزب والدولة لمدة ٣٠ سنة». ويتميّز، في هذا المجال «أناتولي ريباكوف» مؤلف رواية الفضائح المشهورة «أطفال أربات» التي «اشترتها دور النشر الصهيونية في الولايات المتحدة والبلدان الغربية الأخرى، والتي يروّج لها الصهاينة في الاتحاد السوفياتي أيضاً». وأصبح «ريباكوف»، خلال فترة زمنية قصيرة، «يمتلك ملايين عديدة من العملة الصعبة حصل عليها من دور النشر الغربية». كما يروجون «لميخائيل شاتروف» ـ الكاتب المسرحي ـ لنفس هذه الأسباب. وإضافة إلى تكثيف النشاط الصهيوني في مجال الأدب، يزداد «العمل الهدام» للعناصر الصهيونية في مجال الثقافة الجماهيرية العامة، والتي «تعتبر، عملياً، والحق يقال، احتكاراً وراثياً للصهاينة مخرّبي الثقافة الوطنية لشعوب الاتحاد السوفياتي». فلقد برز «فن المنوعات الخفيفة» على مسارح موسكو، الذي يتميز «بالبلاهة الفاضحة»، ويقدمه «نجوم» من «بني إسرائيل» غير الموهوبين. وهم بجهود «النقّاد» الصهاينة، والصحافة الرخيصة «قدّموا، ويقدّمون إلى المسرح نماذج سيئة للثقافة الغربية الصهيونية» وحيث يظهر على المسرح أركادي رايكين. قسطنطين وغينادي خزانوف، وزينوفي فيسكوفسكي، ومعهم «الهجاؤون» «أركادي اركانوف، وغريغوري غورين، وجفانيتسكي»، ومن على شاكلتهم «من المثقفين» الذين يقومون «بالاستهزاء من الروس والسوفيات، ولم يقع تحت «ذكائهم» في يوم من الأيام، ولم يكرسوا أي عمل هجائي كوميدي لليهود وحبّهم للدسائس والمضاربات والاختلاسات والتهريب والوقاحة وازدرائهم بالكادحين»!!

وفي المقابل، بات «حتى التلميح بأي نقد لليهود يعتبر معاداة للسامية». وكذلك، أيضاً، «توصم كل محاولة أصيلة لانتقاد الصهيونية باعتبارها شكلاً من الفاشية العنصرية». ويضيف يفسييف ان «فاضحي الصهيونية» النشيطين يتعرضون لمختلف أشكال الاضطهاد والمطاردة «من خلال ما تنشره بعض الصحف من تلفيقات ضدهم»؛ والتي يصدر قسم منها بلغات مختلفة، إضافة إلى اللغة الروسية. «وتساهم في هذه الاضطهادات وسائل الإعلام الأجنبية وعلى رأسها أبواق الصهيونية في الولايات المتحدة «واسرائيل» وغيرها من البلدان»(٨).

وفي آخر حديث له قبل استشهاده بحوالي الاسبوعين، أكّد يفسييف، مرة أخرى، بأن الصهاينة يحاولون استغلال «الجو الديمقراطي» القائم، اليوم، في الاتحاد السوفياتي، «للتعبير عن أنفسهم سياسياً». وإن «مجمل نشاطهم موجه، الآن، ضد الروس»، لأن «التربة السوفياتية والروسية تحديداً لا تسمح بتشكيل أحزاب صهيونية، أو حزب صهيوني».

ويضيف: «لكن، الوضع الراهن، وصل إلى حد أن الروس أصحاب البلد، وأكبر قومية في الاتحاد السوفياتي، ليس لهم صوت، وليس بمقدورنا الدفاع عن تاريخنا الروسي، بينما اليهود، تحت راية الصهيونية يعبّرون عن مواقفهم وتاريخهم، وينسبون كل ما هو جيّد لهم، بل ويحاولون تدمير تاريخنا».

لذا، «لن نسمح باستمرار التسلط الصهيوني في بلادنا»، ولو كان ذلك «تحت شعار الأممية». وهو يرى أن الصهاينة، استغلوا «الجو الديمقراطي» في الاتحاد السوفياتي وغيره «لمصلحتهم»... وأنهم قد «نجحوا في أكثر من دولة اشتراكية.. في تشيكوسلوفاكيا، والمانيا، والمجر، ورومانيا، وهم يحاولون نفس المحاولة في بلادنا. ونحن لن

نمكنّهم من ذلك، أهلاً بهم كمواطنين صالحين. أما كمتسلّطين، وكصهاينة فالوضع مختلف. هل هذه شوفينية؟ لا أعتقد، بل أنها أبسط الحقوق القومية، وأبسط واجبات المواطنية». ويرى أن هناك، حالياً، نفوذاً قوياً لليهود الصهاينة، وعلى الرغم من أن هذا النفوذ «ليس رسمياً»، إلّا أن «تأثيره قوي». ففي السابق «كان يقتصر على وضع العراقيل أمام الكتاب المناهضين للصهيونية. أما، الآن، فالأمر يكاد يكون شبه علني، أو حتى رسمي، الآن يكفي أن يكون أحد أبطال عملك الروائي أو القصصي أو السينمائي بطلاً يهودياً إيجابياً، حتى تنال شهرة واسعة، ويُدفع لك من الداخل والخارج. وبالطبع، هناك الكثير من الكتاب الانتهازيين، وهناك كثير من الكتاب الذين يريدون الشهرة بسرعة.. بالنسبة لي سأظل أناضل من أجل قناعاتي، بالإضافة إلى النشاط السياسي الجماهيري وبين المثقفين.. المسألة مسألة حياة أو موت»[٩].

الحرب النفسية الصهيونية

الواقع، أنه نتيجة المأزق الشامل، الذي واجهه الجهاز ـ السلطة في الاتحاد السوفياتي، فإنه أخذ يلجأ إلى إطلاق الديمقراطية والعلنية، وكذلك، بهدف التنصّل من المسؤولية، والتركيز على نقد «الماضي» باعتباره المسؤول عن التدهور القائم والمستمر، وحيث برزت سياسة تقديم التنازلات للغرب الرأسمالي، والاستعداد لدخول اقتصاد السوق. إن مسايرة الغرب الامبريالي تؤدي، عملياً، إلى التساهل مع النشاط الصهيوني. ومن هنا، تأتي محاولات الصهاينة لاستغلال الديمقراطية «والعلنية»، وسياسة التقرب السوفياتية الراهنة إلى الغرب الامبريالي.

لقد وصل ضغط النفوذ الصهيوني في الاتحاد السوفياتي إلى درجة أن وسائل الإعلام السوفياتية باتت تتردّد أو تحجم عن نشر المقالات

التي تهاجم الصهيونية في هذه المرحلة، أو أنها تقلّل منها إلى أبعد حد. وثمة حديث يدور عن وجوب «الاغتسال» والتبرؤ من كل ما كتب، سابقاً، ضد الصهيونية.

ولتحقيق ذلك بدأت محاولات بعض وسائل الإعلام المتأثرة بالنفوذ الصهيوني بشن حملات الافتراء والتشويه ضد الكتّاب والصحفيين المعادين للصهيونية، ومحاصرتهم وتضييق الخناق عليهم، بهدف تحطيمهم. واعتبار كل ما كتب، سابقاً، ضد الصهيونية هو من نوع «معاداة السامية». يضاف إلى ذلك التركيز، فقط، على التهجم ضد ستالين وحده وإلصاق كل التهم به كفرد، من بطش وديكتاتورية وفساد وقتل إلخ.. ونسيان دور الحاشية الصهيونية التي كانت تحيط به، والسلطة ككل، وخطأ انعزال الحزب عن الجماهير وظهور البيروقراطية الطفيلية، والجهاز/السلطة.

وهكذا بدأت إجراءات الحرب النفسية الصهيونية ضد كل الكتاب المعادين للصهيونية، فمن منعهم من نشر مقالاتهم ودراساتهم وكتبهم في كثير من وسائل الإعلام، إلى إرباكهم وجعلهم يضيعون أوقاتهم في متاهات الرد على الافتراءات المختلقة والمحاكم، وإلى اضطهادهم، ومضايقتهم، وطردهم من وظائفهم وأعمالهم. ونذكر، على سبيل المثال، لا الحصر، أن الكاتب سكورلاتوف صاحب كتاب «الصهيونية وسياسة التمييز العنصري» الصادر عام ١٩٧٥ تعرض لعقوبات حزبية، وطُرد من عمله، كذلك الأكاديمي المتخصص في نقد الماسونية والصهيونية فاليري يميليانوف (الذي قتل الصهاينة زوجته في مطلع الثمانينات وشوهوا جثّتها ووضعوها في ثلاجة منزله لكي يتم اتهامه بالجنون!)، والباحث السوفياتي ريجيكوف الذي سلط في مقالاته الأضواء على أن الصهيونية والماسونية وجهان لعملة واحدة، جرى طرده من عمله،

والبروفيسور فيخودسيف الناقد الشهير للتوراة، وغيرهم..

أما يفسييف نفسه، فإن الحملة الصهيونية المستعرّة تركزت ضده، وجرت محاولات عديدة لطرده من الحزب الشيوعي السوفياتي، لكنها باءت بالفشل، بحكم التعاطف والتأييد اللذين يلقاهما، دائماً، من قواعد وبعض قيادات الحزب. لكن نجحت محاولات طرده من عمله عام ١٩٨٨ بهدف التضييق عليه. لكنه تمكن من إيجاد عمل آخر عام ١٩٨٩، أما الباحث الروسي د. الكسندر رومانينكو، صاحب كتاب «الطبيعة الرجعية للصهيونية» الصادر عام ١٩٨٦، فقد اضطر إلى ترك عمله كمدرس في فرع الماركسية - اللينينية في معهد الطب الأول في لينينغراد. وذلك بعد أن حاول الصهاينة أن يلصقوا به تهمة «الاختلال العقلي»!

إن النفوذ الصهيوني بدأ يعبر عن نفسه، منذ سنوات، بطريقتين: أ - بشكل علني ومباشر، عبر تشكيل جمعيات ومؤسسات وحركات ذات طابع يهودي صرف. ب - بممارسة نفوذ خفي غير مباشر، من خلال التغلغل والتواجد في معظم مؤسسات وأجهزة الحزب والدولة والإعلام.

الفصل الثاني

تصاعد النشاط الصهيوني

حاول الصهاينة استغلال المناخ الديمقراطي، الذي أشاعته البيروسترويكا في الاتحاد السوفياتي، وبدأت تنتعش، تحت مظلة شعارات «العلنية»، و«إشاعة الديمقراطية»، و«التسريع» (كما ذكر يفسييف)؛ «نشاطات الصهاينة». فالعلنية باتت تعني للصهاينة التحرر من أية ضوابط وطنية أو أخلاقية، ومناهضة الاشتراكية، وتشويه إنجازاتها الايجابية ورموزها. والديمقراطية أضحت تعني الليبرالية، وحرية الهجرة. أما «التسريع»، فهو حسب «منطقهم»: هجرة اليهود، وتسريع التنسيق مع المنظمات الصهيونية العالمية!

هكذا يحاول أن يسلك الصهاينة بكل وقاحة، وهم يعتمدون في ذلك على الدعم الامبريالي والصهيوني العالمي، وعلى ضعف ومأزق النظام الاشتراكي، ولجوئه إلى مسايرة الغرب، في هذه المرحلة. وبوجه عام، منذ عام ١٩٨٥، بدأ يتحوّل النشاط الصهيوني من الخفاء

إلى العلن. فقد سُمح بتأسيس مراكز ثقافية وجمعيات واتحادات لليهود الصهاينة في معظم المدن التي يتواجدون فيها: موسكو، لينينغراد، كييف، مينسك، فيلنوس، تالين، ريغا، أوديسا إلخ.. وأصبحت تصدر هذه المراكز والجمعيات والاتحادات صحفاً ومنشورات ناطقة باسمها. كما سُمح بفتح مدارس خاصة لليهود تقتصر على تدريس اللغة العبرية، والديانة اليهودية، و«التاريخ» اليهودي الصهيوني. وقد جرى إنشاء أكثر من ٢٠٠ مركز ثقافي يهودي، وكان أبرزها إنشاء مركز «سولومون ميخايلس الثقافي ـ التنويري اليهودي» الذي افتتح في موسكو في ١٢ شباط ١٩٨٩. وقد أُسّس بالاشتراك مع «المنظمة الصهيوية العالمية»، «والمؤتمر اليهودي العالمي»، و«الوكالة اليهودية الاسرائيلية»[١٠]. (الجدير بالذكر أن ستالين كان قد أعدم المسرحي سولومون ميخايلس لارتباطه بالصهاينة والمخابرات الغربية مع عدد من زملائه في «اللجنة اليهودية المعادية للفاشية»، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية).

لقد اعتبر الصهاينة ومؤيدوهم افتتاح هذا المركز مؤشراً على «إعادة انبعاث الثقافة اليهودية في الاتحاد السوفياتي». واعتبر شامير ذلك «علامة من علامات التطور والتقدم في الاتحاد السوفياتي»؛ أما ادغار برونغمان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي، فرأى في ذلك «لحظة تاريخية»، و«انجاز يثبت أن البيروسترويكا مؤهلة لأن تجلب الخير للطائفة اليهودية السوفياتية، ولشعوب الاتحاد السوفياتي». ونوّه «بالرد الإيجابي» للسلطة السوفياتية على «مطالبنا». فلقد «حصل تزايد حاد ومستمر في أعداد اليهود الذين سُمح لهم بالهجرة، كما تقلّصت بحدّة القائمة الطويلة للممنوعين من الهجرة، وأُفرج عن «سجناء صهيون»، وليست الامكانية الجديدة لممارسة شعائر الديانة اليهودية والتعبير عن الثقافة اليهودية، والتي يمنحها النظام السوفياتي مؤخراً، بأقل

أهمية..»! واعتبر ذلك «**ظرفاً مواتياً، بحيث يجب على يهود «إسرائيل»، ويهود العالم أجمع استغلاله، الآن، وفوراً، نظراً لأن لا** أحد يستطيع التكهّن ما إذا كان هذا المجال سيظل مفتوحاً طويلاً أمامنا أم لا»؟!

ويقترح أن يتم تعليم اليهود السوفيات لكي «يكونوا يهوداً».. كما «يجب عليهم أن يعوا مفهوم «إسرائيل»، وقيمة مغزاها في تاريخ «الشعب اليهودي». ولتطبيق هذه المسألة، يجب على يهود الغرب أن يقيموا صلات مباشرة ووثيقة مع اليهود السوفيات. **ويجب علينا أن نرسل إلى الاتحاد السوفياتي الحاخامات والمدرّسين من كل أنحاء العالم، ومن إسرائيل نفسها.** ويجب أن نرسل كتباً تعليمية وتثقيفية، كما يجب أن ندمج الجماعات اليهودية في الغرب مع الجماعات اليهودية في الاتحاد السوفياتي». أما سيمحا دينتيس رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية، فقد اعتبر إقامة مركز ميخايلس «الثقافي» بمثابة «**جسر صداقة منصوب بين شعبي كل من إسرائيل والاتحاد السوفياتي**».

وألقى كلمة الجمعيات والروابط الثقافية اليهودية السوفياتية ب، سبيكتور، الذي أشاد بمخايلس «ملك المسرح وفارس الثقافة اليهودية» وأن مركزه الثقافي «لن يكون الفرصة الوحيدة ولا الأخيرة المتبقية لليهود السوفيات». وان «الرابطة الثقافية اليهودية»، و«الجمعية اليهودية الثقافية ـ التنويرية الموسكوبية»، «وكل الجمعيات الثقافية اليهودية المسجّلة في جمهوريات البلطيق وأوكرانيا وروسيا البيضاء، وآسيا الوسطى وغيرها من مناطق الاتحاد السوفياتي، تشكل بداية الانبعاث الحالي للحياة اليهودية، وستعطي الدفعة لانجازات جديدة للثقافة اليهودية»!

واعتبر أن المعيار في الحكم متروك للمستقبل «على عمق ما يحصل حالياً في الاتحاد السوفياتي، وعدم القابلية للعودة إلى الوراء، وعلى التحولات في الحياة الاجتماعية والليبرالية والديمقراطية والغلاسنوست (العلنية)، وبمقدار ما تكون المنظمات اليهودية السوفياتية والعالمية والمستقلة مطلقة الحرية أثناء تقرير مسألة «تكون الحياة اليهودية الطبيعية أو لا تكون»!(١١).

وفي أيار ١٩٩٠ تم الاعلان عن إنشاء «لجنة جديدة» مشتركة بين يهود الاتحاد السوفياتي ويهود الولايات المتحدة الأمريكية، من أجل «تطوير العلاقات الثقافية»، من خلال تنظيم «التبادل الثقافي» في جميع مجالاته بين الطرفين. وبالتالي، «تقديم المساعدات، والدعم اللازم للمراكز الثقافية اليهودية»، التي افتتحت في مدن عديدة في الاتحاد السوفياتي. ويجري، الآن، إرسال كتب اللغة العبرية و«البيدش» (لغة يهود وسط أوروبا)، وأشرطة فيديو «مسجّل عليها أنشطة مشاهير «المثقفين اليهود».

من النشاط الثقافي إلى السياسي.. تشكيل منظمة «اتحاد الصهاينة»

وفي مطلع شهر آب ١٩٨٩، اتّخذ النشاط الصهيوني العلني طابعاً سياسياً أكثر وضوحاً، فتمّ تأسيس منظمة «إتحاد الصهاينة» التي جرى وصفها بأنها منظمة «سياسية» و«اجتماعية»!، ومن أهدافها المعلنة: ١) ترويج الثقافة اليهودية «الإسرائيلية»، ٢) نشر الايديولوجية الصهيونية الدينية، ٣) إقامة علاقات وثيقة وثابتة بين اليهود السوفيات و «إسرائيل». وصرّح واحد من أبرز مؤسسي هذه المنظمة اليهودي السوفياتي غوروديتسكي، بأنه ينبغي لمثل هذه المنظمة، التي تضم **«مجموعات عسكرية»**، أن تكون «داعية» للصهيونية و «لاسرائيل» بين السكان اليهود

في الاتحاد السوفياتي! وأعلن سيمحا دينتيس رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية، تأييده لقيام «اتحاد الصهاينة» مؤكداً أن «بإمكان التنظيم الجديد التعويل على مساعدة ودعم الصهاينة في الغرب»(١٢).

وقام عدد من الصحفيين والكتاب والعلماء السوفيات، في أواخر آب ١٩٨٩، بعقد «ندوة» في موسكو ضمّت صحفيين عرباً، حول طاولة مستديرة، أبدى فيها الحضور احتجاجهم على تشكيل منظمة «اتحاد الصهاينة» في موسكو، واعتبروها «نذيراً خطيراً جداً»، وشارك في هذا اللقاء المستشرق السوفياتي ألكسندر سميرنوف، ويوري كوليسنكوف مؤلف كتابي: «أرض الميعاد»، و«الستار قد رفع» المكرّسين لفضح الصهيونية، ودراغونسكي، وآخرون. ونشرت وكالة «نوفوستي» بعض وقائع هذه الندوة.

وافتتح ألكسندر سميرنوف الندوة بقوله: «إن العمليات الثقافية والسياسية.. تتطوّر في المجتمع السوفياتي.. وهذه عملية إيجابية لا يضمر أحد في بلادنا العداء لها، إلّا أن ثمة أموراً مقلقة على هذه الخلفية الايجابية، منها مثلاً: تحرك النزعات والجماعات الصهيونية السافرة في الاتحاد السوفياتي. وهذه الأمور لم يغفلها الرأي العام السوفياتي.. وبما أن البلدان العربية وخصوصاً سوريا.. تبدي اهتماماً كبيراً بهذه القضية، فإننا نعقد هذا اللقاء، ليدلي ممثلو الرأي العام السوفياتي، الذين يلمّون بجوهر القضية.. بآرائهم».

ورأى أن الحركة الصهيونية تتحرك داخل الاتحاد السوفياتي «بشكل منظّم». وهذا مما «يسبب قلقاً للثقافة السوفياتية المنفتحة». كما يناهض «بشكل مباشر» إعادة البناء (البروسترويكا). فهو «ضد مصالح

الاتحاد السوفياتي وقضاياه السياسية والاجتماعية والاقتصادية، كما تسيء إلى علاقاته الدولية، وتريد الصهيونية من تحركها هذا الإساءة عمداً إلى علاقات الاتحاد السوفياتي الاستراتيجية مع أصدقائه الاستراتيجيين».

وذكر دراغونسكي رئيس «لجنة الرأي العام السوفياتي المناهضة للصهيونية» (الرسمية) في كلمته: «يجب ألّا يكون في الاتحاد السوفياتي مكان للصهيونية ولا لمعاداة السامية». واعتبر أن برنامج «اتحاد الصهاينة» ينص على «صهينة» اليهود السوفيات. وأن الصهاينة يراهنون «على عزل قسم من اليهود» السوفيات والحيلولة دون مشاركتهم في البيروسترويكا. وأنهم «يعملون، أيضاً، على إثارة مشاعر العداء للسامية في هذا البلد». هذا بينما «اليهودية ليست عرقاً ولا لوناً». . «وليست ثقافة ولا تاريخاً. . بل اليهودية دين، مسألة روحية غيبية بحتة. . . وما يدعيه الصهاينة من عرقية وقومية وتاريخ وجغرافيا وثقافة، إضافة إلى الادعاء بالسامية، ما هي إلّا أضاليل وأكاذيب اختلقها منظمو الحركة الصهيونية العالمية، واعتمدوها، أساساً، للأيديولوجية الصهيونية العنصرية». . . فاليهودية دين، وهي موزّعة بين شعوب مختلفة سواء داخل الاتحاد السوفياتي أو خارجه. . تماماً «كما الديانات الأخرى». وإنه «لا يجوز أن تسمى (اليهودية) قومية أبداً، كما لا يجوز القول: إن اليهود شعب، ومن غير الصحيح أبداً تسمية اليهود على أنهم من الساميين، وذلك لأن وثائق التاريخ وما هو متواجد على الأرض من إثباتات حضارية، تؤكد أن اليهود لا يجمعهم أي شيء، إلا اعتناقهم الديانة اليهودية، فعلى أي أساس يقيمون إدعاءاتهم، وكيف يناقشون أموراً لا أساس لها إلّا الأضاليل»؟!

وذكر الكاتب يوري كوليسنيكوف بأن الصهاينة «يسعون ـ مهما كلفهم ذلك ـ أن يدبروا أتفه حادث اعتداء على اليهود في الاتحاد

السوفياتي كي يمهّدوا لتنشيط العمل الصهيوني».

واعتبر أن تأسيس منظمة «اتحاد الصهاينة» في موسكو يقف وراءها «حفنة من الناس قوامها عشرات الأشخاص»! لكن ذلك «نذير خطير جداً بالنسبة لنا». وكذلك مال فاليري رابينوفيتش إلى التقليل من وزن النشاط الصهيوني الجاري، حيث ذكر في مداخلته «لا ينبغي المغالاة في تأثير الصهيونية على المواطنين السوفيات، بمن فيهم اليهود»!

لكن ذلك، كما تشهد الوقائع والتطورات، كلام غير دقيق. فالنشاط الصهيوني آخذ في الازدياد، وقد ذكر دراغونسكي نفسه، (الذي يميل، أيضاً، إلى التقليل من وزن التأثير والنشاط الصهيوني) بأنه «لا عذر لمحاولات «بعض» المواطنين من اليهود، استغلال صعاب المرحلة الراهنة من حياة البلد. . ومن محاولات هؤلاء تشكيل ما يسمى «اتحاد الصهاينة» في موسكو»![١٣] لكنه حتى في هذه الإدانة، قلّل من حجم الظاهرة الصهيونية، وما تلقاه، عملياً، من دعم خارجي. وما تستهدفه في الممارسة من تخريب، وليس على المستوى الايديولوجي فحسب!

هذا، بينما اعتبر الكاتب غيرمان سموليانينوف «نائب رئيس لجنة مناهضة الصهيونية» أن تأسيس منظمة «اتحاد الصهاينة» عدا كونه بمثابة «استفزاز فظ موجّه ضد الشعب السوفياتي بأسره»، فإن «من الواضح تماماً أن المنظمات الصهيونية في الخارج كانت على معرفة جيدة بالخطوة المبيّتة. فقد هنّأ رئيس المنظمة الصهيونية العالمية المشاركين في الاجتماع، وأكد بأن على التشكيل الجديد أن يعوّل على مساعدة ودعم الصهاينة في الغرب». وإن هدف المؤسسين لهذا «الاتحاد» هو «التأكد من رد فعل الأوساط الاجتماعية السوفياتية والأجهزة الرسمية على تأسيس المنظمة الصهيونية»[١٤].

وتواصل بعد ذلك، تصاعد النشاط الصهيوني، ففي تشرين الثاني ١٩٨٩ تم افتتاح أول مركز لعصبة «أبناء العهد» الصهيونية الأميركية (عصبة مكافحة التشهير ضد «معاداة السامية»... الذي يعني «بالترجمة» الصهيونية، التشهير بكل من يتعرض، عملياً، لمعاداة الصهيونية)![١٥].

وقد تمّ تتويج النشاط الصهيوني في نهاية عام ١٩٨٩ بعقد أوّل مؤتمر يهودي صهيوني في موسكو، شاركت فيه كل الجمعيات والاتحادات الثقافية اليهودية، والمنظمات الصهيونية والشخصيات اليهودية الصهيونية في الاتحاد السوفياتي، وحضر المؤتمر ممثلون عن المنظمات الصهيونية العالمية.

مؤتمر المنظمات اليهودية الصهيونية

ففي الفترة ما بين ١٨ ـ ٢٢ كانون الأول ١٩٨٩، عقد في موسكو مؤتمر المنظمات والهيئات اليهودية الصهيونية في الاتحاد السوفياتي. وشارك فيه ٤١٤ مندوباً يمثلون ١٩٨ منظمة وهيئة من ٧٣ مدينة، كما حضر المؤتمر ٦٠ ممثلاً عن المنظمات الصهيونية في الغرب، وممثل عن المنظمة الصهيونية العالمية هو سيمحا دينتيس. وتم انتخاب ثلاثة رؤساء، لما أسماه الصهاينة، «الاتحاد اليهودي في الاتحاد السوفياتي» (فادا) أي «الوعد»، تحت «قيادة م. تشلانوف الرجل المشهور بإخلاصه «لإسرائيل»، والذي يدعو، دائماً، إلى الهجرة إليها، كونها ـ حسب رأيه ـ «مركز تجمّع الشعب اليهودي»! وذلك كما ذكر د. ف. رابينوفيتش في مقال نشره في صحيفة «روسيا السوفياتية». وقد صدر لـ «فادا» (وعد) ميثاق ومجموعة مقررات، «تدافع عن الصهيونية بشكل سافر». ويُعتبر مجرد تشكيل «فادا» محاولة عملية «لاضفاء الشرعية على الحركة الصهيونية في الاتحاد السوفياتي». وقد أصدر المؤتمر قراراً (يناقض

قرار الأمم المتحدة الذي يعتبر الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية)، يؤكد على «أن السياسة الصهيونية العصرية... تُعتبر مكملاً وجزءاً لا يتجزأ من حركة التحرر العالمية». وبذلك تصبح الصهيونية مدانة «زوراً» من قبل الأمم المتحدة، بينما هي حركة تحرر وطني، وعلى اليهود في كل مكان القيام بدعمها.. وبالتالي «التوجه بأعداد كبيرة إلى «إسرائيل»، لدعم هذه الحركة التحررية»!

الواضح أن الصهاينة من خلال قيام (فادا) يستهدفون «الحصول على التمثيل السياسي، وعلى مقاعد لهم في مؤتمر نواب الشعب السوفياتي»، كما يستهدفون تسهيل هجرة اليهود السوفيات إلى «مركز حركة التحرر العالمية، حسب منطقهم، أي إلى الكيان الصهيوني!

فقد كان من قرارات مؤتمر موسكو الصهيوني «التأييد الكامل لتهجير اليهود السوفيات إلى الدولة الصهيونية. وكما أعلن رئيس «فادا» (وعد) م. تشلانوف وبكل صراحة: «إن هدفنا الوحيد والأساسي هو إخراج كل اليهود من هنا، وانتقالهم إلى حضنهم الشرعي إسرائيل»! كما أنه «بسرعة مذهلة»، قامت الدولة الصهيونية بوضع برنامج تثقيفي لليهود الباقين في الاتحاد السوفياتي، «ودعتهم لتعلم اللغة العبرية».

لكن الكاتب ف. رابينوفيتش، اعتبر أن نشاط منظمة «الذاكرة» القومية الروسية، يساعد على «توحيد جميع اليهود السوفيات» تحت راية الحركة الصهيونية![١٦].

وقد ترافق تصاعد هذا النشاط الصهيوني العلني، بمسألة «رد الاعتبار» للعديد من الشخصيات الفكرية والثقافية والسياسية السابقة في عهد ستالين، ومن بينها عدد لا يستهان به من الشخصيات المعروفة بميولها الصهيونية، نذكر منها ألكسندر سولجنستين، واليهودي الصهيوني

أورلوف الذي يعتبر «الغرب قائداً للمناضلين في سبيل حقوق الإنسان في الاتحاد السوفياتي»، وأن التحول إلى الاشتراكية هو «آفة العصر»! وكذلك اليهودي الصهيوني غينز بورج الذي احتضنته أجهزة الإعلام الغربي، بعد خروجه من الاتحاد السوفياتي عام ١٩٧٣، واعتبرته «داعية لحقوق الإنسان»، إضافة إلى شارانسكي (الذي سبق الحديث عنه وعلى لسان يفسييف)، والعالم ساخاروف وغيرهم. وكذلك الكتّاب اليهود الصهاينة أمثال يفغيني زامياتين، نيقولاي ماغارام، ليونيد ليونوف إلخ.. والأكاديميون الصهاينة أمثال ماتفي برونشتاين، صموئيل مارشاك، وغيرهما العشرات.. كما تم رد الاعتبار للمجلات والصحف ذات الميول الصهيونية التي أوقفها ستالين، وأعيد السماح لها بالصدور الآن. مثل مجلة «روسكي سوفريمينيك» (الروسي المعاصر)، وصحف: «بودوشنوست» (المستقبل)، «راسفيت» (الفجر)، «كنيجي فوسخودا» (دفاتر الشروق)، «ايديشيس فولكسبلات» (الجريدة اليهودية الشعبية)، «دير فريند» (الصديق) «دير توغ» (اليوم) وغيرها. كما تم تأسيس «وكالة أنباء - يهودية» عام ١٩٩٠، من خلال الأمانة العامة «لفادا» (الوعد)، وهي تغطي أخبار ونشاطات الجمعيات والمنظمات اليهودية الصهيونية في الاتحاد السوفياتي.

كما يتغلغل النفوذ الصهيوني في عدد من وسائل الإعلام الرسمية نذكر منها: الأزفتسيا، كومسمولسكايا برافدا، ليننغراد سكايا برافدا، نوفي مير، نوفي فريميا، ليتيرا توريا غازيتا، برافدا سيبيريا (شرق سيبيريا)، نيديليا، سمينا، أنباء موسكو، كولتورا إي جيزن، سبوتنيك إلخ..

يضاف إلى ذلك، تغلغل هذا النفوذ الصهيوني إلى التلفزيون، وهناك بعض برامج تلفزيونية ذات تأثير صهيوني مباشر (مثل برنامج

«الدولاب الخامس» في تلفزيون موسكو، لصاحبته اليهودية الصهيونية بيلّا كوركوفا)[١٧].

وهناك محاولات تلقى الصدى لدى بعض المسؤولين، بصدد عدم اعتبار الصهيونية حركة فاشية عنصرية، والمطالبة بإلغاء قرار الأمم المتحدة رقم ٣٣٧٩ الذي ينص على أن الصهيونية شكل من أشكال العرقية والتمييز العنصري. وقد تعاطف مع مثل هذه المحاولات الكسندر ياكوفليف عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفياتي، الذي يميل إلى اعتبار الصهيونية «حركة يهودية وطنية». وفي بداية صيف ١٩٨٩، قامت مجموعة من الباحثين في «معهد الاقتصاد العالمي والعلاقات الدولية» الذي يشرف عليه يفغيني بريماكوف المعروف بمواقفه المتعاطفة مع الصهيونية، بالمطالبة بإعادة النظر في قرار الأمم المتحدة بصدد الصهيونية!

التسلل والاندساس الصهيوني
للإيقاع بين معادي الصهيونية والسلطة السوفياتية

يقوم الصهاينة بدس العديد من الأشخاص داخل المنظمات المعادية لهم، وخاصة «الذاكرة» (باميات). وذلك لرفع الشعارات وإطلاق الهتافات التي من شأنها التحريض ضد السلطة السوفياتية. «ومن بينها الدعوات لانفصال روسيا عن الاتحاد السوفياتي». والمثال على ذلك دس يوري رفيروف اليهودي الصهيوني في منظمة الذاكرة، وقد تم طرده منها، بعد انكشاف أمره في لينغراد، وتبين لمسؤولي الذاكرة، هناك، وبالأدلة القاطعة، أنه عميل للصهاينة، يستهدف التجسس، وتنفيذ ما يطلبونه منه. وكان يسعى للإساءة إلى سمعة منظمة الذاكرة، ومجمل الحركة المعادية للصهيونية. فقد كان يحمل ويحرض على حمل أعلام روسيا القيصرية أثناء بعض مسيرات المعادين

للصهيونية، وذلك لإظهارهم بمظهر المعادين للسلطة والحزب الشيوعي السوفياتي، ووصمهم بالتعصب القومي، وبالمطالبة بانفصال روسيا عن الاتحاد السوفياتي. وفي ١٩٨٩/٣/١٢، في لينينغراد، إثر عرض فيلم وثائقي عن البيئة الروسية والآثار الثقافية والتاريخية الروسية، قام رفيروف وبعض أنصاره، برفع أعلام روسيا القيصرية «أثناء مسيرة سلمية نظمها معادو الصهيونية فور خروجهم من سينما «اكتوبر».. وقام تلفزيون لينينغراد بتصوير المسيرة، مع تركيز الشاشة على أعلام روسيا القيصرية التي كان يلوّح بها رفيروف وأنصاره أثناءها»[١٨]. وسوف نركّز، هنا، أكثر على مواقف التيار العام المناهض للصهيونية (الذي كان يفسييف يمثل أحد اتجاهاته) لكي نتعرف على المناخ السياسي وتطورات الصراع المناهض للصهيونية، بمواقفه المختلفة، التي أتيح لنا الاطلاع عليها. فيفسييف لم يكن حالة فكرية سياسية منعزلة، وإن كان قد تجاوز في مواقفه الفكرية والسياسية، وخاصة في السنوات الأخيرة، النمط «التقليدي» السائد في الاتحاد السوفياتي الذي يعادي سياسات الصهيونية، وليس جوهرها الفكري، والكيان الصهيوني.

النشاط المعادي للصهيونية

سابقاً، كان النشاط الصهيوني خفياً (يعبّر عن نفسه بطرق ملتوية وتخريبية مختلفة)، وكانت السلطة تواجه هذا النشاط وتمنعه من التعبير العلني. ولكن، إثر تزايد هذا النشاط في مطلع الثمانينات، بدأت المنظمات المعادية للصهيونية تمارس نشاطها العملي. وكان، قبل ذلك، يجري التعبير عن الاستياء من تواجد ونفوذ اليهود الصهاينة في أجهزة الحزب والدولة والإعلام، وحيث كان هؤلاء يعرقلون نشاط أي فكر معاد للصهيونية، ويعملون على تشويه العلاقة الجدلية بين التراث والنشاط الثقافي القومي وبين التراث والنشاط الثقافي الأممي. وكان

اليهود الصهاينة يضعون، في الممارسة، المنطلقات العدمية القومية (الكوسموبوليتية) تحت ستار الشعارات الأممية، ويسعون إلى طمس ومحاربة التراث القومي الروسي الغني. وذلك مما ساهم في قيام ردود فعل متفاوتة ضد هذا النفوذ الصهيوني، سابقاً، وضد تصاعد النشاط الصهيوني مؤخراً.

أبرز منظمات وهيئات التيار العام المناهض للصهيونية

تأسست «باميات» الذاكرة عام ١٩٨٢ كمنظمة ثقافية روسية معنية بإحياء التراث القومي الثقافي الروسي، وإبراز الجوانب الايجابية الإنسانية والثقافية والحضارية في هذا التراث. وهناك عدة تيارات داخل هذه المنظمة (التي تعرضت للانشقاق بسبب الخلاف على التكتيكات). بعض هذه التيارات يشدّد على أهمية إحياء الثقافة القومية الروسية بوجه عام. وبعضها الآخر يسعى إلى الربط بين النزعة القومية والنظرة الأممية وفي مواجهة النزعة العدمية القومية (الكوسموبوليتية)، إضافة إلى تيار قومي روسي شوفيني. وتحمل المنظمة، عموماً، العداء للنموذج الغربي والأميركي في الحياة والثقافة، وتقاوم الاتجاهات الداعية إلى احتذاء روسيا نموذج المجتمعات الغربية لأن ذلك مدمر للتقاليد والجذور القومية، ويؤدي إلى إلحاق الخسائر المادية والمعنوية بالمجتمع السوفياتي. وتضع «الذاكرة» في رأس اهتماماتها مقاومة النفوذ الصهيوني المعادي لروسيا «والإنسانية جمعاء».

ومعظم المنضوين في تيار «الذاكرة»، ينتمون، سابقاً أو حالياً، إلى الحزب الشيوعي السوفياتي ومن أبناء القومية الروسية، وبات يعرف التيار العريض القومي الروسي، بتيار «الذاكرة»، لكون منظمة «الذاكرة» كانت أول من بادر إلى المطالبة بإحياء التراث القومي الثقافي والمحافظة عليه، وبالتالي مناهضة النزعة العدمية القومية التي يتستّر بها النشاط

الصهيوني، وإلى مقاومة الاستسلام للغرب سياسياً وثقافياً.

وقد ظهرت كتابات لأعضائها في دورية «التاريخ العسكري السوفياتي» التي تتمتع باحترام الأوساط الفكرية والأكاديمية، وفي داخل الجيش.

ويضم ما يسمى بتيار «الذاكرة»، عملياً، عشرات المنظمات ومئات الجمعيات والأندية واللجان في الاتحاد السوفياتي، والتي تلتقي حول عدد من الأهداف العامة الرئيسية، وتتباين حول بعضها الآخر، وكذلك تجاه التكتيكات وأساليب العمل.

وتحرص جميع هذه المنظمات والهيئات المختلفة على الحفاظ على التراث التاريخي الروسي من متاحف وآثار معمارية وأديرة وكنائس. وهي تقوم «بتنظيم العديد من المسيرات والاحتفالات الخطابية».. وكذلك إلقاء المحاضرات والندوات، وإقامة المسابقات الإبداعية، وطباعة البيانات الانتقادية، المعادية للصهيونية، ونشر المقالات والدراسات والكتب، والاهتمام بالرد على حملات الافتراء ضدها[١٩]. كما يصدر بعض هذه المنظمات والهيئات مجلات غير رسمية في بعض المدن.

ويلقى نشاط هذا التيار تأييداً شعبياً كبيراً، وتعاطفاً من كثير من قيادات وكوادر الحزب الشيوعي، وضباط الجيش، ورجال الدولة السوفياتية.

ويفسّر يفسييف هذا النشاط العام، الذي لا يقتصر على منظمة معينة، وإن كان الأبرز، فيذكر بأنه «تيار واسع، أو حركة تضم مختلف الناس من مثقفين وفلاحين وعمال وطلبة».. وهم «يطالبون بالحفاظ على الآثار الروسية المعمارية»[٢٠] كما يصارعون ضد الحركة

الصهيونية.

ومن أبرز المنظمات والهيئات والجمعيات والأندية المعادية للصهيونية:

١ - منظمة «الذاكرة» (باميات) وهي أشهر المنظمات المعادية للصهيونية، ولها فروع في معظم المدن، ويرأسها ديمتري فاسيلييف.

٢ - منظمة «الوطن» (أوتيشيستفو) وهي جمعية ثقافية روسية أُسست حديثاً في موسكو (أيار ١٩٨٩)، ولها فروع في معظم المدن، وتضم أكثر من ٢٠ منظمة معادية للصهيونية (بينهم معظم الذين انشقوا عن منظمة «الذاكرة»). وهي، عملياً، محاولة لجمع الصفوف وتنسيق الجهود. يرأسها الكاتب أبولون كوزمين.

٣ - منظمة «الوطنيون» (باتريوتي)، وهي جمعية ثقافية اجتماعية، ويرأسها الكاتب د. الكسندر رومانينكو. وهي تشرف مباشرة على إدارة أحد المتاحف الأثرية في لينينغراد.

٤ - «اللجنة الاجتماعية السوفياتية المناهضة لإعادة العلاقات مع الدولة الصهيونية» (أسّسها الكاتب الشهيد يفغيني يفسييف عام ١٩٨٨، إلى جانب وكالة الأنباء المناهضة للصهيونية عام ١٩٨٩).

٥ - «اتحاد المنظمات الوطنية» في الأورال وسيبيريا.

٦ - «المنظمة الاجتماعية الوطنية» (رودينا).

٧ - منظمة «فيتيس» في لينينغراد، (فيتيس محارب روسي تاريخي)، يرأسها يفغيني شيكاتخين.

٨ - جمعية «العدالة»، مركزها موسكو، تأسست عام ١٩٨٨.

٩ ـ «اتحاد النضال من أجل مكافحة إدمان الخمور على الصعيد الشعبي» يرأسها البروفسور فيودور أوغلوف.

إضافة إلى عشرات المنظمات والهيئات والأندية واللجان الأخرى المعادية للصهيونية.

وهناك بعض المجلات والصحف التي يؤثر فيها هذا التيار. وأبرزها مجلة «إنساننا المعاصر» (ناش شوفريمينيك)، ومجلة «الحرس الفتي» (مولودايا غفارديا)، وجريدة روسيا السوفياتية (سوفيتسكايا روسيا)[٢١]. ويعارض أصحاب هذا التيار تبوّء اليهود الصهاينة السوفيات لكثير من المراكز السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والإعلامية.

أبرز مواقف التيار المناهض للصهيونية

أ ـ رأي يفسييف في النشاط الصهيوني

يرى يفسييف أن الصهاينة يقومون «بنشاطات مختلفة» تخريبية، «هدفها نسف الوحدات القائمة في جمهوريات الاتحاد السوفياتي عن طريق إثارة النعرات الدينية الطائفية بين سكان الاتحاد السوفياتي».. وهم يسعون بأعمالهم إلى «نسف الوحدة الأممية للشعب السوفياتي.. وبإثارة النعرات القومية بين سكان الاتحاد السوفياتي»، وهم يستخدمون التلفيقات والأكاذيب وأشباه الحقائق، وترويج الثقافة الغربية الرخيصة، ونمط الحياة الغربي، «وتخريب الثقافة الوطنية»، ومحاولة السيطرة على وسائل الإعلام الذي يكاد يصبح «احتكاراً وراثياً للصهاينة» في الاتحاد السوفياتي[٢٢].

وتعتبر محاولات الصهاينة للتسلل وممارسة التأثير الفكري والمعنوي التخريبي قديمة جداً. يذكر يفسييف في هذا الصدد أنه «من

المعروف أن الصهاينة قد تسللوا، أحياناً، إلى الكومنترن (المؤتمرات الشيوعية) وشاركوا في أعمالها تحت ستار «الشيوعيين»، ولديّ أبحاث في هذا المجال.

وعلى سبيل الذكر، لدي بحث حول اللجنة التي ترأسها لينين للمسألة القومية والاستعمارية التابعة للكومنترن الثاني [الأممية الثانية]، وقد جرى خلال عملها معركة عنيفة بين لينين رئيس اللجنة، وبين الصهاينة الذين قالوا: «نحن أمميون، ثوار، والعرب إقطاعيون، متخلفون، ولا أمل في تقدمهم. ونحن قوى ثورية علينا الانتشار بين العرب وعلى أراضيهم للتطور هناك»[٢٣].

والواقع أن الصهاينة، وخاصة بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية، وضعوا قضية العداء للاتحاد السوفياتي والشيوعية في أساس النظرية والسياسة الصهيونيتين. فالوثيقة الصادرة عن انعقاد المؤتمر اليهودي الصهيوني في موسكو عام ١٩١٨ أكدت على «أن اليهودية لم تعرف على مر تاريخها الطويل عدواً أخطر من المبادىء الاشتراكية على الأفكار اليهودية «القومية»، والاشتراكية هي العدو القاتل لليهودية.. ليس الصهيونية والاشتراكية مجرد قطبين متنافرين، بل عنصران ينفيان بعضهما البعض»[٢٤]. وقد استخدم الصهاينة في نضالهم ضد الدولة السوفياتية الفتية كل وسائل التخريب والتجسّس والتضليل.

ب ـ تقرير رومانينكو عن النشاط الصهيوني الراهن

في مطلع عام ١٩٨٩ وضع د. رومانينكو تقريراً عن النشاط الصهيوني الراهن في الاتحاد السوفياتي. ورفع هذا التقرير إلى قيادة الدولة والحزب، ونبّه فيه إلى خطورة ما يجري في الخفاء من نشاط صهيوني في الاتحاد السوفياتي، محذراً من تفاقم «خطر داهم قد تستغله

«إسرائيل» للضغط على المسؤولين السوفيات، إن من جهة استمرار الهجرة اليهودية، أو لجهة تغيير السياسة السوفياتية وإجبار موسكو على إعادة العلاقات مع تل أبيب».

ورغم أن موسكو، ما زالت تصر على عدم إعادة العلاقات الديبلوماسية مع الكيان الصهيوني، إلّا أن رومانينكو يرى في تقريره أن ثمة «خطوات اتخذت كان معظمها في صالح «إسرائيل»، وتنم عن تأثير فعلي لها في السياسة السوفياتية عن طريق اليهود الروس الذين ينصهرون في إطار الحركة الصهيونية العالمية نفسها». ومما جاء، أيضاً، في تقرير رومانينكو قوله: «إذا كانت الصهيونية عدواً خطيراً، والعلوم السوفياتية تشير إلى ذلك، وكل الباحثين الروس يشيرون، بشكل واضح، إلى أن الصهيونية عدو خطير، فلماذا، إذن، يدور الحديث، بشكل خجول، عن النشاط الصهيوني في بلادنا؟ إنه شيء غريب فعلاً! لكني ملزم بالحديث، بشكل رئيسي، عن وقائع مهمة. ومنها أنه بات للمنظمات الصهيونية في روسيا حتى ثورة عام ١٩١٧ نشاط بارز وفعال. وكانت تلك المنظمات عديدة وذات مراكز ومواقع مهمة في الحياة الاقتصادية العامة. لكن، بعد ١٩١٧، راحت هذه المنظمات تعمل بسرية أو تحت أشكال عمل متنوّعة، منها، أحياناً، منظمات يسارية، وأحياناً أخرى، منظمات خيرية مثل المنظمة الصهيونية «أجويند»، وهي تعتبر منظمات صهيونية عسكرية إرهابية. وقد حاولت «أجويند»، بعد ثورة ١٩١٧، الظهور كمنظمة خيرية زاعمة أنها تساعد اليهود الروس في بلدنا، وتحسّن أوضاعهم المادية. واستمرت، كما استمر غيرها من المنظمات تحت أقنعة مختلفة. وعندما استقرت السلطة السوفياتية في البلاد، بعد الحرب الأهلية، اتخذت هذه السلطة إجراءات للقضاء على المنظمات الصهيونية. وعندها اتجهت هذه المنظمات إلى العمل في السر، وبشكل معادٍ للنظام، وبعضها جرى حلّه رسمياً. وعندها اتجه

أعضاء تلك المنظمات للدخول في الحزب الشيوعي ومنظمة الشبيبة «الكومسمول» والسلطة ككل. «ومن هؤلاء أعضاء منظمة «بو عالي تسيون» أي «الحزب الشيوعي اليهودي». ويضيف رومانينكو في تقريره: «أشدّد، هنا، على أن جزءاً من اليهود، فقط، دخل في الحزب الشيوعي، ومنهم على سبيل المثال ميخايلس الذي كان عضواً في «بوعالي تسيون»، ثم أصبح عضواً بارزاً في الحزب الشيوعي، وفي عام ١٩٣٧ أصبح قائداً للإدارة السياسية الرئيسية، ولعب دوراً رئيسياً في اضطهاد قادة ومفوضين مسؤولين في الجيش الأحمر. كما أن دخول «بعض الذين كانوا أعضاء في المنظمات الصهيونية» مؤسسات الدولة وصفوف الحزب الشيوعي ومنظمة الشبيبة «شكّل ظاهرة معقدة جداً، كان لها أكثر من معنى، وأثبتت الأحداث لاحقاً أن جزءاً منهم ظهروا صهاينة حقيقيين. وهو ما ثبت في أمثلة كثيرة ومعروفة، فقد دخل هؤلاء صفوف الحزب والسلطة كطابور خامس لخوض معركة ضد الحزب، والسلطة معاً في الداخل».

فالمنظمات الصهيونية التي جرى حلّها ـ بناء على قرارات اتخذت أكثر من مرة في العشرينات والثلاثينات ـ أخذت تعبر عن نفسها «بشكل متستّر وخبيث وبأشكال وألوان متعددة».

وهذه بعض الأمثلة (التي يذكرها رومانينكو): «ففي مدينة لينغراد عام ١٩٧١ بالذات، ظهرت منظمة صهيونية بكل ما للكلمة من معنى، وقد أشير إليها في حينه في مصنفاتنا العلمية أكثر من مرة، وخاصة في كتاب فلاديمير فيكتوروفيتش بوشاكوف وعنوانه «الصهيونية منطلق من أجل معاداة الشيوعية».

وصدر الكتاب عام ١٩٧٢ عن «دار السياسة للنشر» من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي. ومما جاء في هذا الكتاب أنه

«جرى عام ١٩٧١ وفي لينينغراد بالذات سحق منظمة صهيونية حقيقية من جانب هيئة السلطة في المدينة. وكان قادتها منديلفيتش وديمشيدس وآخرون من الصهاينة المعروفين في المدينة نفسها. وقامت هذه المنظمة بنشاط فعال في لينينغراد، وأقامت صلات مع المخابرات «الإسرائيلية»، وتلقت منها مساعدات مالية كشفت عنها التقارير التي أذيعت في حينه، وقامت بتوزيع كتب ومؤلفات صهيونية في البلاد كلها، وبنشر الدعاية الصهيونية». كما تم الكشف بأن هذه المنظمة الصهيونية «قامت باختطاف طائرة في إحدى المطارات، وقتلت طياريها، وطار بها بعض أعضاء المنظمة بشكل غير قانوني عبر حدود البلاد إلى بلدان أخرى، ومنها «إسرائيل». أي أن هذه المنظمة أقدمت على ارتكاب جرائم جنائية واضحة كتلك التي يقوم بها قطاع الطرق». وقد جرى في حينه اعتقال عدد كبير من أعضائها وتمت محاكمتهم، «لكن هذه المنظمة عادت إلى نشاطها بعد وقت ـ رغم حلها ـ لكن تحت أشكال سرّية مختلفة».

ويضيف رومانينكو في تقريره الذي رفعه إلى المسؤولين: «ويبدو أن النشاط الصهيوني في بلادنا ما زال قائماً. وهناك معلومات وافية عن هذا الموضوع. ففي موسكو، مثلاً، جرى تنظيم تظاهرة سياسية صهيونية، بكل معنى الكلمة، ترأسها يوسف بيغون عام ١٩٧٤. وكانت تظاهرة ضخمة رفعت شعارات معادية للاتحاد السوفياتي.. وقد تم اعتقاله. لكنه ما لبث أن هاجر إلى «إسرائيل»، بعد أن أقلق موسكو بتظاهراته أكثر من مرّة، وكلها ترفع شعارات لصالح الصهيونية المعادية للاتحاد السوفياتي».

الكتاب الأبيض السوفياتي

ويتابع رومانينكوتقريره، فيذكر أنه في عام ١٩٧٨ «صدر في بلدنا كتاب عنوانه «الكتاب الأبيض» عن «الدار القانونية للطباعة والنشر»،

وهي مطبوعات «تعد بدقة وإمعان، ومعلوماتها دقيقة وصحيحة». وقد أشار هذا الكتاب أنه يوجد في عدد من المدن في الاتحاد السوفياتي «ما يسمى «أولبيان» (أي «حلقات دراسية» في اللغة الروسية)، فيما هي في الواقع ليست كذلك، بل عبارة عن تشكيل خاص يقوم بتدريس اللغة العبرية الحديثة لليهود الروس، ويمارس نشر الدعاية للتاريخ اليهودي وكذلك الدعاية الصهيونية.. وهي حلقات منتشرة في موسكو ولينينغراد ونشطة جداً. خصوصيتها أنها تعمل بشكل خبيث جداً. وكل حلقة من حلقاتها تضم بين ٣ أو ٥ أشخاص بغرض عزل الحلقات بعضها عن بعض وجعلها سرية، وحسب بذور الشمس، فإذا ما فسدت إحدى البذور، فإن البذرة المجاورة تنجو لأنها معزولة عنها»؛ أي إنه إذا ما انكشف أمر إحدى الحلقات أمام السلطة، «فإن الحلقات الأخرى تكون مختفية وتبقى مستمرة بنشاطها وغير معروفة». وجاء في «الكتاب الأبيض» الرسمي، حسب تقرير رومانينكو، أن نشاط هذه الحلقات «يتزايد ويصبح فعالاً عندما يأتي مبعوثون صهاينة من خارج حدود الاتحاد السوفياتي إلى موسكو ولينينغراد وغيرهما. وهؤلاء ترسلهم الحركة الصهيونية العالمية في الخارج إلى بلدنا. ويملك هؤلاء المبعوثون أرقاماً هاتفية لبعض اليهود الروس في تلك المدن، حيث يتصلون بقادة المنظمات الصهيونية عندنا. إن المبعوثين يأتون كسياح، ثم يقومون بالاتصال هاتفياً باليهود عندنا ثم يلتقون معهم ويعطونهم الأدبيات الصهيونية اللازمة من كتب وصحف ونشرات وأموال. إنهم **صلة الوصل الحقيقية** بين الحركة الصهيونية في الخارج وبين اليهود في الاتحاد السوفياتي. وتتطلّب هذه الظاهرة الاهتمام.. كونها شاذة وخطيرة».. والنشاط الصهيوني «مستتر وسرّي وخفي».

ويرى رومانينكو في تقريره أن هناك «حذراً» في التعاطي مع هذه

المسائل في الاتحاد السوفياتي، «لكن يتحتّم الغوص في عمق هذه المسألة الرئيسية». ولأن المنظمات الصهيونية هناك، «تسعى للتحرّك بنشاط، لذا يجب الإحاطة بها وبنشاطها من كل جوانبه. لأن الصهيونية عدو خطير للسلطة. لكن المعلومات قليلة عنها». ورغم أنها «مسألة مهمة وخطيرة»، فإنها «لا تنال الاهتمام اللازم». ويضيف رومانينكو بالرغم من «النقد الذاتي» الذي تدعو له «البيروسترويكا»، والعلنية، والتنويع، فإنه لم يتم إيلاء الأهمية الكافية «لمسألة الوجود الصهيوني هذه»!

محاولات الصهاينة التأثير في السياسة السوفياتية

يرى رومانينكو في تقريره إلى القيادة السوفياتية التي نشرت مجلة «المجلة» أجزاء رئيسية منه، أن الصهاينة في الاتحاد السوفياتي لا يملكون، بالطبع، «الامكانات التي لهم في الولايات المتحدة.. لكنهم، يحاولون التأثير في السياسة السوفياتية من الخارج بشكل رئيسي، لأنهم لا يستطيعون التأثير عليها في الداخل». لكن الصهاينة «يتميزون» بأن «لهم قدرة على أن يتخذوا موقفاً»، وهذا «ما قاموا به عندما عبروا عن استيائهم الشديد بسبب المطبوعات المناهضة للصهيونية في بلادنا، كما عبّروا عن احتجاجهم بتظاهرات ضد تلك المطبوعات. وكذلك يحاولون التأثير على القيادة في البلاد لكي يرغموها على تقليص أبحاث العلماء في مجال الصهيونية».

ويعتقد رومانينكو أن الحملة الصهيونية استعرت ضده، بعد إلقائه الكلمة التأبينية في مأتم الكاتب يوري إيفانوف مؤلف الكتاب المشهور «احذروا الصهيونية»! ومما قاله رومانينكو «الوداع يوري ايفانوف، سنكمّل مسيرتك». ويذكر أنه قد نفّذ هذا «الوعد»، ونشر «المئات من الموضوعات المعادية للصهيونية»، إضافة إلى كتابه «حول طبيعة

الصهيونية» الذي نشره عام ١٩٨٦. وبعد إصدار كتابه المذكور هذا، «دعت إذاعة «إسرائيل»، أكثر من مرة، إلى التنكيل برومانينكو». وبعد تحريض هذه الإذاعة، «قام أشخاص في كرسينا الدراسي في الجامعة (جامعة لينينغراد)، ممن يشنّون ضدي صراعاً عنيفاً، بتسعير هذا العداء مراراً»!

ويلاحظ الكاتب المذكور، أنه «في السنوات الأخيرة تراجعت كمية الكتب التي تهاجم الصهيونية في الاتحاد السوفياتي».

وذلك، «رغم الرسائل التي تواردت إلى اللجنة الحزبية في لينينغراد والتي تطالب بتكثيف طباعة مثل هذه الكتب، إلّا أن ذلك لم يلق جواباً واهتماماً». إلى جانب ذلك «تقلّصت المحاضرات والأبحاث التي تتناول الصهيونية في الآونة الأخيرة، إلى حد وصل إلى إلغائها في بعض الأحيان بفعل الضغط الصهيوني في بلادنا، والخضوع له.. كما حدث ويحدث بشأن هجرة اليهود الروس. إذ رغم اقتناع القادة بأن تلك الهجرة يجب ألّا تحدث بالحجم الذي تتم به، لما لها من مخاطر على البلاد [السوفياتية] وكذلك على الفلسطينيين والعرب ككل؛ إلّا أن اضطرار السلطات السوفياتية إلى الأخذ بمقولة حقوق اليهود الروس قلّل من أهمية تلك المخاطر والاهتمام بها. هذا في حين أن هناك قناعة بأن الهجرة لا تتم فقط بهدف تجميع العائلات - كما يدّعي الصهاينة - وإنما، أيضاً، بفعل رغبة «إسرائيل» في رفع قدراتها القتالية البشرية، بحيث تتحقق مقولة: السلاح من الولايات المتحدة والأيدي من اليهود السوفيات»!

ويختم رومانينكو تقريره بالقول أن هناك «تأثيراً للصهيونية في الاتحاد السوفياتي». وهذا التأثير «يحقق بنسبة كبيرة مصالح «إسرائيل»، وحقّقها على مدار السنوات الماضية، رغم انقطاع العلاقات الثنائية».

لكن الصهيونية لا تعتمد، فقط، على تلك العلاقات، وإنما على «ما لها من أجهزة ضغط وتأثير عن طريق اليهود أنفسهم». هذا، رغم أن اليهود الصهاينة في الاتحاد السوفياتي لم يصلوا بعد إلى إقامة «تشكيل دولي» - كما في أمريكا - إلاّ أنهم «في مواقع التأثير في كثير من القضايا السياسية الاقتصادية الثقافية»[٢٥]. وهذا ما برّر تقديم هذا «التقرير» الذي رفعه د. رومانينكو إلى قادة الحزب والسلطة.

جـ - وجهة نظر ديمتري فاسيلييف رئيس منظمة «الذاكرة» في النشاط الصهيوني

رغم الدعايات التي تحاول تصوير منظمة «الذاكرة» أنها معادية لليهود كونهم يهود وللسامية، ورغم تباين الاتجاهات الفكرية والسياسية داخل هذه المنظمة، بدءاً من الاتجاه القومي الاشتراكي، إلى الاتجاه القومي الديمقراطي، إلى الاتجاه القومي السلفي، إلى نزعة التعصب الشوفيني، فإن ديمتري فاسيلييف، رئيس المنظمة (أو أبرز ممثليها) يرى أنهم لا ينطلقون من القول: «إن كل يهودي صهيوني، وكل صهيوني يهودي». هذا، مع أنه يعتقد أن للحركة الصهيونية دوراً كبيراً في «اللعب بمصيرنا وتدمير ثقافتنا». ففي حديث له مع جريدة «السفير» ذكر فاسيلييف «عندما نقول أن الصهاينة هم سبب الكارثة، يبادرون إلى توجيه الاتهام إلينا بـ «معاداة السامية». نحن لا يمكن أن نكون معادين للسامية لأن العرب هم - أنفسهم - ساميـون. انهم [أي الصهاينـة] يعمدون إلى خلط المفاهيم بالرغم من وضوح طروحاتنا ومفاهيمنا.. فنحن معادون للصهاينة ولسنا معـادين للساميـة. نحن ضد التمييـز العنصري وفكرة شعب الله المختار.. إننا نعرف ونعي ما حدث، قبل عقود من السنوات، حيث اعتمد «الرايخ الثالث» فكـرة شعب الله المختار. لقد اختار النازيون شعباً واحداً أرادوا أن يجعلوا منه «سيد

العالم»، وللأسف وقعوا في الشرك. وما زالوا، حتى الآن، يدفعون الثمن». أما أحاديث وأقاويل الصهاينة عن «معاداة السامية» فهي «نتيجة أعمالهم هم».

ويعتقد فاسيلييف «ان كوكبنا الأرضي ملك الجميع، وليس ملك شعب واحد. ولن يغيّر هذه الحقيقة وجود حدود بين البشر، وعندما تلتقي أنت مع إنسان أجنبي يجب أن تتعرف على ثقافته.. الانسان العادي هو الذي يتطلع إلى التعرف على ثقافة الآخرين دون أن يخطر بباله أن يرفع رأسه فوق رؤوسهم. يجب تنشيط عملية التبادل الثقافي والتزود بالمعارف التاريخية من أجل رفد ثقافة الانسان وصون جمال الطبيعة. وكما قال دوستويفسكي: «الجمال هو الذي سينقذ العالم». وكلما كانت علاقاتنا الانسانية مرتكزة إلى فهم ثقافة الغير كلما كانت أجمل وألطف.. وهنا بالذات يجب أن نعي العلاقة الوشيجة بين تذوق الجمال وإعلاء الروح الوطنية في نطاق عملية التبادل الثقافي.. وكلما كان الشعب أشد وطنية ضاقت فرصة عدوه للقضاء عليـه». وهذه المنطلقات هي «الأساس الفكري لقيام منظمة «الذاكرة» التي تؤكد على «ضرورة إعلاء الشعور القومي».. فإذا «كان في قيادة بلادنا عدميون قوميون (كوسموبوليتيك) فإن الكارثة ستحل بنا»!

إن الذاكرة هي «منظمة إنسانية لتوحيد الناس»، وهي «من حيث الجوهر أممية. ولكي تحقق شرط أمميتها يجب أن تعي وجوب كونها «ذاكرة الأمة».. إن أية أمة ليس بوسعها أن تحيا دون ذاكرة. فالأمة التي تفقد ذاكرتها يتحوّل أبناؤها إلى قطعان من العبيد. ومن لا يحترم قبور أهله فمصيره العدم. إن «الذاكرة» وحّدت في صفوفها أولئك الناس الذين يهتمون بمصير الشعب». ويضيف فاسيلييف «نحن لا نستطيع أن نتحمل استهزاء أعدائنا بقبور أبطالنا وأبنائنا، ولا يمكن أن نقوى على

رؤ ية ثقافتنا الوطنية وهي تتعرض للمهانة، ولا على رؤ ية ريفنا وهو مهدّد في العمق بهدم تقاليده وثقافته وتاريخه». . ويتساءل قائلاً: «لماذا يجبروننا على احتذاء المثال «الاسرائيلي» ورفض ثقافتنا الوطنية؟ لماذا يريدون أن ننفك عن تاريخنا وثقافتنا لمصلحة «مجموعة مختارة» من الناس؟ هذه المجموعة [اليهود الصهاينة] يتغيّر لديها مفهوم الوطن من يوم لآخر. إنها تتأرجح هنا وهناك. تارة يعجبها الوضع في الاتحاد السوفياتي، وتارة لا يعجبها. . إنهم يرفعون عقيرتهم بالزعيق والصراخ حول «معاداة السامية». . تُرى هل تخلص العالم من مشاكله، ولم يبق فيه إلّا «معاداة السامية»؟. . لماذا كل هذه الضجّة حول «معاداة السامية» في الاتحاد السوفياتي. . إننا نسمع عن «معاداة السامية» في الولايات المتحدة نفسها، ترى لماذا يلتزم المتنفذون جانب الصمت والتجاهل»؟.

«الصهيونية تزدهر في ظل الخواء الروحي للشعب»

يرى فاسيلييف أن بعض الناس في الاتحاد السوفياتي لم يكن يعرف، سابقاً، بحقيقة النشاط التخريبي الصهيوني، أما اليوم، «فقد تغيّر الوضع». «في الماضي كان الستار مسدلاً على هذا النشاط»، أما، الآن، فقد «أصبح المواطن العادي يعرف حقيقته. ربما لم يستطع البعض التعمق في تحليل الأمور بعد، غير أن الأمر بدأ ينجلي أكثر فأكثر. ولهذا، غدا استمرار الصهاينة في التخريب أشد صعوبة بالنسبة لهم. . إن وعي الناس يتفتّح، وهذا ما يحد من مجال تحرك الصهاينة ويقلّصه شيئاً فشيئاً». ويبرز فاسيلييف حقيقة «أن الصهيونية لا يمكن أن «تزدهر» إلّا في ظل الخواء الروحي للشعب، خاصة عندما يخون الشعب ذاكرته ويزدري تراثه القومي وينسى ماضيه التليد ويسخر من قبور موتاه ويتجاهل وصايا أجداده».

ويأسف فاسيلييف، لأنه لم يسبق، في أي وقت مضى، أن «اتّحدت وسائل الاعلام السوفياتية مع وسائل الإعلام الغربية» كما يحدث، اليوم، في اتخاذ موقف معاد لمنظمة «الذاكرة». . ويعتقد أن التحلّي «بالوطنية» إنما «يشكل خطراً، وأيّما خطر على الصهيونية، لأن الوطنية تتجسد، قبل كل شيء، في الخلق والابداع. وبودي، هنا، أن أذكّر بقول الأمير الروسي العظيم نيفسكي: «من جاءنا بالسيف، بالسيف قتلناه».

يستغرب فاسيلييف «الحملات المعادية» لمنظمة «الذاكرة» التي ترد في كثير من الصحف السوفياتية، مثل «البرافدا» (الحقيقة) «كومسمولسكايا برافدا»، «موسكوفسكايا برافدا». . إلخ. . ويتساءل لماذا يجري «توزيع» كلمة «الحقيقة»؟ رغم أن الحقيقة واحدة، «لماذا تجري تجزئتها إن لم تكن هناك نيّة في تبديدها ومحو آثارها. . »!

وهو يرى ان الحملات المعادية تقوم على «التلفيقات»، أي «اتهامنا بما ليس فينا، وبما هو بعيد كل البعد عن طبعنا ومواقفنا». وهذه الحملات تحاول «تحريض الروس على اليهود، واليهود على الروس». وذلك بهدف «إظهار» منظمة «الذاكرة» بأنها «معادية للسامية». . وبسبب من اعتبار «أننا نعرّي الصهيونية ونكشف حقيقتها، ونكشف الوثائق عن أيديولوجيتها وممارساتها». . ويتهم فاسيلييف وسائل الاعلام السوفياتية بأنها تحرمهم من «الرد» على الهراء والتلفيقات. يقول: «نعم يحرموننا من الرد على ما يقولون، في الوقت الذي تعني فيه الديمقراطية سماع وجهتي نظر الطرفين المتعارضين. . لقد وجّهنا زهاء ٣٠ رسالة إلى الجهات الرسمية من أجل وقف حملة التلفيق هذه، وطلبنا السماح لنا بعقد مؤتمر صحفي يحضره الروس والأجانب، ولكن لم يرد، حتى الآن، أي جواب». وهذا مما يكشف، في اعتقاده، «عن هوية أولئك

الذين يسيطرون على أجهزة إعلامنا». ويبرز فاسيلييف رسالة عليها ترويسة «ازفتسيا» جاء فيها: «الرفيق المحترم.. نرجو المعذرة ليس بوسعنا نشر أي رد لجماعة «الذاكرة»، لأن إثارة النعرات القومية ممنوعة دستورياً في الاتحاد السوفياتي»! ويعلق على ذلك بقوله: «هذا هو جوابهم على تساؤلات الناس، إن هدفهم هو تشويه منظمة «الذاكرة» والافتراء عليها». ويستغرب فاسيلييف موقف الكسندر ياكوفلييف عضو المكتب السياسي الذي «يمارس أعمالاً ويتخذ مواقف متهورة ضدنا، كونه هو المسؤول عن وسائل الاعلام.. ترى هل يعقل أن تمر هذه المواد المعادية لنا دون علمه»؟!

ومن جهة أخرى، يرى فاسيلييف «أن تاريخنا لم يبدأ من ثورة أكتوبر».. ففي العهد القيصري، «كما هو معروف ازدهرت حركة الأدب والفن، وحتى بين الأمراء والقياصرة، كان هناك الوطنيون الروس الأصلاء.. أمثال الأمير نيفسكي، والقيصر بطرس الأكبر».

إن نسبة اليهود في الاتحاد السوفياتي، وفق ما ذكره غورباتشوف، هي ٠,٦٥٪ من عدد السكان. ورغم هذه النسبة الضئيلة فإن «٢٠٪ من المراكز القيادية والمرافق العليا يحتلها اليهود». كذلك فإن نسبة ٤٤٪ من حملة شهادة الدكتوراه والمرشحين في العلوم هم من اليهود. «إنهم يلوحون «بمعاداة السامية» في الاتحاد السوفياتي، ويستخدمون الادعاء بوجودها فيه من أجل نشر بذور التفرقة ونشر البغضاء بين أبناء الشعب الروسي.. والدليل على ذلك أننا نسمع زعيقهم وصراخهم باستمرار في وسائل الإعلام المركزية السوفياتية، في حين قلّما نسمع شيئاً عن مشاكل الشعب الروسي، وعن قضايا الريف الروسي، والثقافة الروسية.. واليهود الصهاينة لا يكفون عن اتهام منظمة «الذاكرة» بمعارضة السلطة، بالرغم من أننا نناضل دعماً للنهج السياسي الجديد،

نهج غورباتشوف.. إن ذلك يدل بوضوح على كذبهم وتلفيقهم ونفاقهم وجهودهم المحمومة الهادفة إلى قمع الروح الوطنية في بلادنا».

ويرى أن هناك أناساً يسرهم رؤية دماء اليهود وأبناء القوميات في روسيا «كونهم عملاء للحركة الصهيونية.. إذ من مصلحتهم تحريك «القضية اليهودية»، من أجل إشغال الناس «بمعاداة السامية»، وبالتالي إفساح المجال للآخرين كي يستولوا على أراضي الغير، وهو ما نراه حالياً في الشرق الأوسط. إن وجه الخنزير قد تكشف هنا بوضوح. فكل الناس الشرفاء عندنا يعانون ما يعانيه الشعب العربي».

وبصدد هجرة اليهود السوفيات إلى الكيان الصهيوني، فإن فاسيلييف يتساءل مستهجناً: «**ما هي الأسس التي يستند إليها هذا «الحق»، إذا كان يفضي إلى إجبار الغير على الهجرة من أرضه ووطنه؟**.. إنه عمل تعسفي منافٍ للقانون والحق.. إن للهجرة سبباً آخر مختلفاً عن السبب الناجم عن وجود اضطهاد.. **المشكلة تتمثّل في أولئك الناس الذين ليس لديهم شعور بالانتماء إلى الوطن. إن (الوطن) رخيص لديهم لأنه ليس أكثر** من سلعة يبيعونها لمن يدفع **أكثر**.. إن **مصلحتهم الشخصية هي فوق الاعتبارات المقدّسة**.. مثل مفهوم الوطن.. إن الذي يحب وطنه لا يمكن أن يوافق على مغادرته. ولذلك فإن الصهاينة هم من هذا النوع. أما بالنسبة لحق الفلسطيني في وطنه فهو حق مقدّس. وعلى جميع الوطنيين في العالم أن يتّحدوا ويناضلوا بصلابة من أجل الحفاظ على المثل الوطنية». ويرى فاسيلييف أن ما يجري في الوطن العربي «يستأثر بأقصى اهتمامنا، لذا نتابعه باستمرار.. نحن نتابع عذابات وآلام الشعب العربي العظيم. وندرك ـ تماماً ـ أن كثيراً من المعارف والحضارة جاءتنا من الشرق العربي. ونعتبر العرب من حملة الثقافة الراقية والتاريخ العريق، وإن المأساة التي يعيشونها،

الآن، مؤلمة لنا أشد الايلام.. إن غياب الوحدة العربية يحزّ في نفوسنا.. ونحن نتساءل: لم لا تكون هناك وحدة عربية، خاصة وأن العرب الذين ينوف عددهم عن مئتي مليون، يتعرّضون لهجومٍ وتحدّ من جانب ثلاثة ملايين «إسرائيلي»؟!.. إن وضعكم الحالي ـ أيها العرب ـ يذكرنا بعهد الامارات الروسية حيث كانت روسيا مجزّأة، وكان أعداؤنا ـ القليلو العدد ـ يعتدون علينا»..

ويعتقد فاسيلييف أن الانتصار على القوى المعادية لا يتطلب فقط تحقيق الوحدة من «خلال الأداء واتخاذ الاجراء»، وإنما من «خلال احترام التراث والتاريخ. إن هذا الاحترام هو الذي يجمع ويوحّد الشعب ويعزّز الشعور الذاتي بالانتماء إلى القومية.. هذا ما يجب أن نفعله ونسعى إليه معاً»(٢٦).

وفي حديث له نشرته جريدة «الحياة»، اعتبر فاسيلييف الصهيونية «قوة عدوانية داخل بلادنا وقد اخترقت أجهزة الحزب والدولة ولها مصلحة في إشعال نيران الحرب الأهلية». وهي تروج لإشاعات عن «مذابح» ستنظم «قريباً» ضد اليهود! وقد كتبت بعض الصحافة السوفياتية والعالمية كثيراً عن هذه «الاشاعات»، مما دفع بالسلطات الأمنية السوفياتية إلى نفي هذه الاشاعات. واعتبر فورونتسوف النائب الأول لوزير الخارجية السوفياتية أن الاشاعات قد تكون وراءها «عناصر قريبة لإسرائيل»!

ووصف فاسيلييف الوضع في الاتحاد السوفياتي بأنه «على أعتاب حرب أهلية»، وقال: «**ما أن بدأنا نفضح الصهيونية علانية حتى أخذت تُثار الحزازات القومية بغية صرف النظر عن المشاكل الحقيقية.** والحرب الأهلية ليست في مصلحة أحد باستثناء قوى معينة. فما من إنسان عاقل يريد أن يُقتل على يد أخيه. والأديان العالمية، الاسلام

والمسيحية، يجمع بينهما قاسم مشترك هو الإيمان بالله ونبذ العدوان، إلاّ اليهودية التي تقوم على مبدأ التفوق العنصري ونظرية الشعب المختار».

وذكر أن حركته القومية «لا تبالغ» في الحديث عن قوة الصهيونية وتغلغلها. وان «نار الصهيونية لم ينطفىء بعد»، وإن المهمة، اليوم، في التصدّي لها لكي «نحول دون المجزرة الدموية البشعة التي يداهمنا خطرها، مهتدين بالتجربة التاريخية للامبراطورية الروسية».

والجدير بالذكر، أن أعضاء وأنصار «الذاكرة» (باميات) يرتدون في اجتماعاتهم وتظاهراتهم قمصاناً سوداء رُسم عليها ناقوس يرمز إلى أن الوقت قد حان لاستيقاظ روسيا من سباتها. وتتخذ الذاكرة شعاراً هو رسم القديس جاورجيوس (جورج) وهو يطعن التنين. والاشاعات التي يروجها الصهاينة عن «المذابح» المزعومة تحدد الخامس من أيار موعداً لها، حيث يحتفل الروس المسيحيون الأرثوذكس بعيد القديس جورج.

وتحمل أفكار فاسيلييف خليطاً من الأفكار القومية والدينية والتاريخية، لكنه يركز على معاداة العدمية القومية (الكوسموبوليتية) «الرافضة للوطن واللغة والشعب وثقافته القومية». ويدعو إلى التمسك بالتقاليد القديمة وعدم التخلي عن نمط الحياة القومية والثقافية الخاصة. ويرى أن «روسيا ستبقى دولة عظمى، ما دام فيها مواطن واحد يفكر بروح قومية، وأمثال هؤلاء كثر»!

ويعتقد فاسيلييف أنه حتى الاقتصاد السوفياتي الضعيف يمكن معالجته بالاستعانة «بأساليب كانت ناجحة في السابق». فيذكر أن «برنامجنا الأساسي هو إيقاظ الوعي القومي. وكل أفكارنا الاقتصادية مرتبطة بماضي روسيا الذي كان اقتصادها قومي الشكل وأممي المضمون»! ويضيف أن المؤسسات الغربية «التي يريدون، الآن، أن نتعاون معها، ذات تنظيم عالٍ، بينما الفوضى مستشرية عندنا، وعن

هذا الطريق سنصبح بلداً مستعمراً ونجهز على بقايا امبراطوريتنا.. أن أبالكين وشميليوف وبوبوف (اقتصاديون معروفون بأفكارهم الليبرالية وأصبح الأول نائباً لرئيس الوزراء) يلعبون لعبة غريبة آلت بعد أربعة أعوام إلى اختفاء السلع والمواد الغذائية»! وهو يدعو إلى حل بسيط للخروج من المأزق الاقتصادي، بإطلاق الحرية للقطاع الخاص «في الصناعات الخفيفة والخدمات، ونجعل الفلاح سيداً في أرضه وليس أجيراً كما هو اليوم.. فالتحزب في الاقتصاد معناه الفوضى والدفاع عن مصالح الأقلية الحزبية.. وإذا كان ثمة حاجة إلى تغيير إصلاحي، فليكن في الايديولوجيا الرسمية التي تطرح شعارات سرعان ما تستبدلها بأخرى. أما من كان يعمل بنزاهة.. فليس في حاجة إلى أن يغيّر ما في نفسه».

ويرى أن «أدعياء اليسار» استغلوا «البيروسترويكا» و«العلانية» وحاولوا أن «يحتكروا» الديمقراطية، ويفرضوا رأياً واحداً، ويعملون على كمّ «الأفواه المعارضة». ويصدر اليهود الصهاينة «صحفاً ومطبوعات بفضل الرساميل الصهيونية المتدفقة من الخارج، بينما «يعجز» الشعب الروسي عن التبشير بآرائه..»(٢٧).

السياق السياسي لاستشهاد يفسييف

كان الكاتب يفسييف أبرز من كشف وعرّى طبيعة المؤتمر الذي عقدته المنظمات والهيئات اليهودية الصهيونية السوفياتية في أواخر عام ١٩٨٩ في موسكو، الذي شارك فيه ممثلون عن المنظمات الصهيونية العالمية. ففي ١٩٨٩/١٢/٣٠ أجرى مراسل صحيفة «النجم الأحمر» حديثاً معه، حول هذا المؤتمر، جاء فيه: «أعتقد أن القراء بحاجة لأن يعرفوا أن أكثر من مائة شخصية أجنبية، من الولايات المتحدة، وكندا، وفرنسا، وبريطانيا، وكذلك من «إسرائيل» ـ التي لا نقيم معها علاقات

دبلوماسية ـ شاركوا في هذا المؤتمر».. وقد «أكد المشاركون، أن هذا المؤتمر هو بمثابة الندوة الصهيونية لليهود السوفيات». كما «دعوا إلى إلغاء القرار الدولي رقم ٣٣٧٩» بحق الصهيونية العنصرية.

لقد «اجتمعوا في هذا المؤتمر من أجل الدعوة إلى التمييز، التمييز العرقي والديني والتذكير بالشعب اليهودي المختار ودوره المميّز في العالم»(٢٨).

معركة اتحاد الكتاب التي سبقت استشهاده بحوالي الأسبوع

ففي أوائل شباط ١٩٩٠، احتدم الصراع الفكري والثقافي ضد الصهيونية، وخاصة بعد أن تمّت الدعوة إلى عقد اجتماع لاتحاد الكتاب السوفيات في موسكو. ومن المعروف أن الرئاسة، وعدداً كبيراً من أعضاء الأمانة العامة لاتحاد الكتاب السوفيات يحملون ميولاً مؤيّدة للصهيونية والكيان الصهيوني. وفوجىء الكتاب الروس خاصة، بحضور عدد كبير من كتاب مبتدئين، إضافة إلى شخصيات يهودية صهيونية من خارج الاتحاد، وكذلك أشقياء (زعران) لا تنطبق عليهم صفات العضوية، وذوي ميول صهيونية. فانسحب الكتاب الروس من الاجتماع، وتداولوا خارجاً في الأمر، ثم عادوا مرة أخرى، لإعلان موقفهم، وحيث أعلن الكاتب «سميرنوف» باسمهم بأنه «على الرفاق المؤيدين للصهيونية، والذين لا تنطبق عليهم مواصفات العضوية، أو شرعية حضور الاجتماع مغادرة هذه القاعة، نحن سادة هذا البلد»! ونشبت معركة كبيرة في قاعة اجتماعات اتحاد الكتاب السوفيات، استمرّت لبضع ساعات، وأدّت إلى سقوط عشرات الجرحى، وتدمير قاعة الاجتماع!

لقد احتجّ قسم كبير من الكتاب على الهيمنة الصهيونية داخل اتحاد الكتاب، وعلى بعض وسائل الاعلام الرئيسية، هذه الهيمنة

المتسترّة بغطاء السلطة «السوفياتية»، وعدم احترام معايير العضوية داخل اتحاد الكتاب، واستخدام وسائل التهريج والغوغائية لفرض المواقف ووجهات النظر الصهيونية، ومعاداة كل ما هو أصيل وإيجابي وخلّاق في الثقافة القومية الروسية تحت ستار الادعاء «بالأممية». وكان الكاتب الروسي السوفياتي المعروف يوري بونداريف قد سبق أن أشار، في خطابه في المؤتمر التاسع عشر للحزب الشيوعي السوفياتي في حزيران ١٩٨٨، وفي حضور غورباتشوف، إلى التخريب الذي يمارسه اليهود الصهاينة المهيمنين على بعض المراكز الرئيسية في الدولة والاعلام. ومما جاء في خطابه «أنهم يزيلون ويدمرون ويمزقـون ويلقون في المرحاض كل شيء عاش من قبل: الماضي، أشياءنا القومية التي نقدسّها، تضحيات البلاد في الحرب الوطنية، تقاليدنا الثقافية.

إنهم يمسحون من ذاكرة الناس ووعيهم الايمان والأمل.. وما كنا نسمّيه «الوطن الأم»، «والنزعة الوطنية» أصبح، الآن، من قبيل الذم، أصبح يسمى «شوفينية»... أصبحوا يقولون: إن الفاشية ظهرت في روسيا في بداية هذا القرن، وليس في ايطاليا! إنهم يفرّغون أرواح شبابنا ليملأوها بـالفوضـوية والخـواء والأزياء الغـربية والألعـاب الغوغـائية الرخيصة»[٢٩]!

تشكيل «اتحاد الكتاب الروس»

لقد أسفرت نتائج الصراع الدائر داخل اتحاد الكتّاب السوفيات، إلى قيام معظم الكتاب الروس المحتجّين على الهيمنة الصهيونية داخل الاتحاد إلى احتلال فرع موسكو لاتحاد الكتاب، وأعلنوا من هناك تشكيل «اتحاد الكتاب الروس» الذي ترأّسه، مؤقتاً، الشاعر تيودور دوروشينكو، وذلك إلى أن يتم إعادة انتخاب ديمقراطي جديد.

وفي بيان وجّهه «اتحاد الكتاب الروس» في أوائل آذار ١٩٩٠

ونشرته صحيفة «ليتيراتورنايا روسيا» الناطقة باسم اتحاد الأدبـاء في جمهورية روسيا الاتحادية، حذّر فيه البيان القيادة السوفياتية من خطر تصاعد النشاطات الصهيونية في الاتحاد السوفاتي، والذي سيؤدي إلى «مواجهة حتى الموت». واتهم البيان الصحافة السوفياتية بشن حملة شعواء ضد الحركة القومية الروسية (ما يسمى بتيار «الذاكرة»)، وهي حملة تستهدف تغطية «الفاشية الجديدة» التي تجسّدت في ما سمي «باتحاد الصهاينة السوفيات» ومنظمة «بيتار» شبه العسكرية. واتّهم بعض الصحف «المركزية» التي يتمتّع الكتاب الصهاينة بنفوذ قوي فيها، بأنها هي التي تؤجّج «الهستيريا» المعادية ضد منظمة «الذاكرة» القـومية الروسية، وفي نفس الوقت الذي تحاول فيه تجميل وجه الصهيونية بأساليب ديماغوجية. واعتبر البيان منظمة «بيتار» الصهيونية «متورطة في المذابح ضد الفلسطينيين في مخيمي صبرا وشاتيلا.. وفي عديد من الجرائم البشعة في روسيا وكافة أنحاء العالم». وأعرب البيان عن احتجاجه على «عقد مؤتمر للمنظمـات الصهيونية السوفياتية في موسكو في نهاية العام الماضي» (١٩٨٩)؛ وحيث تزايدت، بعد عقد هذا المؤتمر، حملات الدعاية العنصرية الصهيونية المتطرفة، والتي تحاول اختلاق «خرافة» ما أسمته «بالفاشية الروسية». واعتبر بيان الكتـاب الروس أن «الصهاينة خلقوا جواً خانقاً لم يعد في ظله من حق المواطن الروسي أن يتعاطف مع الشعب الفلسطيني المناضل من أجل حقوقه، إذ صار هذا التعاطف يفسّر بأنه شكل من أشكال العداء للسامية»!

كما أدان البيان، ما أطلق عليه، «رد الاعتبار للعقيدة الصهيونية»، وقيـام العديـد من وسائـل الاعلام السـوفياتيـة بتمجيد الشخصيـات الاجتماعية والثقافية من أصل يهودي دون سـواها.. بمـا في ذلك «الشخصيات السياسية في دولة «إسرائيل» المعتدية الفاشية». واتّهم

البيان الصهاينة والعناصر الموالية لهم في وسائل الاعلام والبرلمان، وحتى في المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفياتي، بالسعي إلى «تبييض صفحة الصهيونية المجرمة»! وسفّه تأكيدات الصهاينة في الاتحاد السوفياتي، في الآونة الأخيرة، بأن الأمم المتحدة «تحاملت» على الصهيونية حين اعتبرتها شكلًا من أشكال العنصرية، وأصدرت مئات القرارات ضد الدولة الصهيونية. واعتبر البيان أن العناصر «المتصهينة» سيطرت على «معظم وسائل الاعلام السوفياتية»، وشنت حملات دعائية «معادية للشعب الروسي ومهينة لكرامته». وان الوضع وصل إلى مرحلة لم يعد بوسع الشعب الروسي فيها أن «يغفر للاستفزازيين»، وأن «تصدير الصهيونية إلى الاتحاد السوفياتي أصبح واقعاً مرعباً ويشكل خطراً على كل الشعوب التي تقيم فيه». واتهم البيان الصهاينة باختلاق وإطلاق إشاعات عن احتمال حدوث «مذابح» ضد اليهود. وذلك «لأن عدم وجود عداء للسامية في روسيا لا يشجّع على الهجرة إلى إسرائيل»[٣٠]!

وفي وقت لاحق، أبرز أحد أقطاب التيار القومي الروسي الكاتب البروفسور ادوارد فولودين، في مقال نشرته صحيفة «روسيا السوفياتية» في ٨/٤/١٩٩٠، أن برنامج إتحاد أو «كتلة الحركات الوطنية الروسية» لم يتضمن أي بند مخالف للدستور السوفياتي (الذي يعاقب على معاداة السامية)، بل اقتصرت أهدافها على الدعوة إلى إحياء الثقافة القومية للشعب الروسي. واتهم الكاتب ما أسماه «القوى المعادية للنهضة الروسية» بالسيطرة على وسائل الاعلام السوفياتية في «محاولة للسيطرة على العقول».

وكان فولودين يرد في ذلك، أيضاً، على الأكاديمي فيتالي غولدانسكي اليهودي الصهيوني، وهو نائب في البرلمان، ومن قادة

الحركة الصهيونية في الاتحاد السوفياتي والذي نشر، مؤخراً، مقالاً في صحيفة «واشنطن بوست» الاميركية، هاجم فيه بعنف الحركة القومية الروسية، ووصفها بأنها «نازية وملكية وفاشية».. وأكّد «أن كثيرين في مواقع القيادة في الاتحاد السوفياتي يتعاطفون مع هذه الحركة، ويمارسون ضغوطاً على الرئيس غورباتشوف... في محاولة لدفعه نحو اليمين أو إسقاطه».. وشبّه غولدانسكي الوضع الحالي في الاتحاد السوفياتي بالوضع في ألمانيا عقب تسلّم هتلر السلطة في الثلاثينات! ولم يستبعد حصول «مذابح تدبرها منظمة «باميات» القومية الروسية المتطرفة» والتي وصفها بأنها «واجهة تقف خلفها «الكتلة» القومية الروسية، واتحاد الأدباء في جمهورية روسيا الاتحادية». واعتبر أن «استمرار تنامي معاداة السامية سيؤدي إلى نزوح اليهود وأنصاف اليهود والمثقفين الليبراليين بأعداد كبيرة».. قدّرها ببضعة ملايين!

ولذلك ركّز فولودين في رده على عدم وجود أية معاداة للسامية سواء في برنامج الحركة القومية الروسية أو في ممارستها.

ورأى فولودين أن غولدانسكي وأنصاره يريدون أن يشوهوا شعار «ليس للعمال وطن».. وهم يرفعونه مجدداً بهدف أن «يجعلوه شعاراً لمحاربة المشاعر القومية لدى الشعوب غير المتميّزة»[٣١].

الجدير بالذكر، هنا، أنه عدا تشجيع الصحف والمجلات الغربية والصهيونية في الغرب لنشر المقالات لليهود الصهاينة السوفيات، فإن هذه الصحف والمجلات، خاصة في أميركا، قامت في الفترة الأخيرة، بالكتابة والتعليق، أو إجراء التحقيقات حول التيار القومي الروسي المعادي للصهيونية. «فلم يصدر عدد واحد»، من الصحف والمجلات الأوروبية والأميركية المؤيدة أو المتعاطفة مع الصهيونية، خلال عام ١٩٨٩، «من دون أن يحمل مقالاً أو تحقيقاً أو تعليقاً عن «باميات»

(الذاكرة)». وسواء في الاتحاد السوفياتي أو خارجه، في أوروبا وأميركا «وفي كل مكان» يملك اليهود الصهاينة وسيلة اتصال جماهيرية، تم توجيه «كل اتهامات التطرف والعداء للسامية، وحتى تهمة النازية»، بل «إن التعليقات السياسية في إذاعات «أوروبا الحرة» والإذاعات الاميركية الأخرى الموجهة إلى داخل الاتحاد السوفياتي وأوربا الشرقية، جعلت «باميات» موضوعاً لها». . وفي ٢٨ كانون الثاني ١٩٩٠ كانت موضوع الغلاف في مجلة «ماغازين» التي تصدرها، اسبوعياً، الصحيفة الاميركية «نيويورك تايمز» والتي يهيمن عليها الصهاينة. فنشرت المجلة ٨ صفحات عن «باميات» ووصفتها بأنها «التحدّي التالي أمام غورباتشوف». وكان عنوان الموضوع «القوميون الروس يتوقون إلى يدٍ حديدية». ووصفت «باميات» بأوصاف «التعصب» و«القومية الضيقة»، والتعبير عن «اليأس».

وفي ٩ آذار ١٩٨٩، قامت مجلة «واشنطن جويش ويك» الصهيونية بنشر تحقيق موسع عن «باميات» مهّد الطريق «لكل الكتابات التي ظهرت في الأدبيات الأميركية والصحافة والتلفزيون. . ضدها».

وقد احتل التحقيق عنوان الغلاف بشكل كامل، حيث رسم مع العنوان التالي: «الثورة الثقافية السوفياتية: أمل حقيقي أم فجر زائف في الحياة اليهودية؟»، رسماً لشعار المطرقة والمنجل، استبدلت فيه المطرقة بنجمة داوود!

وأبرز هذا التحقيق «الارتفاع المطرد للنشاطات المعادية لليهود والسامية» في الاتحاد السوفياتي! وذلك إلى جانب تصريحات قادة من الكونغرس الاميركي زاروا موسكو، في الآونة الأخيرة، وتحدثوا عن ظاهرة «باميات»، وذكروا بأن «هناك أسباباً وجيهة للانزعاج. ذلك أنه إذا

لم تتحسّن الأوضاع المتردية في الاتحاد السوفياتي، فإن «باميات» ستتوسع».

وتهتم أجهزة الاستخبارات الأميركية والغربية بنشاطات الحركة القومية الروسية، وتعد التقارير السرية عنها. وقد حصلت مجلة «الكفاح العربي» على أحد هذه التقارير التي، حسب ما ذكرت، أعدته أحد أجهزة الاستخبارات الأميركية، وأوردت بعض مقتطفات منه في ١٩٩٠/٣/١٩. وحيث تمّ إجراء مقارنة مشوهة بين «باميات» ومنظمة «المئة السود»، في بداية هذا القرن، والمتعصبة لروسيا وللنظام القيصري! وينسب التقرير إلى «باميات» ما تحمله من عداء شديد للصهيونية العالمية والماسونية، وكذلك مقاومتها «لدعاة الاستسلام للغرب» في الاتحاد السوفياتي، ومهاجمتها للثقافة «والأفلام الأميركية المنحلة» (التي يتم استيرادها)، إضافة إلى «الاعلام السوفياتي» الراهن، الذي يحاول أن يهيمن عليه اليهود الصهاينة.

وجاء في هذا التقرير، أيضاً، أن قادة «باميات» يعتبرون الصهيونية «الخطر الأكبر على السلام والبشرية». وان «باميات» وجهت نداء إلى الشعب الروسي أورد فيه التقرير الأميركي السري بعض أجزائه. ومما جاء فيه «إن الامبريالية العالمية الّتي تغذيها الصهيونية وخدامها والماسونيون الجشعون ـ تحاول، الآن، دفع العالم نحو دوامة مدمرة تفضي إلى كارثة تشمل الأرض كلها. وهدفها الرئيسي هو الشعب الروسي. فلنضم صفوفنا حول اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، ولنكشف بصراحة وشجاعة الدوائر المتآمرة التي تعمل لحساب أعدائنا. إن علينا أن نحقق السيطرة على الاعلام الجماهيري. ولنكشف الصحافيين الذين باعوا أنفسهم للعدو، ولنتعامل معهم بالطريقة المناسبة. إن وطننا في خطر. وينبغي أن نتحلّى بالشجاعة الآن

ودائماً»(٣٢).

هذا بعض ما توفر من بعض معطيات الصراع المحتدم بين النشاط الصهيوني المتفاقم في الاتحاد السوفياتي (والذي يسعى إلى استغلال الظروف الصعبة التي يمر بها هذا البلد الصديق) وبين النشاط المناهض للصهيونية. فلقد جاء استشهاد الكاتب يفغيني يفسييف في سياق احتدام هذا الصراع.. وحيث لم ينس الصهاينة حقدهم عليه، حتى بعد مماته! فقد هاجمه ميخائيل تشلينوف ممثل «إتحاد المنظمات اليهودية في الاتحاد السوفياتي» (فادا) «وعد»، في الحوار الذي نظمته جريدة «الحياة» في موسكو، في شهر نيسان ١٩٩٠، تحت عنوان «وقائع الحوار الفلسطيني ـ اليهودي ـ الأميركي ـ السوفياتي»؛ فوصف تشلينوف الكاتب يفسييف «بالسيد (المتوفي حالياً).. والذي له مؤلفات ذات طابع معاد لليهود..»! وبالطبع، فإنه، حسب اعتقاد تشلينوف، فإن كل يهودي هو صهيوني.. وحيث ذكر أثناء مداخلته، في «الحوار» المشار إليه قبل قليل، إنه «تجري حالياً هجرة جماعية لليهود السوفيات إلى «إسرائيل» وإعادة توحيدهم مع الشعب اليهودي على أراضي الدولة اليهودية. وإن هذا إنجاز حققه اليهود السوفيات عبر نضال شاق، وكان مطلباً أيّده قسم كبير من المجتمع الدولي. ولذا، نحن نؤيد جهود الحكومة السوفياتية في إشاعة الديمقراطية في عملية الهجرة.. ونحن نعتبر هجرة اليهود السوفيات إلى البلدان الغربية إحقاقاً لحقوق الانسان، أما الهجرة أو العودة إلى إسرائيل فنحن نعتبرها عملية قومية»..!!

وأبدى امتعاضه من «حدوث تظاهرات فلسطينية يومية»، أثناء انعقاد المؤتمر اليهودي الصهيوني في موسكو، أمام مقر المؤتمر في الفترة ما بين ١٨ ـ ٢٢ كانون الأول ١٩٨٩، وحيث اعتبر ما أسماه «تيار الحجارة، الذي أصبح مألوفاً لدى «الإسرائيليين» نُقل في كانون الأول إلى موسكو. تحت شعار استغربناه وهو الانتفاضة اليوم وهنا»(٣٣).

الفصل الثالث

أبرز مفاهيم وآراء يفسييف

تميّزت مفاهيم وآراء يفغيني يفسييف بجدّية البحث والتحليل والاعتماد على الوقائع ودلالاتها، وبالعمق الوجداني والتاريخي، والقدرة على تجاوز وتحدّي النمطية والجمود، والتبعية الفكرية والسياسية. ويفسييف جمع بين الكاتب الباحث، والصحفي، والسياسي، والحزبي، والاشتراكي والقومي الذي يعتز بكل منهم.

كما أنه كان يرفض، بحكم أمانته وبحثه الجدي ووجدانه وإيمانه بما يعتقده، التقيد بالمواقف الجاهزة الرسمية (رغم أنه تأثر بها طويلاً)، لكنه استطاع أن يتجاوزها في الفكر والموقف والممارسة، وتوصل في سنواته الأخيرة إلى المبادرة بالمجاهرة بخطأ الاعتراف الرسمي السوفياتي بالكيان الاستعماري الاستيطاني الصهيوني. كما أنه كان من أنشط وأعمق المعادين ـ عن علم وتجربة ـ للصهيونية في الاتحاد السوفياتي. ولذلك كان أول من اختاره الصهاينة لممارسة إرهابهم الدموي الفاشي، وذلك نظراً لما له من مكانة علمية فكرية ومعنوية،

تؤهله لممارسة التأثير في اتجاهات التيار الراهن المعادي للصهيونية في الاتحاد السوفياتي. ولأن هذا التيار يحمل الكثير من الاتجاهات الفكرية وردود الأفعال المتباينة، ويحتاج إلى الترشيد لمواجهة المخطط الصهيوني المنظم، المعادي للاشتراكية والاتحاد السوفياتي، وقضايا الشعوب. إن الصهيونية التي هي شكل خاص من أشكال الهيمنة الفكرية والسياسية للإمبريالية، تحاول، اليوم، أن تستغل الظروف الصعبة التي يمر بها الاتحاد السوفياتي، من أجل فرض وجودها وتأثيرها وممارسة نشاطها التخريبي المبرمج، والعمل على تحفيز وتشجيع وتمويل هجرة اليهود السوفيات، وبالتنسيق الكامل مع الإمبريالية الأمريكية التي أعربت عن استعدادها لتمويل هذه الهجرة، وحيث أقر الكونغرس الأميركي مؤخراً تقديم ٤٠٠ مليون دولار لإسكان ورعاية المهاجرين السوفيات!

إن خسارة يفغيني يفسييف العالم والصديق الحقيقي للقضية الفلسطينية والأمة العربية، خسارة جسيمة.

هذا رغم أننا لا نوافق هذا الكاتب على الكثير من مفاهيمه تجاه ما يسميه «البرجوازية اليهودية» (وهي من الأخطاء الشائعة لدى الأحزاب الشيوعية) والتي لا وجود لها إلّا إذا صح القول بوجود برجوازيات أخرى ذات طابع طائفي أومذهبي، كالادعاء بوجود برجوازية مسيحية عالمية، أو كاثوليكية أو بروستانتية أو برجوازية اسلامية عالمية أو سنية أو شيعية إلخ.. وذلك خارج نطاق التشكل التاريخي القومي والطبقي في كل بلد! كما لا نعتقد، كما أبرز في كتاباته في الستينات والسبعينات، تمشياً مع المفاهيم والمواقف السائدة الرسمية في الاتحاد السوفياتي، بإمكانية تحوّل التجمع الاستعماري الاستيطاني الصهيوني إلى «أمة في طور التكوين»، في مرحلة لاحقة! وذلك ليس لمجرد انعدام الأسس

الموضوعية لذلك فحسب، بل لكون ذلك يناقض طبيعة ووظيفة الاستعمار الاستيطاني الذي لا يشكل مجتمعاً طبيعياً عادياً، بل مجرد ثكنة عسكرية تستمد قوتها واستمرارها من الدعم الامبريالي الخارجي أساساً، هذا عدا أن الأمم لا تتشكل ببساطة خلال عشرات السنين! كما أن المواجهة العربية القومية الحتمية ضد الكيان الصهيوني أداة الإمبريالية، هي الأساس، في عدم تمكينه من الاستقرار والتطور «الطبيعي»، وبحكم دوره الاستيطاني العدواني غير الطبيعي! يضاف إلى ذلك، أن اليهود كطائفة، لا يمكن أن يشكلوا قومية موحدة، مهما جرى تجميعهم و«حشرهم» في مكان واحد. فهم ينتمون إلى ثقافات ولغات وأمزجة نفسية مختلفة، كما أنه لم يسبق لهم أن عاشوا على أرض واحدة، وهم لا يملكون أية قدرة على الاستقلال الذاتي والاقتصادي والسياسي!

لكن يفسييف، في سنواته الأخيرة، على ما تدل مواقفه، تمكّن من تجاوز النمط السائد من التفكير السياسي، وكان أول من أعلن في الاتحاد السوفياتي موقفاً مناهضاً للموقف الرسمي الذي يعترف بالكيان الصهيوني!

«التوأمان»: الصهيونية والفاشية

يرى يفسييف أن الصهيونية والفاشية هما «توأمان من الناحية السياسية والمعنوية». فالفاشية لا ترتبط، اليوم، فقط، بفظائع النازية في الحرب العالمية الثانية، وبالصليب المعقوف، و«بكتائب» فرانكو (حزب الفلانج)، ولا «بفتيان موسيليني» ذوي القمصان السوداء، ولا بالقرى والمدن التي «تحوّلت إلى رماد»، أو «الأسلاك الشائكة التي تحيط بمعسكرات الموت» أو «وجوه المسجونين الشاحبة في الزنزانات الرهيبة»، أو «محاكمات نورمبرغ»، بل إن العالم يشهد، الآن، مرة أخرى، مولد نشاط «متزايد من أشكال الفاشية المعاصرة ينمو ويزدهر

تحت ظل علم دولة إسرائيل».

وأن «الأصحاب الحقيقيين» للمنظمة الصهيونية العالمية، التي ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر، هم «كبار الماليين وأصحاب الاحتكارات العالمية الضخمة». هذه المنظمة التي أعطت لنفسها «الحق» في التحدث باسم ما زعمته «بالشعب اليهودي» في «جميع بلاد العالم»! وحيث «يطلب زعماء المنظمات الصهيونية وحكام «إسرائيل» من اليهود الذين يعيشون في دول العالم ـ على اختلاف أنظمتها الاجتماعية ـ تنفيذ التزامات لا تتفق عادة مع انتمائهم لتلك الدول، أو ولائهم كمواطنين»!

والمنظمات الصهيونية تحتل «مكاناً هاماً في الترسانة الأيديولوجية للامبريالية وفي سياستها العدوانية»، وكذلك هي «أداة لإحداث الشقاق في الحركة العمالية العالمية». وهي «قبل كل شيء من الأعداء الرئيسيين.. للماركسية اللينينية».

ويحاول مفكرو الصهيونية إضفاء «ملامح خاصة» على فلسفة هذا التيار الرجعي، من أجل تمييزها «ظاهرياً» عن الاتجاهات الأخرى للنظرية البرجوازية، وإتاحة الفرصة لمعتنقيها من «التمكن من المناورة والتضليل وإفساد الوعي الاجتماعي.

وبالرغم من معاندة الحقائق التاريخية لكل ادعاءات الصهيونية على كافة الصعد، فإن منظريها يسعون إلى إعطاء أنفسهم الحق في «وراثة نشاط كل الجماعات والمنظمات الدينية والدنيوية اليهودية التي كانت تزاول نشاطها قبل ظهور الأفكار الصهيونية في مختلف بلاد العالم»، وكذلك «بناء هيكل سياسي معاصر» على أساسها، و«نظام موحد يمكنه أن يستخدم كستار لاخفاء النوايا العدوانية للأمبريالية».

وقادة الصهاينة يحاولون، دوماً، اقناع الناس بخصوصية وتميّز، و«استثناء الصهيونية»، وجعلها «فوق جميع الطبقات»، واختلاق أساس «نظري» لذلك، و«استخدام الأساطير المنتقاة بعناية، والعقائد الدينية الجامدة».

أما «آثار تطبيق الأيديولوجية الصهيونية» في الكيان الصهيوني، وافسادها للوعي الاجتماعي، فقد تبين، حسب استفتاء للرأي العام جرى في هذا الكيان عام ١٩٧٠، أن ٨٦٪ من المشتركين في الاستفتاء من المستوطنين في الكيان الصهيوني وافقوا على «إبادة الشعب العربي وتدمير منازله في المناطق المحتلة».

ويرى يفسييف أنه حين «وضعت الصهيونية اليهود في مواجهة مع الإنسانية ظهرت مأساة الشعب الفلسطيني وتفجرت مشكلة الشرق الأوسط، التي لا يمكن لأحد أن يتنبأ بآثارها»...

إن أحداً لا يستطيع، على سبيل المثال، «أن ينكر حق الألماني أن يكون ألمانياً. ولكن حينما وضع «هتلر» كل ما هو ألماني في مواجهة مع الإنسانية جمعاء»، ظهرت «الاشتراكية القومية»، وتفجرّت الحرب العالمية. ومن هذا «المنطلق بالذات» نجد قادة الصهاينة «يلعبون بالنار لاشعال الحرب العالمية الثالثة، ولا يهمهم في هذا السبيل ما قد تعانيه الإنسانية من جراء ذلك».

ويعتقد يفسييف أن الصهيونية هي «شكل من أشكال الفاشية». لكنها تتميز عن الأشكال الأخرى للفاشية بأنها «أولاً متشعبة جداً بفروعها. وثانياً، بأن قاعدتها لا تحدّها حدود دولية أو قومية معينة. فنشاط الصهيونية يمتد في سبعين دولة في العالم تقريباً.. وتستخدم الصهيونية دولة «إسرائيل».. كنقطة ارتكاز لها». وتقوم هذه الدولة «بدور التبعية في التطبيق اليومي للصهيونية».. وفي خدمة المصالح

الامبريالية في الوطن العربي والعالم.

«التشابه المشؤوم» بين الصهيونية والنازية

يرى يفسييف، في كتابه «فلسطين في شراك الصهيونية»، أن العدوان الصهيوني على لبنان عام ١٩٨٢ رسّخ لدى الرأي العام العالمي «التشابه المباشر بين الأعمال الوحشية للمجرمين الصهاينة والجرائم الفاشية في الحرب العالمية الثانية».

وأعادت مصطلحات «الابادة العرقية»، «القرار النهائي»، «النظام الجديد»، «إلى الأذهان الأعمال الاجرامية للنازيين». وأكدت أحداث صيف ١٩٨٢، «أن نهج التوسع والعدوان كان وسيبقى حجر الزاوية للسياسة الإسرائيلية».

ويشير يفسييف إلى خطر تشكيل عصابات «غوش إيمونيم» المتطرفة والمسلحة داخل الكيان الصهيوني. فتحت حجة «الدفاع المحلي»، «سمح بتشكيل فرق شبه عسكرية مسلحة من المستوطنين تحت إشراف ضباط يشاركون في نشاط «غوش إيمونيم»، والتي تنظم عمليات المداهمة في مدن وقرى ومخيمات الفلسطينيين في الضفة والقطاع».

إن ممارسة الاجرام يغذي بدوره «الأيديولوجيا الإجرامية» و«الأفكار» التي «تدفع الصهاينة لارتكاب شرورهم البشعة». وهي «الأفكار الرسمية للدولة الصهيونية، إنها الكتاب اليهودي «المقدس» الذي يدرس في المدارس الإسرائيلية من ٢٤٨ ـ ١٥٠٠ ساعة، وأنشأت السلطات هيئة خاصة بالدعاية ولنشر التوراة والتلمود التي على أساسها تبنى العقيدة الصهيونية».

أما «القرابة» بين الصهيونية والفاشية فتتبيّن من خلال «المقارنة بين مواقع الصهيونية والفاشية.. من عقيدة كل منهما والتي تخص تبنيهما لـ «الدور الخاص» في تطور الحضارة البشرية»، والرسالة الخاصة «للشعب الخارق». ففي كتاب آحاد عاهام «إعادة تقدير القيم» الصادر في أواخر ثمانينات القرن التاسع عشر، جاء «أن الصهاينة باعتناقهم فكرة الإنسان الخارق، يفترضون وجود الشعب الخارق الذي وعى تفوقه في العصور الغابرة على الناس المحيطين به». وهذا وارد حسب أقواله، في «العقيدة الدينية»، حيث ذكر «أن الرب اختار شعب إسرائيل وجعله فوق الشعوب كلها»!

ولا يكرر هتلر أكثر من «تخيلات» آحاد عاهام بصدد «الدور الخاص» «ونقاء العرق الآري الذي يجب أن يكون مركز التاريخ البشري».

مقارنة بين وجهات نظر الصهاينة ووجه نظر هتلر في كتابه «كفاحي»:

الصهاينة	النازية
١ ـ «تقوم الأمة اليهودية الموزعة من قبل الرب في أرجاء المعمورة بنشر رسالتها الخاصة». (آحاد عاهام)	١ ـ «نحن قوم نعتبر أنفسنا حماة القيم الآرية العليا على الأرض. لذلك تقع على مسؤوليتنا مهام عليا». (هتلر)
٢ ـ «اليهود بدون شك هم العرق الأكثر نقاء من جميع حضارات العالم». (ناحوم سوكولوف، أحد زعماء الصهيونية)	٢ ـ نحن نناضل من أجل تأمين وجودنا ونشر قوميتنا.. نناضل ليتمكن شعبنا من تحقيق رسالته التاريخية الملقاة على عاتقه من قبل خالق الكون». (هتلر)

الصهاينة	النازية
٣ - «يمتلك اليهود امكانيات كبيرة وقدرات هائلة تفوق الأوروبيين، فكيف بالشعوب والجماعات التي تقطن آسيا وافريقيا». (ماكس نورداو)	٣ - «لا أعتقد أن هذه الشعوب التي تسمى «شعوب مضطهدة» (الهند - مصر) والتي تنتمي إلى العالم السفلي يمكنها مصارعة انجلترا. لذلك لا اريد لشعبي أن يقرن مصيره بمصير هذه الشعوب المضطهدة». (هتلر)
٤ - «لقد وهب التاريخ الشعب اليهودي صفات أخلاقية وعقلية نادرة. وهذا ما يعطي اليهود الحق والواجب ليكونوا منارة بين الأمم». (دافيد بن غوريون)	٤ - «يعتبر العرق الآري «بروموثيوس» الإنسانية. لقد وهبه الرب الفكر الجلي وأعطاه الأسبقية ليوقد النار الأولى في الفكر الإنساني». (هتلر)
٥ - «تتميز مطامحنا ومثلنا عن جميع مطامح ومثل العالم. لذلك نحن شعب مميّز. ويمكنني الاعلان بشكل مهيب أننا فوق الأمم ولا يمكن لأية أمة أن ترقى إلى مستوانا». (رابين غاستر)	٥ - «جرّبوا أن تبعدوا دور العرق الآري في المستقبل. فهذا سيؤدي بعد آلاف السنين، إلى وقوع الحضارة الإنسانية في الظلام، وستندثر الثقافة وتفرغ الأرض». (هتلر)
٦ - «الشعب اليهودي هو ظاهرة تاريخية نادرة. وبنفس الوقت أمة، ودين مكتمل، وعرق يحمل بذور حضارة مميزة». (ناحوم غولدمان)	٦ - «فيما يخص الشعب الألماني، ينبغي القول أن باستطاعة ألمانيا تأمين مستقبله في إطار دولته العالمية العظمى.. فالحق في اكتساب أراضٍ جديدة ليس حقنا فحسب، بل واجبنا، فإذا لم نتوسع سوف تكون نهاية شعبنا العظيم هي الفناء».. (هتلر)
٧ -«الخير هو للإنسان الخارق والأمة الخارقة التي تملك القوة.. والتي تمتلك الإرادة لتصبح سيدة	٧ - «يجب على الحركة القومية الاجتماعية

الصهاينة	النازية
العالم، بغض النظر أن هذا سيكلّف الشعوب والأمم الفقيرة غالياً وبغض النظر عن العواقب التي ستحل بهم. فالإنسان الخارق والأمة الخارقة هما المنارة والهدف للجنس البشري. أما بقية الشعوب فقد خلقت لتكون خدماً من أجل تحقيق هذا الهدف، خدماً على السلم الذي يتم تسلقه إلى القمة». (آحاد عاهام)	العمل للحفاظ على التوازن بين حجم الأمة الألمانية ومساحة الأرض. فعندها ستحتل المكان الذي نعتبره من حقنا للقيام بدورنا في التاريخ». (هتلر)
٨ - فلسطين يجب أن تكون وطن اليهود فقط... يجب خلق موقف «حقائق التهجير» وافهام العرب بأن من واجبهم مغادرة أرضنا باتجاه الصحراء». (فلاديمير جابوتنسكي)	٨ - طبعاً لا أحد سيتنازل عن أرضه باختياره. لذلك من حقنا استخدام القوة..» (هتلر)

يرى يفسييف أن التشابه بين الصهيونية والنازية يتعدى نطاق الأفكار والعقائد السياسية إلى أبعد من ذلك بكثير. فهتلر اعترف، علناً، في فيينا في حديث له، أنه «اكتسب» من الصهاينة الدسائس السياسية، التقنية، الأساليب السرية، الارهاب، الأسرار الدفينة، المناورات إلخ.. «أما الصهاينة الجدد فهم ينفذون بأعمالهم التوجه الهتلري». وذلك انطلاقاً من الموقف العنصري حول «التفوق اليهودي على البشرية»، وأن لدى اليهود «تاريخاً طويلاً وجغرافيا قليلة»، فهم «يحاولون إصلاح هذا «الظلم» بطريقة الجيوبوليتيك الخاصة، التي تتلخص في احتلال «أرض بلا شعب، من أجل شعب بلا أرض»..

مما يعني طرد الفلسطينيين من أرضهم»، والتوسع المستمر للعسكرية الصهيونية.

إن الصهاينة يدرّسون العنصرية في مدارسهم، و«يعلمون الحقد والكراهية على الشعوب الأخرى»، ويعتبرون «الأمة اليهودية» خير الأمم.. ففي مقدمة الكتاب المدرسي للفلسفة اليهودية الذي يدرس، الآن، في المدارس الصهيونية نقرأ ما يلي: «إن الأمة اليهودية هي أمة اختيرت لأفضلية عرقها وثقافتها ومناخ الأرض التي تطورت فيها... إن العرق اليهودي هو أفضل الأعراق لأنه تكون عن طريق انتقاء الأفضل من كل جيل، إن آدم الذي خلقه الله على أحسن تقويم، كان لديه الكثير من البنين، وكان أفضلهم ابنه شيت. لقد اختير ليحفظ العرق من آدم حتى تكون الأمة اليهودية»..

ويتساءل يفسييف «بماذا تختلف هذه الفلسفة عن فلسفة النازيين الألمان الذين درسوا شخصية «الأمة الآرية» ساعين لجعلها سيدة الكون»؟ أما بقية الأمم فهي مجرد «خدم» لهم!

إن الصهاينة كانوا وسيظلون «الاخوة الروحيين للفاشيين والعنصريين»... وإن كل الأساطير والخرافات حول «تفوق اليهود» ليست سوى «رياء ديني ساذج جعل منه المفكرون الصهاينة في الوقت الحاضر أساس الأيديولوجية العنصرية الحاقدة على الإنسانية، وأساساً لسياسة إسرائيل»[٣٤].

علاقة الصهاينة بجنوب افريقيا

يشير يفسييف إلى أن العلاقات بين الصهاينة والمستعمرين العنصريين البيض في جنوب افريقيا، بدأت منذ عام ١٩٠٦ «عندما زار وريث هرتزل (فولفسون) جنوب افريقيا لتعبئة وتوحيد الأفكار. وتعززت

الصداقة بين ايان سميث وحاييم وايزمان الذي أصبح أول رئيس لدولة «إسرائيل»، وحيث اعترفت بها جنوب افريقيا عام ١٩٤٨، وقدمت لها المساعدات العسكرية السخية».

إثر وفاة سميث، دعا خليفته الفاشي الدكتور مالان، «اليهود»، الذين يشكلون ١٥٪ من سكان جوهانسبورغ البيض، إلى «الاشتراك في الصراع» ضد «الخطر الأسود». وغالبية يهود جوهانسبوغ (١٤٠ ألف) هم «أعضاء في الحركة الصهيونية العالمية».

أول زيارة لرئيس دولة الصهاينة موسى شاريت قام بها إلى جنوب افريقيا، كانت عام ١٩٥٠. وردّ الدكتور مالان بزيارة تل أبيب عام ١٩٥٣. «وتطورت العلاقات التجارية بين النظامين العنصريين»، فاستورد الاسرائيليون الألماس من جنوب افريقيا، وقاموا بمعالجته، وصدّروه إلى أمريكا وأوروبا.

شكّلت المنظمات والشخصيات الصهيونية في جنوب افريقيا ركيزة يعتمد عليها النظام العنصري هناك. والجدير بالذكر، هنا، أنه عندما «جرت محاكمة نلسون مانديلا ورفاقه من زعماء المؤتمر الوطني الأفريقي، كان المدّعي العام هو الزعيم الصهيوني بيرسي بونار، وحكم القاضي الصهيوني م. يوتار على مانديلا بالسجن مدى الحياة». وقد رقي، بعدها، هذا القاضي إلى «منصب الحاكم العام لمقاطعة أورانج».

وقد تطورت العلاقات بين النظامين العنصريين «في مختلف المجالات بما فيها النشاط التجسسي والأمني والتعاون النووي».

وفي عام ١٩٦٧ خصصت حكومة العنصريين في بريتوريا مبلغ ٢٨ مليون دولار لدعم العدوان الصهيوني و«أرسلت الطيارين والمتطوعين

للاشتراك في الأعمال القتالية». وتقوم دولة الصهاينة بمساعدة جنوب افريقيا في تطوير القوات المسلحة وتقديم الخبرات «للتغلب على السكان السود»، وتدريب الطيارين من روديسيا على طائرات الفانتوم. كما تلعب دور «الوسيط» لشراء الأسلحة للنظام العنصري من أوروبا وأمريكا.

وقد «تمكنت الدولة الصهيونية من صنع الأسلحة النووية من خلال التعاون مع حكومة جنوب إفريقيا»، وتحت الرعاية الأمريكية. ففي عام ١٩٥٤ قام وزير الدفاع الصهيوني، آنذاك، موشي ديان بزيارة واشنطن، واستقبله كبار ضباط الجيش الأمريكي، و«اطلعوه على أسرار الأسلحة النووية». وفي عام ١٩٦٨ «نجح الصهاينة في إيصال ٢٠٠ طن يورانيوم بعملية سرية إلى إسرائيل». ونشرت جريدة «صانداي تايمز» البريطانية تفاصيل هذه العملية في ٢٥/ ٦/ ١٩٧٨.

وفي ٢٢/ ٩/ ١٩٧٩ قامت الدولة الصهيونية «وبالتعاون مع جنوب إفريقيا» بأول تفجير نووي في البحر جنوبي «كيب تاون». ويجري التعاون بين النظامين العنصريين من أجل «صناعة الغواصات الحاملة للأسلحة النووية في قاعدة «سايموس تاون» العسكرية البحرية» في جنوب إفريقيا.

وفي حرب تشرين عام ١٩٧٣ «تم إسقاط طائرة ميراج في قناة السويس، مهداة من نظام جنوب إفريقيا لحكام إسرائيل». وقد ذكرت في حينه صحيفة «ديلي تلغراف» البريطانية في ٣٠/ ١٠/ ١٩٧٣، أن «بريتوريا أرسلت مجموعة من الطائرات المقاتلة لتكون تحت تصرف القيادة الإسرائيلية». وبالمقابل، قدمت الدولة الصهيونية للنظام العنصري في جنوب إفريقيا «ترسانة من الرشاشات الإسرائيلية «عوزي»، وطائرات «عرفة»، وصواريخ «غابريل». . وقامت بتدريب

الجيش العنصري لاجتياح أنغولا عام ١٩٧٥»[٣٥].

الصهيونية والخرافات

الصهيونية لا تستند البتة، نظرياً وسياسياً، إلى أي أساس واقعي أو علمي. إنها تقوم على الخرافات والمزاعم والتضليل والطفيلية، وهي تستمد قوتها الفعلية من سواها، أي من الدعم الإمبريالي الذي يحتاجها. فالصهيونية هي الخواء الروحي والإنساني، وبالتالي، حاجة الآخرين إلى هذا الخواء! أي حاجة الإمبريالية إلى الطفيلية والتخريب وفرض الهيمنة.

ومن وجهة نظر يفسييف، فإن الخرافات والأساطير «ظهرت جنباً إلى جنب مع العلم»، وبالرغم من ذلك فانها «تترك آثاراً اجتماعية ثقيلة». ومنها «أسطورة النظرية العنصرية»، إن العلم قد برهن وأقر «اختفاء الشعب اليهودي القديم وذوبانه بالكامل وسط الشعوب الأخرى كحقيقة علمية». وقد وصل إلينا بطريق الميراث لفظ «يهودي» فقط، الذي «يعتبر، اليوم، لفظاً تقليدياً للكثير من الجماعات السلالية التي لا تتشابه أبداً فيما بينها، وهي بعيدة كل البعد بعضها عن بعض من الناحية الانثروبولوجية، وتعيش في بيئات جغرافية وقومية مختلفة، ولكن يجمعها شيء واحد عام هو الدين اليهودي، أو التقاليد القائمة على اليهودية» وبالرغم من ذلك فإن الصهيونية تعلن عن وجود «شعب يهودي عالمي»، و«أمة يهودية عالمية»، و«أمة خالدة، كعقيدة مقدسة». هذا علاوة على الادعاء بوجود «شعب الله المختار»!

ويعقب يفسييف على ذلك «لقد كان يجب على الصهيونيين أن يصنعوا تمثالاً من الذهب لهتلر، وخاصة أن «الفوهرر» أكد في كتابه «كفاحي» أسس عقيدة الصهيونية الجامدة، وأعلن عن وجود شعب

يهودي عالمي، وجنس يهودي».

وعلى هذا الأساس، اليوم، «تحشد» الصهيونية «جيشها الجرار من كتائب المرتزقة والمخربين الأيديولوجيين لإعداد هذه المسألة واستخدامها في شكل مفتاح أيديولوجي مميّز».. للتأثير الفكري والروحي وتحديد أدوار مختلفة، للتأثير في «المعارك الاجتماعية للعصر»[٣٦]، ولصالح الإمبريالية.

رجعية المفاهيم الفلسفية الصهيونية

يتسّم ما يسمى بالمفاهيم الفلسفية للصهيونية، التي تستخدمها سلاحاً أيديولوجياً، بطابع انتقائي تلفيقي، فهي في جوهرها تعتمد على العقيدة الدينية ـ الشوفينية الجامدة للديانة اليهودية، وإبراز الطابع العنصري الدموي القبلي فيها، ويتجلى ذلك بالاعتماد على الخرافات والأساطير، التي تتحدث بمزيج من التصورين العرقي والديني القبلي المتخلّف، عن «اتحاد اليهود مع الله»، والاعتقاد «باستثنائية» اليهود باعتبارهم «شعب الله المختار». لقد ذكرت «الموسوعة اليهودية» (المجلد ١٤، ص ٣٣٠) ما يلي: «لقد ولدت الصهيونية بدون شك في تربة التفوق العرقي»! وهو ما أكده، أيضاً، نورداو أحد منظري الحركة الصهيونية بقوله: «على امتداد ألفي سنة، كان التفوّق العرقي والصهيونية مفهومين متشابهين.. إذ ليس بالأمر السهل أن نفصل بين الصلوات عن ظهور أرض الميعاد، والرغبة في العودة إلى الوطن التاريخي (فلسطين)».

إن ادعاءات «الدور التاريخي» العالمي، والتفوق العرقي لليهود، تمثل الاتجاه الفلسفي الحالي في الحركة الصهيونية لاستمالة وتأييد الرأي العام العالمي. وهي تستخدم، أيضاً، وبشكل تلفيقي مراوغ

الكلمات «الرفيعة» مثل: «الإنسانية، التقدم، العدالة الاجتماعية»، إضافة إلى مزايا وفضائل وحسنات «نمط الحياة اليهودية» على شعوب بلدان العالم قاطبة!

ويلجأ «المنظرون» الصهاينة إلى ادعاء وجود «تعدد» في مفاهيمهم الفلسفية، بهدف تحقيق عددٍ كبيرٍ من الأهداف الأيديولوجية. بينما حقيقة الأمر، أن «هذا التعدد موجود شكلاً»! لأن الأشكال والنماذج المتعددة «للفلسفة» الصهيونية من «عقلانية وليبرالية ولاهوتية وتجريبية وصوفية وطبيعية»، والتي «تدخل مع بعضها البعض في جدال»، فان «جوهرها واحد». فهي أولاً «شوفينية سافرة»، ومحاولة «إثبات «لاستثنائية» اليهود، وتصويرهم ككائنات «حيوية»، «سرمدية»، «واقعية»، وذلك مقابل كل الناس الآخرين «المحتملين»، و«الوهميين». وهي ثانياً، تقدم «خدمة مكشوفة للديانة اليهودية، وتقديس للتوراة، وإيمان بوجود إله إسرائيل»..

ولذا، نلاحظ أن ما يسمى «الفلسفة الصهيونية» هي عبارة عن «تجميع العقائد الاصلاحية الجامدة للديانة اليهودية»، وحيث «تحاول الصهيونية اخضاع الديانة اليهودية لها من أجل استخدامها وسيلة احتياطية في صراعها الأيديولوجي». ومع ذلك يصعب إقناع كل إنسان «بشواهد«الكتاب المقدس» في عصر الثورة العلمية التقنية».

ولذا، بادر «المنظرون» الصهاينة «بانصياع عجيب إلى تلبية المطالب الاجتماعية المخصصة لخدمة زعماء الصهيونية.. فوضعوا بين أيديهم عدداً من التفسيرات والتأويلات الفلسفية ـ الاجتماعية: من الكانيتة المحدثة والوجودية إلى الوضعية، وتشويه الماركسية».

وقد أسفرت المحاولات الدينية ـ الفلسفية الأولى «لبناء الأساس

السياسي للصهيونية عن بروز اتجاهين متنافسين في الصهيونية نفسها: «شرقي»، و«غربي». وقد كان هرتزل.. ونورداو.. من أبرز قادة ومنظري الاتجاه الغربي في الحركة الصهيونية». أما «التيار الشرقي»، الذي تطلق عليه تسمية الاتجاه «الروحي» أو «السري»، فقد قاده الحاخام أحد، الاسم المستعار له «غينتسبرغ».. وهم «جميعاً لم يكونوا فلاسفة متخصّصين». رغم أن آراءهم ونقاشاتهم «تركت بصماتها وآثارها على مجمل التطور اللاحق للفلسفة الصهيونية».

كان مؤسس الصهيونية السياسية هرتزل، رجلاً من طراز غربي، وذا ثقافة أوروبية، وعمل كصحافي نمساوي يهودي في صحافة روتشيلد، وكان، «في البداية»، «معادياً للصهيونية»، وحيث كتب: «لو عاد اليهود حقيقة إلى موطنهم، لاكتشفوا، في اليوم التالي، أنه لا تربطهم ببعضهم منذ أمد بعيد أية رابطة. فقد ترسخت جذورهم على امتداد مئات السنين في أوطانهم الجديدة وأصبحوا أقواماً فيها» (نقلاً عن كتاب فولوفسكي، «تطور العقيدة الصهيونية عند هرتزل»، ١٩٠٥، ص ٤٢). ثم ما لبث بعد سنة واحدة، فقط، أن أخذ يدعو إلى الصهيونية، ويحث على إقامة «الدولة اليهودية»!

وقد يعود ذلك إلى عاملين (١) كونه يعمل موظفاً عند الرأسمالي الصهيوني روتشيلد، وربما يدفع منه. (٢) الخشية من تأثير الأفكار الاشتراكية التي بدأت في الانتشار وسط اليهود. ولأن الصهيونية تحاول، كأيديولوجية، أن تضع نفسها «فوق الطبقات»، وأن تطمس التناقضات الاجتماعية ـ الاقتصادية، من خلال شعارات تضليلية مزيفة. وكما يقول هرتزل: «إن حركتنا بمجملها تبتغي تحسين أوضاع ومصائر فقرائنا على وجه الخصوص»!

لكن ما يهمنا، هنا، هو تبيان هشاشة وعدم تماسك الأساس

النظري لمؤسس الصهيونية، فهو غيّر أفكاره، خلال سنة، وبناء على الطلب، أو تبعاً لاعتبارات سياسية برجماتية. فالصهيونية السياسية تبرز، هنا كوسيلة لتحقيق أهداف معينة. ومن هنا، طلبه في كتابه «الدولة اليهودية» من الدول الأوروبية أن تكون هذه الدولة «رأس جسر» للحضارة الغربية، أو جزءاً من الغرب، أو «الدولة الحاجزة». فهرتزل بيّن مدى فائدة المشروع الصهيوني بالنسبة للغرب الإمبريالي الذي يحتاجه من أجل تحقيق هيمنته في «الشرق».

أما الحاخام أحد (غينتسبرغ)، فقد جعل الصهيونية ترتكز على مفاهيم العنصرية والتفوق العرقي والديني. فتعاليم موسى في «التوراة» هي الهدف الوحيد الأسمى من أجل تأسيس «الجماعة القومية» على «الأرض التاريخية». وهو يتحدث عن مفهوم «الشعب» الموحد «في كل أجياله». وأن بعث التعاليم الدينية «الجماعية» «القومية»، هي المهمة «الروحية» أو «السرية» للصهيونية. وأن اليهود، فقط، هم الذين يستطيعون إدراك وتحليل فوضى الروح، وسر «تناسق» التناقضات التناحرية في المجتمع! وأن كل ما يحيط «بالشعب المتفوق» اليهودي ليس إلّا سلّماً له يصعد به أعلى فأعلى، غير عابىء بالخسائر التي يلحقها «بالجماهير الدنيا الفقيرة». وهكذا، يعتبر هذا «المنظر» (الذي وصفته «الموسوعة اليهودية» بأنه «أبرز وأخلص شخصية» في الحركة الصهيونية) أن اليهود هم «الشعب المتفوق» الذي توفر له «عبقريته الفذة» حقوق السيطرة على العالم! فقد كتب أن «دولة إسرائيل» يجب «أن تشمل بلدان المعمورة كافة، كي تصلّح العالم من خلال السيادة الالهية»! وذلك باعتبار أن اليهود هم «شعب الله المختار»، حسب العقيدة العنصرية الصهيونية! والواقع أنه تم ملاءمة التيار الديني الصوفي المنتشر في أوساط اليهود مع أهداف ومرامي الحركة الصهيونية، وخاصة بعد قيام الدولة الصهيونية. فقد كتب مارتن بوبر عام ١٩٥٧، في كتابه

«أنا وأنت» ما يلي: «إن الضرورة المتبادلة بين الله والإنسان أكيدة، كحقيقة وجود الله نفسه»! «فالتخاطب مع الله» ـ من وجهة نظر بوبر ـ «مزية لا يحظى بها كل إنسان»، إنما يحظى بها، فقط، من كان حاملاً لمزايا وصفات «استثنائية خاصة». وإرادة التوحد مع الله، جعلت اليهودي «خالقاً» على حد زعم بوبر. وهذا، عدا كونه إثباتاً لعنصرية الصهيونية، فإنه يصلح لتبرير كل الأعمال والممارسات العدوانية واللاأخلاقية الصهيونية! إن هذه الفلسفة ضارة كضرر الأنماط المتعددة «للاشتراكية المسيحية»، إذ تقوم على الحجة الواهية المعروفة «الاستثنائية القومية» أو «شعب الله المختار»؛ ذلك «الشعب الذي يخاطب الله منذ قديم الزمان بضمير أنت».. إن «الله معنا».. هذا هو الأساس الديني العنصري «لفلسفة بوبر».

وقد حاول كل من جيرمان كوغان، وفرانس تسفايغ، إضفاء براهين فلسفية «جديدة» على الديانة اليهودية! فيذهب دعاة الفلسفة الصهيونية إلى التوكيد على أن كوغان قد «أثبت» أن أسس الديانة اليهودية «لا تتعارض مع النظرة العلمية ـ الفلسفية»، لأن ما أسموه «بالديانة الفلسفية» (اليهودية) هي «بحد ذاتها تكوّن فلسفة علمية دقيقة. فالفلسفة العلمية ـ الدقيقة تعتمد أسس الديانة اليهودية كشرط أوّلي لا غنى عنه»! وحسب هذه الطريقة اليهودية في التفكير، يمكن الاستنتاج، أنه «كلما ازداد المرء قرباً من الله، كلما اقترب أن يكون «مصلحاً» في هذا العالم.. ولم يبق أمام أتباع كوغان إلاّ أن يضيفوا بأن اليهود «أقرب» البشر إلى الله وأنهم أكثر الناس كفاءة «لإصلاح» البشرية، مدعمين قولهم هذا بالاستشهاد بمعلمهم وبالكتاب المقدس»!

وقد رد لينين على مبدأ «الاشتراكية الأخلاقية» الدينية هذا، لكونه

يعطي في الواقع «أي شعب حق الاستيلاء والتصرف بأراضي شعب آخر».

أما المنظّر الآخر الصهيوني فرانس تسفايغ، الذي يُعتبر «أهم شخصية «فلسفية» صهيونية، فهو قد جمع بين آراء كوغان وبوبر اللذين اعتبرهما «وجهين لميدالية واحدة». وحاول أن «يضع» برهاناً فلسفياً لفكرة «شعب الله المختار»، الفكرة الرئيسية عند اليهود في الكتاب المقدس. فاعتبر اليهود قد منحوا «الحياة السرمدية»، وهم يوجدون، دائماً، في «قمة التاريخ»، بينما يوجد الأوروبيون دائماً «في الطريق». وتقود النزعة الصهيونية «الفلسفية» تسفايغ إلى تزوير التطور التاريخي ونفي التقدم. فهو يخاطب اليهود قائلاً: «لماذا نناضل؟ التاريخ ـ وهم»، «ففترة خلو عرش الملك» هي «لغير اليهود». فاليهود، الآن، في عصر «خلو عرش الملك» هم «ممثلو المملكة» في هذا العالم. ومن هذا المنطلق «يحاول أن يوحّد طاقات العنصرية اليهودية ويجمع كل اليهود تحت «نجمة» واحدة».

وتستخدم، اليوم، أفكار تسفايغ، على نطاق واسع من الصهاينة «لاستدراج» وتضليل وعي ملايين اليهود البسطاء. و«تبرير» الممارسات الإمبريالية العدوانية للصهيونية «باسم الله والدين»![٣٧].

فراغ الحقيبة النظرية للصهيونية

يتضح مما أوردناه أعلاه، أن الصهاينة لا يستطيعون «الافتخار بتنوّع ما تحتوي عليه حقيبتهم النظرية». فالصهيونية تسلحت بنظريات وعقائد لم تظهر إلاّ في القرن التاسع عشر (علاوة على اعتماد «الكتاب المقدس» كأساس «فلسفي»!) بواسطة أقطابها «النظريين» أمثال موزيس جيسي، وليوبنكر، وتيودور هرتزل (الأب الروحي)، ومارتن بوبر، ودافيد بن

غوريون، وناحوم غولدمان وغيرهم.

فجيسي الذي يعتبر من أوائل رواد الصهيونية بنى «تأويله» عن وجود «أمة يهودية عالمية» على أساس الدين، وما أسماه «الروح اليهودية الجماعية» التي تتجسّد في الصلاة.. لأن «أكثر الأشياء المؤثرة في الصلوات اليهودية القديمة أنها تعتبر بحق تعبيراً عن الروح اليهودية العالمية». فالابتهال في الصلاة «لا يقصد به فرد واحد، بل المقصود به كل الجنس اليهودي»! واليهودي الذي ينكر وجود الأمة اليهودية لا يعتبر مجرد «مرتد، من وجهة النظر الدينية فحسب، بل هو خائن لشعبه وجنسه وحتى لأسرته»؟!

وهذه المفاهيم و«المطالب» التي وضعها جيسي «منتشرة على أوسع نطاق» في الأوساط الصهيونية «في مختلف الدول، كما أنها تُستخدم في تجنيد الأنصار للصهيونية، وضم أعضاء جدد».. كذلك يؤكد ليوبنكر أن اليهود يعتبرون أمة نتيجة «وحدة الروح»! وهي تحمل «طابعاً خاصاً لا يستطيع الجميع فهمه». فالأمة اليهودية الروحية الواحدة تتمتع «بمزايا روحية تثير فزع المحيطين بها»!

كما يبني، أيضاً آحام جاوم، (وهو أحد أقطاب الصهيونية) «نظريته» عن الأمة اليهودية على الأساس الديني، فاليهود في جميع أنحاء العالم يشكلون «الأمة اليهودية التي اختارها الرب.. وتؤدي رسالة خاصة»!

وبدوره يرى «الفيلسوف» الصهيوني المعاصر مارتن بوبر أن اليهود هم «الشعب الوحيد في العالم» الذي تشكل وتكوّن «كجماعة دينية وكأمة» في آن معاً! وبذلك يؤلّه «الأمة اليهودية العالمية» المزعومة، ويعتبرها «ظاهرة» ناتجة عن «الحقيقة الأولى» الإلهية..

ولا «يشذ» منظّرو الصهيونية الآخرون كثيراً، عن ترويج مثل هذه الخرافات والأساطير القائمة على الدين، والمفاهيم العنصرية القائمة على ادعاء وجود «العرق» اليهودي، أو «التميز»، أو «الأمة اليهودية العالمية». ولم تخرج أفكار واستنتاجات هرتزل (الأب الروحي للصهيونية) عن هذا النطاق. فهو أبرز (١) أن اليهود يشكلون في كافة أنحاء العالم «شعباً واحداً». (٢) أن اليهود دوماً عرضة للاضطهاد. (٣) عدم القابلية على الاندماج في الشعوب الأخرى!

إن الصهيونية السياسية لم تقدم للبشرية أية إضافات فكرية أو فلسفية، فحقيبتها النظرية فارغة تماماً، ولا تحتوي سوى التعصب والحقد والتضليل والعنصرية. وقد ركزت على «الاستثنائية». وعدم الاندماج (الانفصال)، لكي تبرز فكرة أن وضع اليهود غير آمن في «الشتات» المزعوم، وذلك بهدف تبرير إقامة الدولة الصهيونية أداة الإمبريالية العالمية، على «أرض الميعاد»!

تهافت المفاهيم العرقية الصهيونية

يرى يفسييف أن الحقائق الواردة في عدد من البحوث العلمية الخاصة «بدراسة مختلف الجماعات السلالية المعروفة باسم «اليهود» والتي تعيش في أكثر من مئة دولة، أن هذه الجماعات، حتى إنشاء دولة «إسرائيل» عام ١٩٤٨، لم يكن بينها شيء مشترك يجمعها غير الدين، ولكن الدين لا يعتبر أساساً لشعب، وبالأحرى لأمة، لأن الوحدة الدينية لم تنتج شعباً أو قومية».

ويستشهد يفسييف بما كتبه ميشيل ليري الكاتب الأوروبي الغربي عن «العنصر والحضارة» في كتاب «المشكلة العنصرية والمجتمع»، الذي دحض نظرية التفوق العرقي، «إن العنصر يعتبر مفهوماً بيولوجياً بحتاً

لا يمكن، في أية حال، في إطار معارفنا، في الوقت الراهن، أن نستنتج منه أية استنتاجات علمية، من الأساس، حول طابع الإنسان وقدراته العقلية. ولكن هذا لم يمنع من أن تواصل العنصرية الواضحة والمستمرة حملاتها الضارية، وأن أغلبية الناس يعتقدون أن البشرية تنقسم إلى جماعات سلالية منفصلة، وأن ممثلي كل مجموعة منها مطبوعون بقدرات عقلية تناسب المجموعة فقط، وتنتقل فيما بينها بالميراث. كما أن هذا لم يمنع العنصرية من أن تزعم أن الجنس الأبيض ـ أو الشعوب التي تعتبر أفضل ممثلي هذا الجنس ـ يحتل قمة سلّم التدرّج، وتضفي العنصرية على هذه النظرة صفة الحقيقة المسلّم بها..» أما موضوع ما يسمى «بالجنس اليهودي» والذي يشكل «الأساس النظري للخرافة العنصرية فإنه يقوم على أساس خلط الحقائق في مجال الطبيعة» من ناحية، ومع الحقائق في مجال الثقافة من ناحية أخرى. أو على وجه الدقة، «في خلط الدلائل الفطرية المميزة للإنسان، بملامحه التي يكتسبها تحت تأثير البيئة التي نشأ فيها، أي الناتجة عن تراثه الاجتماعي».

أما الباحث السوفياتي «أ. رانوفيتش» الشهير، الذي يستشهد به، أيضاً، يفسييف، فيؤكد بأن «عملية الانقسام السلالي للشعب اليهودي القديم تطورت بطريقة حتمية واسعة وعميقة ولا رجعة فيها خلال سير التطور التاريخي، وفي ظل التغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وانتهت باختفاء هذا الشعب تماماً، حيث ذاب في جمهرة شعوب الشرق الأوسط وعرب آسيا وأفريقيا وأوروبا، والأجزاء التي خرجت منها نتيجة للهجرات تبعثرت في مختلف مناطق العالم، وفقدت حتى بداية فترة التطور الرأسمالي جميع الصلات، باستثناء الصلة الدينية، واكتسبت صفات الجماعات السلالية التي دخلت فيها».. وقد

شكلت هذه الهجرات «بداية ظهور جماعات سلالية جديدة، وملامح أنثروبولوجية جديدة ولغة جديدة وصفات أخرى تناسب تلك الجماعة السلالية التي دخلها القادمون، واشتركوا في حياتها الاقتصادية». ويضرب يفسييف بعض الأمثلة على ذلك، فيذكر أن يهود «جورجيا» واليهود الذين يعيشون في المناطق الجبلية بالقوقاز «قريبون، إلى حد ما، إلى السكان المحليين من حيث كبر حجم الرأس، والجبهة العريضة، وشكل الأنف ولون العين الداكن والشعر». كما أن اليهود «من شمال إفريقيا واليمن وسوريا متشابهون بعضهم مع بعض من حيث الملامح وقريبون من الملامح المنتشرة بين سكان البحر الأبيض المتوسط». ونقلاً عن رانوفيتش المشار إليه أعلاه، يورد يفسييف، أن بحوث الأنثروبولوجيا أثبتت «أن سكان مختلف بلاد العالم الذين يُدعون وفقا للتقاليد باليهود ليسوا جنساً واحداً من الناحية الفسيولوجية». لكنهم يقتربون، بوجه عام، «من حيث الملامح نحو السكان المحيطين بهم من غير اليهود». فاليهود الصينيون «لهم ملامح صينية واضحة التعبير، واليهود في أثيوبيا وفي مدغشقر، والذين يدّعون بأنّهم «أحفاد إبراهيم» ذوو ملامح زنجية»!

ويذهب الكاتب «ليري» إلى القول، في هذا الصدد، بأن «النازيين أنفسهم حينما وضعوا «معاداة السامية» في زاوية سياستهم الرسمية».. وزعموا بوجود «الجنس اليهودي» لم يتمكنوا «أن يقولوا شيئاً عن العلامات المميزة التي تميّز اليهود من وجهة نظر الأنثروبولوجيا، بل لجأوا إلى استخدام المعيار الديني»![٣٨] فاعتبروا الانتماء «للجنس اليهودي» مقتصراً على المنتمين، عملياً، إلى الديانة اليهودية.

ويذكر روجيه جارودي في كتابه «قضية إسرائيل والصهيونية»

السياسية» (مفنّداً ادعاءات الصهيونية بصدد النقاء العرقي وادعاء «التفوق» الروحي، والحق التاريخي)، أن المنطقة الواقعة في قلب «الهلال الخصيب»، الممتد من النيل إلى الفرات، كانت دوماً مجال «اجتياز وامتزاج للمجموعات الإنسانية المختلفة». وعندما كان «يصل بدو رحّل أو رعاة في طور التحضّر.. أرض كنعان»، كانوا يجدون «أن ثمة شعوباً أكثر منهم استقراراً كالكنعانيين خاصة، الذين كانت لهم مدنية حضرية، والذين عرفوا، في أواخر الألف الثاني (ق. م) الحديد والكتابة الأبجدية». والعبرانيون (اسم مشتق من «عبيرو»، نسبة إلى العبور)، وعلى عكس مما يروج التصور التوراتي التقليدي، لم يشكلوا، أصلاً، «عرقاً متميزاً قبل دخول البدو الرحّل أرض كنعان. فقد تشكلوا في «اتحاد» قبلي «من مجموعات عرقية متنوعة هي جزء من هجرات بدوية كبرى.. واستقر بعض هؤلاء البدو في كنعان وتابع الآخرون مسيرهم حتى مصر». و«استعار» هؤلاء البدو «من الكنعانيين لغتهم وكتابتهم وطقوسهم»، باحثين في وقت «يقع ربما حوالي سنة ١٤٠٠ (ق. م) في إثر الغزاة الهكسوس [البدو]، عن مراع جديدة في مصر. ولما طرد الهكسوس من مصر، اعتُبر على وجه الترجيح، هؤلاء الذين قدموا معهم، ونعموا بحمايتهم.. «كمتعاونين»، وأخضعوا لشروط حياتية قاسية أكثر فأكثر. إن هؤلاء الهامشيين.. الذين لم يشكلوا، قط، عنصراً أو قومية، بل فئة معارضة لفرعون تحت اسم «عبيرو».. فرّوا من مصر. إن هذا «الخروج» لأقوام غرباء مستائين كثير الحدوث ومبتذل إلى حد جعل كتب الحوليات المصرية تهمل ذكر هذا الخبر التافه، حتى ولا في شكل تقرير حرس الحدود» (في حين أن لدينا مثل هذه التقارير عن مثل هذا «المرور» منذ القرن التاسع عشر ق. م).

أما المصادر الوحيدة، خارج مصادر التوراة، عن «تاريخ» اليهود فهي قليلة، وحيث «جاء أقدم ذكر «لإسرائيل» على مسلّة تمجد انتصارات الفرعون مرنبتا Mernepta حوالي ١٢٢٥ (ق. م) ونقش عليها: أنه بعد استيلائه على المدن الفلسطينية، دمّر، أيضاً، إسرائيل». وأن «إسرائيل اكتُسحت ولم يعد لعرقها وجود قط». ولا يوجد في مراسلات فرعون مع أمراء فلسطين وسوريا أي أثر «لإسرائيل»، بل «معلومات جديرة بالاهتمام» عن المدن ـ الدول في أرض كنعان.

ويمكن الاستنتاج حتى من نصوص التوراة نفسها، أن داوود مؤسس «مملكة إسرائيل» القديمة، استفاد، لفترة معينة، من «توازن القوى» بين الدولتين الكبيرتين في ذلك العصر بابل ومصر، «وأقام مملكته المؤلفة من اتحاد قبائل عرقية مختلفة». وكان حرسه الخاص مؤلف من «كريتيين وفلسطينيين» في القدس التي كان يعيش فيها سكانها القدامى من اليبوسيين. أن «داوود هذا لم يحاول إطلاقاً تهويد كنعان، بل أنشأ، على العكس، دولة متعددة الأجناس تضم شعوباً مختلفة الأديان والمنشأ. وكان جدّه موآبي الأصل. وكان إذا وقع في ورطة أوكل حراسة أهل منزله إلى ملك مؤاب».

ومن الطريف التسجيل هنا (حسب ما يذكر جارودي)، أنه بموجب قوانين دولة الصهاينة في فلسطين، حالياً، أنه «لا يعتبر يهودياً إلّا من ولدته أم يهودية». وبذلك فإن «الملك سليمان لا يعتبر يهودياً، ولا يستطيع الإفادة من «قانون العودة» ذلك أن أمه لم تكن يهودية بل حثية»!

إن دور العبرانيين في فلسطين تاريخياً، هو دور محدود جداً، زمنياً (من ١٦٦ ـ ٧٠ ق. م) وحضارياً، قياساً بتاريخها الطويل، وحيث

لا يتم ذكر سوى «هجرة القبائل العبرية دون غيرها من الهجرات» الأخرى. و«مملكة داوود دون غيرها من الممالك». . في التوراة.

ويستنتج جارودي: «أن تاريخ فلسطين الذي يدرس في مدارس «إسرائيل» من عمل المزوّرين». كما أن «التاريخ المقدس» في مدارس التعليم الكاثوليكي، أو في «مدرسة الأحد» البروتستانتية في الغرب، «اعتماداً على قراءة في التوراة دون الرجوع إلى التاريخ الحقيقي للشرق الأوسط»، إنما «يتناوب العمل، لا إرادياً، مع دعاوى الصهيونية السياسية، مهيئاً ملايين المسيحيين في العالم إلى أن يتقبلوا، كحقيقة، القصة الأسطورية القاتلة للشعب الفلسطيني وسلام العالم». وتستخدم الصهيونية هذه الأساطير «لتسويغ ادعاءات إقليمية وضم أراض واعتداءات».

وهكذا بعد أن زوّر الصهاينة تاريخ فلسطين، وحوّلوها إلى «صحراء تاريخية» (باستثناء عهود الوجود العبري) فهم يحولونها إلى صحراء جغرافية «أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض»!

لقد افتعلت الصهيونية «استمرارية عنصرية وعرقية الشعب اليهودي» المزعوم، واستناداً إلى «أنساب خيالية، ورفض الاندماج». . بعد أن «هدمت الاستمرارية التاريخية» الحقيقية للأرض الفلسطينية. . وصوّرت «كأن اليهود الحاليين أسلاف وورثة طبيعيون «لإسرائيل» العهود التوراتية». . ![٣٩]

والجدير بالملاحظة، هنا، أن انجلز في معرض تحليله لمسألة أصل اليهود وديانتهم، أكّد على وجود صلة وثيقة بينهم وبين القبائل السامية الأخرى، التي أطلق عليها تسمية «البدو». وقد كتب، في رسالة له إلى ماركس في ٢٦ أيار ١٨٥٣، ما يلي: «إن ما يسمى بكتاب اليهود المقدس لا يتعدّى كونه مخطوطة من المخطوطات الدينية العربية

القديمة، والعادات القبلية التي تغيّرت بسبب انفصال اليهود المبكر عن جيرانهم، الذين تربطهم بهم وشائج القرابة، والذين بقوا قبائل رحّل»[٤٠].

يذكر الباحث رانوفيتش، الذي يستشهد به يفسييف، أن الكتاب المقدس كان «الشيء الوحيد المشترك عند اليهود». ويؤكد أنه حتى في القرون القديمة «كانت اللغة الآرامية وليست العبرية هي لغة الخدمة الدينية في فلسطين وفي أجزاء من سوريا وبابل». وفي البلدان الأخرى، كان اليهود يستخدمون «اللغة اليونانية»، ويقرأون بها كتبهم الدينية الأخرى.

ويورد يفسييف أمثلة بالغة الدلالة، فيذكر أنه في آذار ١٩٧٠ عقد في المعبد اليهودي في موسكو «مؤتمر الأكليروس اليهودي» الذي «ضم ممثلي الجماعات اليهودية الدينية في الاتحاد السوفياتي، وقد بدا، هنا، أنه من المتوقع أن يكون الحديث في المؤتمر بلغة واحدة، وهي لغة التوراة أي اللغة العبرية. ولكن هذا لم يحدث. لقد تحدّث المجتمعون بلغات مختلفة واستخدمت اللغة الروسية كلغة تفاهم فيما بينهم»[٤١].

ويذكر، في مكان آخر، أنه «إذا كانت اللغة المشتركة من مقومات الأمة، فليس في «إسرائيل» لغة مشتركة. . (و) على سبيل المثال. إن «الإسرائيليين» في الجلسة الأولى والثانية في البرلمان (الكنيست) ناقشوا كافة مشاكل دولتهم باللغة الروسية»؟![٤٢].

هل توجد «أمـة يهوديـة»؟!

مما سبق، يتضح أن ادعاءات الصهاينة حول وجود سمات مشتركة مميزة لوجود أمة يهودية، هي ادعاءات أيديولوجية وهمية، لا تصمد أمام الوقائع والتاريخ والمنطق البسيط والتحليل العلمي. وجميع محاولات

الصهاينة «لاثبات» وجود «الأمة اليهودية» «تنقلب حججاً عليهم» كما يذكر يفسييف.

فالجماعات المختلفة المعروفة باسم «اليهود»، والتي تعيش في أكثر من مئة دولة، «لم يكن بينها شيء مشترك يجمعها غير الدين، ولكن الدين لا يعتبر أساساً لشعب، وبالأحرى لأمة، ذلك لأن الوحدة الدينية لم تنتج أبداً شعباً أو قومية». واليهود «يعيشون وسط عشرات الأمم، وهم لا يرتبطون فيما بينهم بأية وحدة اجتماعية أو روابط قومية تربط ما بينهم، إنهم لا يعيشون في أرض واحدة ولا توجد بينهم وحدة اقتصادية، كما أن لديهم خليطاً لا يمكن تصوره من اللغات والثقافات التي تختلف في كثير من النواحي. ولا «تتميز» الحالة الروحية والدينية العامة التي نلاحظها لدى اليهود.. لأن مثل هذه الروابط توجد، أيضاً، لدى المسلمين والمسيحيين.. غير أن هذا لا يعطينا الأسس العلمية للحديث عن «أمة إسلامية» أو «أمة مسيحية» أو أمة من أصحاب العقيدة القديمة وما شابه». وليس الحديث عنه سوى مجرد «هراء».

إن وجود أية أمة يشترط توفر العديد من العناصر اللازمة لوجودها وتطورها، وأبرز هذه العناصر يتمثل في «وجود راسخ للوحدة واللغة الواحدة ووحدة الأرض وأصالة الثقافة والمزاج النفسي العام، الذي يتشكّل ثم ينعكس بعد ذلك في التقاليد التاريخية، وفي شكل المعيشة والملامح الخاصة للثقافة والتطور الاقتصادي والسياسي». وهكذا، «يظهر بطلان النظرية الصهيونية الخاصة بالأمة اليهودية».

يرى يفسييف أن المنهج العلمي يتطلب من الباحث تجاه أية ظاهرة اجتماعية، التحليل الدقيق لهذه الظاهرة، وعلاقتها بمجموعة المشكلات التي لها صلة بمادة البحث. وفي هذا السياق هل يشكل اليهود قومية أو جماعة سلالية أو قبيلة أو عشيرة إلخ؟...

إن اليهود لا يشكلون «قومية عالمية» حسب ما يدّعي الصهاينة. فهم جماعة لا تملك العناصر التي تميّز القومية، «وعلى أقل تقدير وحدة الأرض واللغة والثقافة».

ويستشهد يفسييف بقول لينين الذي كتب: «الفكرة القومية اليهودية هي فكرة معادية صراحة للثورة، وتناقض مصالح البروليتاريا اليهودية نفسها، وتغرس في نفوس الجماهير اليهودية فكرة «الجيتو» والعداء ضد التجانس» (الاندماج).

ويتساءل يفسييف «فمن هم اليهود على أية حال»؟ إذا لم يكونوا أمة أو قومية؟ «أو عشيرة أو قبيلة أو أي شيء آخر؟ أنه ليست لديهم الملامح المميزة للقبيلة، ولا للعشيرة.. (و) من المستحيل أن نقول أنهم جماعة سلالية واحدة، فهم يشكلون جماعات سلالية تختلف من بلد لآخر ومن قارة لأخرى، وتتسم بخصائص ثقافية واقتصادية واجتماعية مختلفة، إلى جانب الخصائص العنصرية».

الاندماج: موت الفكرة الصهيونية

ويعتقد يفسييف أن موت الفكرة الصهيونية، التي لا أساس لكافة معتقداتها، ينحصر في «الذوبان»، أو الاندماج الذي يخاف منه الصهاينة «خوفهم من النار»، ويعتبرونه «أعظم الشرور»، لأنهم يريدون «عزل اليهود»، وبالتالي «إجبارهم على العيش تحت ظل راية الشك التي اخترعوها هم.. ألا وهي فكرة «الأمة» (المزعومة).. التي يرفعها تيار الرأسماليين في العالم». لذا، فإن «معاداة السامية» هو «سلاح الصهيونية».. وهي تُعتبر، حسب قول هرتزل»، حركة بالغة الفائدة لتطوير الذاتية الصهيونية».

وهناك الكثيرون وسط اليهود الذين «يعادون الصهيونية»..

و«يرفضونها»، و«يؤيدون الذوبان» (الاندماج). فمثلاً يرى الحاخام الأميركي «بروتون بيري» أن ما يسمى «بالقومية اليهودية»، «لم تكن، الآن، وفي أي وقت مضى، تعبيراً عن آمال وآلام اليهود في أمريكا أو في أي بلد آخر، إننا نرفض البرنامج الذي يحوّل اليهود إلى أقلية منعزلة مغلقة ومنطوية على نفسها». أما «البديل الذي نقدمه»، فهو «أن اليهود مواطنون في الدول التي يعيشون فيها، وقد أصبحت أرض تلك البلدان وطناً لهم.. ونحن نريد في العالم المعاصر أن نكون أفراداً أحراراً متكاملين تماماً في المجتمعات التي نعيش فيها، ولا نتميّز بشيء ما عن أبنائها إلاّ من ناحية الدين فقط».

جوهر «معاداة السامية»

إن الحديث عن أزلية «معاداة السامية» جزء مكوّن هام من أيديولوجية الصهيونية التي تختلق رواية «أن اليهود على مرّ العصور، وفي كل مكان وزمان، مكروهون لدى الشعوب الأخرى، وإن الرد الوحيد على هذا هو مبادلتها للكراهية»! وهذا تزوير للحقائق. لأن «معاداة السامية ليست شيئاً أبدياً، ولكنها ذات مواصفات تاريخية ووقتية محددة. فقد كانت التفرقة العنصرية في عصر تطور الرأسمالية، وخاصة مع تحوّلها إلى المرحلة الإمبريالية، تحتل أهم مكانة في ترسانة وسائل الصراع التي تستخدمها البرجوازية ضد البروليتاريا على نطاق واسع لتفتيت الحركة الثورية والشعوب والمحافظة على رأس المال». وحيث تحتل معاداة السامية «مكانة بارزة بين أشكال التفرقة العنصرية المتعددة للسامية». وقد لاحظ لينين وجود علاقة وطيدة «بين معاداة السامية ومصالح البرجوازية»، وبأن هذه المعاداة، ليس لها «جذور» حقيقية «في أوساط العمال». وكانت كلمة العنصرية طوال مئات السنين تعني معاداة الزنوج، ثم أصبحت تنطبق على الفاشية الألمانية.

ويرى يفسييف أن أول من استخدم هذا الشكل من التفرقة العنصرية هي «الطبقة المستغِلة في ألمانيا»، منذ عهد بسمارك حتى هتلر. فقد اتجهت جماعات من السياسيين إلى معاداة السامية، بمعنى «نشر العداء العام نحو اليهود، باعتباره الوسيلة المضمونة لتحقيق أهدافهم السياسية». كما وجد النظام القيصري في روسيا، أيضاً، في معاداة السامية وسيلة لتدعيم سلطته السياسية، وحيث بدأ البوليس القيصري في عام ١٨٨٠ «بتنفيذ برنامج للدعاية المعادية للسامية، وبدأت أولى مذابح اليهود نتيجة لاشعالها». وذلك بهدف تحويل أنظار الفلاحين والعمال عن «الصعوبات الحقيقية التي يلاقونها في حياتهم».

وخلال الأزمة الاقتصادية الكبرى عام ١٩٣٠ في الولايات المتحدة الأمريكية ظهر ١١٤ منظمة «تقضي كل أوقاتها»، وتضع إمكانياتها «في الدعاية لكراهية اليهود».. وكان «الكثير من هذه المنظمات» يموّل «سراً من الصناديق السرية للصهيونية»! ولقد استطاع العديد من السياسيين في الغرب أن يصلوا إلى السلطة، بعد أن يقدموا لمواطنيهم «كبش الفداء». فهتلر وصل إلى السلطة لكونه أقنع الألمان «بأن اليهود هم سبب جميع المصائب التي حاقت بهم»!

ففي عصر الامبريالية، «عصر التركيز الأكبر للسلطة والمال أصبحت الطبقة العليا من البرجوازية اليهودية وكبار الماليين اليهود وأصحاب الاحتكارات الصناعية».. جزءاً من «الأمراء الكبار» للامبريالية. وأصبحت معاداة السامية «صمّام الأمان لتسريب الضغط الداخلي الزائد، حيث تساعد على تحويل الانتباه عن المستغلين الحقيقيين وتوجيه الغضب ضد من ربطهم القدر التاريخي بروابط ظاهرية، وليست أساسيةمع المتسببين الحقيقيين في مصائب وشقاء الجماهير العاملة».. وتأليب «الجماعات الجاهلة من العمال» ضد

إخوانهم العمال في البلدان الأخرى أو في نفس البلد.

وقد أعلن ناحوم غولدمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية بكل صراحة: «أن الاختفاء التدريجي لمعاداة السامية، يمكن أن يعتبر خطراً جديداً على القضية اليهودية المشتركة، فينظر إلى اليهود في كل مكان تقريباً باعتبارهم مواطنين متساوين، سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية». . وبدوره أكد هرتزل على دور معاداة السامية، كما ذكرنا سابقاً، في «تطوير الذاتية اليهودية». وقسّم معاداة السامية إلى «معاداة شريفة، وأخرى غير شريفة»! فاعتبر «معاداة السامية الشريفة والتي لها مبرراتها هي التي تنعكس في اضطهاد اليهود الكادحين ومطاردتهم، ومعاداة السامية المضرة والذميمة، هي التي تنعكس في اضطهاد الصهيونيين ومطاردتهم، أي معاداة الصهيونية». ويرى يفسييف أن موقف زعماء الصهيونية لا يقتصر على «المنطلق النظري» في مجرد الدعوة إلى «خلق بؤر مصطنعة لمعاداة السامية. . بل إنهم يخططون لها ويشاركون فيها عملياً، ويمكن وضع كتاب كبير عن حقائق العلاقة المباشرة للصهيونيين بتنظيم التحركات المعادية للسامية». وقد اقترح السفاح شارون «عدة وسائل لزيادة تدفّق المهاجرين» إلى «إسرائيل»، فيذكر «أستطيع أن أضمن أن معاداة السامية أكثر فعالية عشر مرات في جلب اليهود إلى «إسرائيل» بالمقارنة بآلاف الرسل والمبعوثين والندوات التي تصدّر لزيادة الهجرة»[٤٣].

والجدير بالذكر، هنا، أن ماركس ركز في مقالته عن «المسألة اليهودية» على فكرة أن اليهود محقّون في رغبتهم أن يصبحوا مواطنين مثل سائر المواطنين، وأن يندمجوا في المجتمعات التي يعيشون فيها، وينالوا فيها حقوقهم الاجتماعية والسياسية. لكنه يرى «أن اليهودية ليست ديناً وأيديولوجية فحسب، بل دين جماعة معينة، نذرت فيها أغلبيتها،

نفسها للتجارة والربح». ومن هنا، فإن النزعة المعادية للسامية ليست مجرد نزعة فكرية أيديولوجية فحسب، وإنما لها، أيضاً، أساس اقتصادي واجتماعي. وهي «ظاهرة من ظاهرات المنافسة؛ والمنافسة بين اليهود وغير اليهود تعبّر عنها أيديولوجية جشعة حريصة. إنها معركة حوانيت». فلا التحرر الديني، ولا التحرر السياسي في إطار الديمقراطية البرجوازية الليبرالية «يمكن أن يؤدّيا إلى حل القضية اليهودية». لكن ثمة «تطوراً مزدوجاً يمكن أن يحل هذه المسألة: فمن ناحية، يجب أن يتحرر المجتمع كلّه من سلطة المال، ولكن من ناحية ثانية، يجب أن يكف اليهود أنفسهم عن طلب المال، وعن أن يروا فيه طريقاً إلى قوة وحرية، لا بد من انقلابهما يوماً على اليهود أنفسهم. . إذا كانوا لا يريدون الذوبان في الشعوب الأخرى». . وخاصة أن يندمجوا في الشعب الكادح، وفي المجتمع الذي سينشئه.

ويرى ماركس أنه علينا «أن لا نبحث عن سر اليهودي في دينه»، وإنما عن «سر هذا الدين في الإنسان اليهودي الواقعي». فما القاعدة المادية والزمنية في اليهودية؟ إنها «إرضاء الحاجات الزمنية» و«الأنانية». واليهودي لا يعبد سوى «المتاجرة والربح»، وإلهه الزمني هو «المال». . و«العصر الحاضر بتحرره من مبادىء المتاجرة والمال، مبادىء الكسب والجشع، بتحرره من اليهودية، كما تطبق واقعياً وعملياً، إنما يحرر نفسه أيضاً».

«الدين اليهودي في نظام الصهيونية»

إن كل المنظرين الصهاينة، يستشهدون بكثرة بالمفاهيم والمعتقدات اليهودية الدينية الجامدة خاصة، بالنسبة «للخصائص والصفات الاستثنائية لأبناء الدين اليهودي» الذين «يتميزون عن غيرهم من بني البشر»، ويشكلون مجموعة خاصة «متفوقة».

وتقسّم كل من اليهودية والصهيونية، بصورة مريحة ومبسطة كافة الشعوب إلى فئتين: اليهود، وغير اليهود «الجوييم». وتستند السياسة الاستعمارية الاستيطانية التوسعية للدولة الصهيونية إلى الدين اليهودي، «ونظرية عودة الحقوق التاريخية» التي تقوم «على أساس ديني وأسطوري».

لكن البحوث الأثرية العلمية تستطيع «أن تساعدنا كثيراً في فصل التاريخ عن الخيال» وبالتالي، كشف الأساس التاريخي الاجتماعي الحقيقي، الذي تعرض للتشويه وإعادة «صياغة دينية وأسطورية في أساطير العهد القديم». ولقد «أصبحت أساطير الصهيونية في وضع حرج، إذ أن حفائر «أريحا» - على سبيل المثال - التي أجراها في الخمسينات «ك. كينون» الانجليزي، و«ن. جليوكوم» الأمريكي، أعطت نتائج «مذهلة فضلاً عن أنها مخيبة للآمال. فقد اتضح أن مدينة «أريحا» لم يكن لها وجود بالمرة سواء كبلدة صغيرة أو حصن لا في القرن الخامس عشر ق. م أو الثالث عشر ق. م. فقد دمّرها المصريون تماماً حوالي عام ١٥٨٠ ق. م». وذلك «بينما كانوا يقتفون آثار الهكسوس [البدو] المطرودين من مصر». ومنذ نهاية القرن الرابع عشر ق. م كانت الربوة التي تقع عليها مدينة أريحا خالية تماماً من السكان. وهكذا «باءت جميع مزاعمهم الخبيثة حول خروجهم من مصر وغزو أرض الميعاد بالفشل الذريع ككل مزاعمهم». كما أن «الصورة تكتمل حين نعلم أن البحوث الأثرية في مصر لم تستطع أن تكتشف حتى أقل أثر لوجود «الإسرائيليين» في الأسر هناك كما يزعمون». ولم يكن من الممكن، أيضاً، تبيان «وجود أي أثر لليهود بأية صورة من الصور في الآثار المادية، ولا المقابر السامية أثناء الحفريات التي أجريت في مختلف المناطق»!

والأساطير التي جاء بها العهد القديم لا نجد ما يدعمها في أية آثار أو نصوص هيروغليفية أو خطوط مسمارية في مصر وآشور وبابل، وأوغاريت، وأور، وماري وغيرها. كما تلقت نظرية «الاستثناء» الخاصة «بالشعب اليهودي المختار»، ضربة أخرى. فمن العادات والتقاليد القبلية والعشائرية في الشرق القديم، اختيارهم للرب «الذي يحمي عشائرهم وقبائلهم وإقامة علاقات معه على أسس من الالتزامات». إن إختيار وتمييز إله من بين الآلهة، يختلف عن الشكل الديني من التوحيد.. هذا بينما تذكر الكتابات اللاهوتية اليهودية والمسيحية عن «الشعب المختار» اليهودي أنه «كان أول من تلقّى من الرب الوحي بفكرة التوحيد». ويستخدم الصهاينة هذه النظرية الأسطورية الزائفة من «أجل خدمة مصالحهم الخاصة»[٤٤].

«فالوحي الإلهي» في الكتاب المقدس، كما فسّره حكماء التلمود، يتحوّل على يد الساسة الصهاينة إلى نظرية عنصرية تقول «بأفضلية اليهود وتفوقهم على كل البشرية». والديانة اليهودية، اليوم، في الدولة الصهيونية «جزء لا يتجزأ من جهاز الدولة، ومصدر رئيسي للتشريع».

ويركز المؤرخون الصهاينة الرسميون على أن «الصهيونية وجدت كفكرة منذ وجود اليهودية»، وأن ثمة «سلسلة متماسكة تجمع أجيال اليهود المتعاقبة في كل تاريخي موحّد، بدءاً من إبراهيم..».

ويمارس الصهاينة «تحت ستار المؤسسات الدينية نشاطات تنظيمية ودعائية واسعة.. (و) جباية التبرعات الدينية». وهم بطريقتهم النفعية واستغلالهم للديانة اليهودية، «يستفيدون من المعابد والحاخامات في الأماكن التي لا تستطيع فيها المنظمات السياسية العلنية أن تعمل

علناً. . وذلك من أجل ممارسة نشاطات تخريبيّة وتجنيد أنصار لهم من عداد المؤمنين»[٤٥] . وهذا يحصل في العديد من البلدان الاشتراكية، كما يرى يفسييف.

إن الديانة اليهودية، «بالرغم من قولها بالتوحيد»، وبالرغم من «التأثير الكبير الذي أثّرته في المسيحية والإسلام»، فإنه لم يعم انتشارها كثيراً بين الشعوب الأخرى، «ولم تصبح ديانة عالمية».

والعقبة التي حالت دون انتشارها كانت بسبب العديد من «الطقوس الدينية الخاصة»، مثل «تحريم الزواج المختلط»، الختان، تحريم استخدام لحوم بعض الحيوانات في الطعام وما شابه. وخاصة، «روح عدم التسامح مع أصحاب العقائد الأخرى»[٤٦].

ولقد «حاولت الديانة اليهودية»، كما يذكر انجلز، «مع إلاهها الجديد الشامل أن تصبح ديانة عالمية، لكن أبناء إسرائيل بقوا على الدوام أرستقراطيين وسط المؤمنين والمعوزين». وكان حتى على المسيحية «أن تتحرر أولاً من التصورات (التي سادت فترة طويلة فيما سمي بالهام يوحنا)»، عن «أفضلية» أو «امتياز» المسيحيين على اليهود، وذلك «قبل أن تستطيع أن تصبح ديناً عالمياً حقيقياً»[٤٧].

إن الديانة اليهودية، «في جوهر الأمر، ليست إلاّ الشكل الديني للجيتواليهودي. . (و) أن استراتيجيي الحركة الصهيونية يعلقون آمالهم، خاصة على الديانة اليهودية من أجل انعزال اليهود عن باقي السكان». والسعي لتحويلهم «إلى مجموعات منغلقة على نفسها في هذه الدولة أو تلك». والحركة الصهيونية تجمع في النظرية والتطبيق بين عقيدة «شعب الله المختار»، وادعاء «وحدة مصالح اليهود» في جميع بلدان العالم؛

بصرف النظر عن «طبيعة النظام الاجتماعي وشكل السلطة السياسية والبنيان الاجتماعي للدول التي يعيشون فيها».

ويعتقد يفسييف أن دعاة الصهاينة عاجزون عن الدفاع عن حقيقة «أن احتقار الناس غير اليهود، يشكل حجر الأساس في الديانة اليهودية».

وبالرغم من أن طابع الحياة في هذا العصر، وتطور الإنسانية، والمعارف والعلوم، قد أدى إلى انقلاب تاريخي ليس تجاه النظم الاجتماعية القديمة فحسب، بل تجاه تصورات ومفاهيم الناس، بما في ذلك التصورات الدينية؛ (وذلك مما يجعل من إمكانية ظهور أو بعث دين جديد أمراً صعباً أو «غير ممكن» كما يؤكد انجلز)[٤٨]. وبالرغم من كل ذلك، تسعى الصهيونية (مستندة إلى دعم الامبريالية وخدمة مصالحها) إلى «بعث» الدين اليهودي واستخدام السمات الأكثر رجعية فيه.

إن الحياة الرسمية في الكيان الصهيوني «مبنية» على تعاليم «الكتب المقدسة» و«الخالدة»، فالشوارع والفنادق تأخذ أسماء يهودية قديمة، حتى نظام تعداد التأريخ يبدأ من توقيت «خلق العالم» انسجاماً مع الأسطورة الدينية القديمة، فعام ١٩٧٢، مثلاً، يقابله في نظام تعداد التاريخ اليهودي عام ٥٧٣٢. وينقّح الحاخامات في إسرائيل كتاب الصلوات بهدف تقريبه من كتاب الصلوات التقليدي القديم. «كما أدخلت العادات الدينية البربرية، التي تحط من الكرامة الإنسانية، في صلب القانون الإسرائيلي». . وحيث تتسم التربية «بطابع ديني». ويؤلف الحاخامات اليهود مواد تدريس اللغة العبرية الحديثة، والعلوم الطبيعية، والجغرافيا والتاريخ في «كتب مقررة رسمياً». كما أنه منذ

تأسيس الدولة الصهيونية «حُرّم فيها تشريح الجثث أثناء دراسة الطب» لأن تشريح الجثث يعارض العقيدة اليهودية، التي تقول «ببعث الموتى». ولا يسمح بتشريح جثث الموتى، «إلاّ للأشخاص الذين أعطوا موافقتهم على ذلك قبل موتهم، والذين لا ترد من أقاربهم اعتراضات على ذلك». ويعتبر تدريس التوراة «إلزامي»، و«توازي» ساعات تدريس المواد الدينية عدد ساعات الرياضيات!

ويضرب يفسييف مثلاً، أنه في عام ١٩٦٥ «تمّ إعداد ١٠٥٥ معلماً في «إسرائيل»، منهم ٣٠٧ للتعليم في المدارس العادية العامة، و٥٠٢ للتعليم في المدارس الدينية الحكومية»! وتنظّم حياة العسكريين «وفق المقاييس الدينية، ويعار اهتمام خاص لأيام السبت، إذ يتوجّب على كل يهودي أن يهب وقته لقراءة التوراة فيها»، وتتجمّد وتتوقف كل حركة الأعمال، وتتوقّف الحياة نهائياً. ومن غير المسموح رسمياً تنقّل السيارات. وللأوساط الدينية الحق في معاقبة الأشخاص الذين يخرقون «قدسية يوم السبت». ووصلت سخافات الحاخامات اليهود إلى حد التساؤل، كما كتب الحاخام سميلكس في ١٩١١ «هل يمكن التحدث بالهاتف وسماع المذياع يوم السبت». كما أعد الحاخام ناتانزون بحثاً عن «منع استخدام الساعة المنبهة يوم السبت»؟!. وفي صيف ١٩٦٤ ناقش علماء التلمود في «إسرائيل بجديّة مسألة كيف يمكن لليهودي المؤمن أن يمجّد يوم السبت»؟! لكن في المرحلة الأخيرة من تحضير الهجوم العدواني على الأقطار العربية في ١٩٦٧، أصدر الحاخام العسكري، من أجل «توضيح الالتباسات ومنع التفسيرات الخاطئة»، نشرة «يسمح فيها ممارسة أية أعمال ذات طابع عسكري يوم السبت»!

ويحدّد التلمود العلاقات العائلية ـ القانونية في الكيان الصهيوني،

وحيث يتم حرمان المرأة كافة الحقوق، ويتم منع زواج الشاب اليهودي من ابنة غير اليهودي لأنه «يجعل النطفة المقدسة دنيئة». ولا تملك المرأة حق الطلاق، «حتى لو كان زوجها مجنوناً». كما أنها لا تملك حق فسخ الزواج، ولا حق الإرث. ومبادرة الطلاق، حسب القوانين الدينية اليهودية السارية، هي «من حق الزوج فقط. وفي أحسن الأحوال، فإن المرأة تستطيع التوجه إلى الحاخامات راجية منهم أن يحثوا زوجها على «طردها». وفي حالة الطلاق، فإن الممتلكات والثروة التي جناها الزوجان.. إنما تعود ملكيتها للرجل». أما الأرملة، التي لم تنجب، فإنها «لا تملك حق الزواج ثانية، بدون موافقة شقيق الزوج.. حتى لو كان أخو الزوج المتوفي طفلاً صغيراً، فإن على المرأة أن تنتظر حتى يبلغ سنّه الثالثة عشرة، عندها يستطيع ـ حسب تعاليم الحاخامات ـ منحها السماح بالزواج من شخص آخر»!

ومن ناحية أخرى، تتحوّل الأقوال اليهودية الدينية مثل «اليهود ـ جسد واحد، روح واحدة»، «وكل يهودي مسؤول عن أخيه»، تتحول على «يد الجهاز الدعائي الصهيوني إلى شعارات وصيغ سياسية لدعم عدوانية الصهاينة». ويتدخل رجال الدين اليهود «في كل أمر». وذلك بدءاً من الاشراف على المسالخ ومنشآت الصناعة الغذائية، واللحم المستورد، وجباية الضريبة الزراعية لصالح المعابد اليهودية، وانتهاء بمراقبة تنفيذ الإرشادات الدينية التي تخص الطعام في المؤسسات الحكومية والاجتماعية وختن الأطفال، والإشراف على ممارسة الطقوس الدينية كافة، والدعاية الدينية داخل الجيش. ونتيجة «الاتحاد بين الصهاينة ورجال الدين»، فقد «أصبحت الصفات الملازمة لتعاليم الدين اليهودي في «إسرائيل»، مثل كراهية الإنسان، الدعاية لإبادة الناس بالجملة، وتمجيد الأساليب الإجرامية لبلوغ السلطة، أصبحت تملك مدلولاً

حقيقياً.. وتستخدم الروح العدوانية للديانة اليهودية» في الكيان الصهيوني، على يد الساسة الصهاينة من «أجل بلوغ أهدافهم السياسية الرجعية». كما أن الاتجاهات الدينية اليهودية المتعصبة، تستخدم، بدورها، وجود الكيان الصهيوني «ستاراً» للمطالبة «باعتبار «إسرائيل» مركزاً دينياً وسياسياً «وقومياً» ليهود العالم كافة»! إن «إقامة رقابة فكرية وسياسية على اليهود في بلدان العالم» من قبل الحركة الصهيونية إنما يتيحها «وحدة المصالح المشتركة التي تجمع بين الصهيونية والديانة اليهودية»[٤٩].

ويرى يفسييف أن التعرض بالنقد والتحليل للديانة اليهودية «التي يستخدمها الصهاينة في النشاط اليومي لدولة إسرائيل»، لا يعني محاربة رجال الدين.. والمؤمنين اليهود الذين يعملون «بشرف» في الإتحاد السوفياتي، ولأن المهمة الرئيسية «تتلخص في فضح الجوهر الرجعي للديانة اليهودية، ومن وجهة النظر السليمة الوحيدة أي الماركسية اللينينية»[٥٠].

«الجوهر الرجعي للديانة اليهودية»

كتب ماركس في «المسألة اليهودية» عن المحتوى الرجعي للديانة اليهودية، فذكر «إن ما يوجد في الديانة اليهودية، بشكل مجرّد هو احتقار النظرية والفن والتاريخ، واحتقار الإنسان». وهو نفسه «الأساس الذي يستند إليه التفكير الواعي للصهيونية السياسية»، وحيث قامت، «إنطلاقاً من مبادئها الأيديولوجية، باختراع شكل «روحي للعزلة الدينية - السياسية». وهذا الشكل «الروحي» الجديد يرتكز إلى نفس الفكرة اليهودية القائلة «بالاختيار الإلهي» و«الدور التبشيري»، و«الرسالة الخاصة لليهود في المجتمع البشري»[٥١].

فبالنسبة لكل من الديانة اليهودية والصهيونية، فإن الدين هو الذي يصنع الإنسان والمجتمع، وليس العكس. يورد ماركس في مؤلفه «المساهمة في نقد فلسفة الحقوق عند هيجل»، بعض الإشارات تجاه الموقف بوجه عام من الدين، والذي ينطبق أكثر ما ينطبق على الدين اليهودي القبلي (الخاص) الذي يعبّر عن «احتقار التاريخ والإنسان».. ويشوههما ويزوّرهما.

يرى ماركس أن نقد الدين هو «الشرط الأول لكل نقد» ويتم نقده بتفسيره وبالرجوع إلى التاريخ.. (ماركس، انجلز، «الأيديولوجية الألمانية»).

ويذكر ماركس، في كتابه عن هيجل المشار إليه أعلاه، «الإنسان يصنع الدين، وليس الدين يصنع الإنسان. الدين وعي الإنسان ذاته: إمّا حين لم يكن قد وجد ذاته بعدُ، وإمّا إثر فقده هذه الذات.. وهو وعي مزوّر عن العالم، لأنه يصدر عن عالم مزوّر، والدين هو النظرية العامة لذلك العالم [المزوّر] ودائرة معارفه، ومنطقه الشعبي، ومفخرته الفكرية والروحية، ومجال حماسته، والبراءة التي ترضي حسّه المعنوي الأخلاقي، وشيء جليل يكمّل ما يحسّه من نقص، وموضوعه الدائم الذي يجد فيه العزاء والتبرير.. إنّ البؤس الديني لهو التعبير عن البؤس الواقعي، والاحتجاج على هذا البؤس الواقعي، في وقت معاً. الدين زفرة الكائن المثقل بالألم، وروح عالم لم تبق فيه روح، وفكر عالم لم يبق فيه فكر.. فنقد الدين هو الخطوة الأولى لنقد هذا «الوادي الغارق في الدموع» حيث يركز الدين هالته. أن النقد ينتزع الأزهار الوهمية التي كانت تغطّي أغلال الإنسان، وذلك لا ليحمل أغلالاً عاطلة من الأزهار والأحلام، وإنما ليلقي عنه أغلاله، ويقطف الزهرة الحقيقية الحيّة. النقد ينزع الغشاوة عن عيني الإنسان، لكي يفكّر، ويعمل، ويكيّف حقيقته، كما يجدر بإنسان بلغ سن الرشد..». فالدين عامة،

يحاول «إخفاء أغلال الإنسان تحت الأزهار»، وكيف لا يتنهد «المخلوق الرازح في آلامه» متضرعاً إلى السماء؟. وسوف يظل الدين محتفظاً ببعض الهيبة والنفوذ، إلى أن يأتي يوم تصبح فيه ظروف معيشة الإنسان، العملية واليومية، علاقات قائمة على أساس عقلي، لأن الحياة الاجتماعية كلها «لا تتجرد من نقابها الصوفي الغامض، إلّا يوم تتجلّى في جملتها نتاج أناس أحرار، تشاركوا على نحو حر، يقومون برقابة متبادلة واعية، وفقاً لتصميم»[٥٢].. (ماركس، رأس المال، الجزء الأول ص ٦٦ - ٦٧).

إن للدين أساساً عميقاً في حاجة الكائن المضطهد إلى العزاء، والفكر، والروح، والجمال، وهو الكائن الذي حُرم الحياة، والفكر، والجمال. ويعاني من العجز والجهل.. هذه هي بعض من وجهة النظر العلمية الماركسية ـ اللينينية، التي يتبناها يفسييف تجاه الدين عامة، وهي تحتاج إلى تطوير ونقاش واغناء. لكن ما ذكره ماركس لا ينطبق، تماماً، على الدين اليهودي «الخاص»، بعد أن تم تشويه وتحريف «الموسوية»، على أيدي حاخامات المؤسسة الدينية اليهودية، وإبرازهم للجانب القبلي الإنعزالي اللاإنساني، ولمفهوم «شعب الله المختار»، والأفكار العنصرية، واحتقارهم «للنظرية والفن والتاريخ والإنسان»!

لقد التفّت الطوائف اليهودية حولِ أضيق تفسير للشريعة، وتوارت «خلف سياج أقامه حول التوراة الكاتب أو الكتبة الأوائل، ثم الفريسيون والتلموديون ورثة عزرا المشوِّهون للموسوية البدائية وأعداء الأنبياء.. وزاد من تفاقم هذه العزلة اعتقاد اليهودي بأنه مشرّب بخاصية استثنائية، فهو يفخر بامتياز توراته، حتى أنه يعتبر نفسه فوق وخارج بقية الشعوب.. واعتبر اليهود أنفسهم «الشعب المختار» الذي علا كل الشعوب، وتلك.. خاصية جميع الشعوب الشوفينية..». ولم يكن

انطواء اليهود على خاصيتهم جديداً، فقد «حارب الحاخاميون المتزمّتون كل محاولات الانفتاح التي تمت على مدى العصور».

فعدا تشويههم للموسوية البدائية، فقد حارب حاخامات المؤسسة الدينية اليهودية، الجهد الذي قام به ابن ميمون (أهم الفلاسفة اليهود في بلاد الأندلس)، للتوفيق بين العقل والعقيدة الدينية. فأدان التلموديون كتابه الأساسي «دليل التائهين» (وضعه بالعربية). وفي عام ١٢٣٢ قام سالمون حاخام مونبلييه في فرنسا بصب «اللعنات» على هذا الكتاب، و«حصل على أمر باحراقه». وسعى التلموديون «لالزام اليهود بدراسة الشريعة حصراً»! وقاموا بتحريم كل من لم يتجاوز عمره الخامسة والعشرين سنة من قراءة أي كتب «غير التوراة والتلمود». وفي القرن السابع عشر حاربوا الفيلسوف سبينوزا، وحاولوا اغتياله، وهاجموا في القرن الثامن عشر الفيلسوف الألماني مندلسون الذي قام بترجمة «الكتاب المقدس» إلى الألمانية، فقام الحاخاميون بتحريم قراءة الترجمة، «بهدف استمرار احتكارهم للتفسير التلمودي للشريعة والحؤول دون التواصل المباشر مع التوراة»![٥٣].

وقد ذهب ضحية الاضطهاد في القرن السابع عشر المفكر «أوريل داكوستا»، وآخرون كثيرون «شككوا في قدسية تعاليم الدين اليهودي». وفي آخر القرن الثامن عشر أحرق الحاخاميون المتعصبون كتاب المفكر اليهودي «هيفي جابالكا» الذي قدم فيه «مئتي دليل ضد تعاليم التوراة..»[٥٤].

إن في تاريخ المؤسسة الدينية اليهودية، «نزوعاً نحو التكاملية والانطواء يستغلّه أكثر الصهيونيين تعصباً ضمن ملّة يهودية لا يؤمن بها أكثرهم».

إن ثمة قراءة اصطفائية للكتاب المقدس والتراث الديني اليهودي، على أيدي الحاخاميين المتنفذين المتعصبين، وتستهدف «عزل اليهود» عن المجتمعات التي يعيشون فيها. علماً أننا نجد في التراث الديني اليهودي التقليدي «خميرة تفتح».. للحياة. وحيث دعا الرب في سفر التكوين «جميع قبائل الأرض إلى العهد والوعد»، وليس «شعب الله المختار» وحده.. والدعوة إلى السعي والتفكير في كل لحظة في التدبير الإلهي، وحيث دعا الأنبياء عاموس واشعيا وارميا إلى قيام «وعد رب عادل ومخلص». كما دعا موسى الليوني في أواخر القرن الثالث عشر في كتابه «الأشراق» إلى إحلال «محبة الرب محل خشية الرب. كما اعتبر المفكر اليهودي الحديث مارتن بوبر أن مركز «الأنا» هو في الآخر».. وقال: «في البدء كانت العلاقة.. إننا نعيش في فيضان التبادل الكوني»، وليست الروح في نظره في «الأنا» بل في العلاقة بالآخر. وإن «أعلى مراتب الكشف الرباني تختبر في العلاقة مع الآخر».

إن مثل هذا التراث الديني المنفتح يعادي النزعة الدينية المتعصبة الإنعزالية، وما تشكله الصهيونية السياسية التي تستند إلى هذه النزعة الأخيرة، وتستخدم التوراة بشكل انتقائي وقبلي، لتمويه أغراضها السياسية، وتحويل وتحريف «مشيئة الرب»(٥٥).

فوفقاً للتلمود فإن اليهود وحدهم (كما يذكر إيمليان باروسلافسكي في كتابه «التلمود» الذي يسخر فيه من «سكان السماء اليهودية») هم، فقط، «مع المؤمنين» الذين «سيدخلون الجنة». أما الملحدون، حسب التلمود، «فسيدخلون النار، هناك حيث الصديد والبراز والدموع والظلام، ويوجد في كل بقعة في النار ستة آلاف مرارة، وإن النار أكبر من الجنة ستين مرة». ويعلق يفسييف «أن ذلك قد يبدو لحكام «إسرائيل».. «إجراءات قليلة»، لذلك «أدخلوا في المدارس مادة تسمى

«الوعي القومي» تمتلىء سطورها بالتعصب المتطرف، ولذلك لا يدهش الإنسان حين يرى الأطفال «الإسرائيليين» يجيبون عن السؤال، ما العمل بالنسبة للعرب؟ فيرددون بصوت واحد: نقتلهم!»(٥٦).

ويُتهم، اليوم، باللاسامية كل من يفضح سياسة «رؤساء بيت إسرائيل» أو الدولة الصهيونية. وعلى هذا «المقياس»، يتم إلصاق تهمة اللاسامية بكل الأنبياء عاموس وأشعيا وميخا وارميا. إلخ... لأن القادة الصهاينة عقدوا العزم على ألاّ يتقبّلوا من التراث والتقاليد الدينية اليهودية «إلاّ ما يسوّغ لهم سياستهم، فقد جسّد لديهم خبر تقتيل يوشع الكنعانيين تقتيل عرب فلسطين ولبنان غير عابئين بلعنات أرميا أو ميخا، مفضّلين قوانين عزرا في التمييز العنصري على مسيحانية حزقيال وأشعيا العالمية. لقد اختاروا الرؤساء الذين قتلوا الأنبياء». أو حسب ما ذكر أرميا لاعناً الذين «يتنبأون لكم باسمي بالكذب.. من أجل أنهما عملا قبيحاً في إسرائيل، وتكلما باسمي كلاماً كاذباً» (سفر أرميا، الاصحاح ٢٠، الآية ١٠)، أو تبعاً لما ذكره ميخا في إدانة «رؤساء إسرائيل» حيث قال: «اسمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب وقضاة بني إسرائيل الذين يكرهون الحق، ويعوّجون كل مستقيم، الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم» (سفر ميخا، الاصحاح ٣، الآيتان ٩، ١٠).

إن الذين يكافحون الصهيونية السياسية التي تعتمد على الجانب الديني المتعصب والرجعي، لا يمكن وصفهم، كما يزعم الارهاب الفكري الصهيوني، بمعاداة السامية (علماً أن أبناء الطوائف اليهودية هم في غالبيتهم ليسوا ساميين) أو العنصرية. فليست معاداة الصهيونية «هي التي تولّد اللاسامية بل الصهيونية ذاتها»(٥٧)!

الفصل الرابع

أذرع الأخطبوط الصهيوني

في كتابه الأخير الصادر عام ١٩٨٨ «فلسطين في شراك الصهيونية»، أبرز يفسييف عدداً من القضايا السياسية الراهنة، التي تسلط الأضواء على حقيقة الصهيونية وشبكاتها الممتدة كأذرع الأخطبوط في معظم بلدان العالم، والمساعدات الأميركية التي تغذي العدوان الصهيوني بكل وسائل الدعم، إضافة إلى عنصرية الكيان وفاشيته والارهاب ضد العرب، وغزو لبنان عام ١٩٨٢، كما أبرز نضال الشعب العربي الفلسطيني «الذي لا يقهر»، وغطى بعض جوانب انتفاضته الشعبية.

أ ـ شبكة المنظمات الصهيونية

أما بصدد الشبكة الواسعة التي انشأتها الصهيونية، فهي تمتد، كما يذكر يفسييف، في كتابه المذكور أعلاه، إلى ثمانين بلداً من بلدان العالم. وهي تتألف من الناحية السياسية، من مختلف «المنظمات» «والكونغرسات»، «واللجان التنفيذية»، وغيرها من تجمعات تعمل تحت أسماء صهيونية علنية، أو «جماعات خيرية»، أو «مهنية»، أو «دينية»

إلخ.. وهي كلها تخضع للمنظمة الصهيونية العالمية. ويعتبر الكونغرس الصهيوني العالمي (الذي مقره القدس) أعلى هيئة صهيونية، وهو الذي «يبحث أهم مسائل الحركة الصهيونية ويحدّد سياسة المنظمة ويختار أعضاءها القياديين». وكقاعدة عامة «هناك نسبة ٤٠٪ لصهاينة «إسرائيل»، و٣٠٪ للصهاينة الأميركيين، و٣٠٪ للصهاينة من بقية البلدان». وهكذا يشكّل الصهاينة في فلسطين المحتلة وأمريكا ثلثي الكونغرس الصهيوني. فهم يفرضون «رقابتهم» على أعلى هيئة في منظمة الصهيونية العالمية، وكذلك «سياستهم».

وينتخب الكونغرس الصهيوني المجلس العام، واللجنة التنفيذية، وهذه الأخيرة، «هي العقل الموجّه والمركز الإداري، وجهاز العمل الرئيسي الذي يقوّم يومياً كل جوانب النشاط العملي»، ويمسك «بزمام الأمور» في كل الشبكات التابعة للمنظمة الصهيونية العالمية.

ويتضمن الجهاز الإداري «الأقسام المتخصصة» التي تدرس أساليب ووقائع عمل المنظمات الصهيونية المختلفة، وذلك بدءاً من عمليات التجسس، وأوضاع منظمات الشباب والطلاب والنساء، وشؤون التربية «اليهودية»، إلى الهجرة الصهيونية إلى فلسطين، والمسائل الدعائية والتنظيمية، والعلاقات مع المنظمات غير اليهودية، والأجهزة الدولية، إضافة إلى القضايا الدينية، والتعليم والثقافة، ومراقبة عمل ونشاط المؤسسات والشركات التابعة للمنظمات الصهيونية العالمية.

وقد تطلّب استعمار فلسطين من قبل الصهاينة «إنشاء جهاز مستقلّ» يقوم بدور «حلقة الوصل» بين المنظمة الصهيونية العالمية وأصحاب رؤوس الأموال اليهود «المستعدين للمساعدة دون أية مقدمات»، وبالتالي تمويل الهجرات الصهيونية إلى فلسطين والإشراف على تسكينها واستقرارها. فكان هذا الجهاز «الوكالة اليهودية».

وقد جرى تقسيم العمل بين المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية. فالمنظمة هي «المركز الأيديولوجي والسياسي، والمخطط الأساسي». أما الوكالة، فهي مسؤولة عن «النشاط العملي لتحقيق البرنامج الصهيوني في استعمار فلسطين».

كما تم إنشاء منظمات صهيونية اقليمية تقوم بتنفيذ قرارات الهيئات العليا.

ومنذ بداية تأسيسها، سعت المنظمة الصهيونية إلى اعتبار نفسها «المحور الأساسي لحقوق الإنسان»، وذلك «بإقامة الصلات مع الشخصيات اليهودية الأصل» التي تدعو إلى اليهودية العالمية، والمتعارضة مع كافة مواطني الحكومات الأخرى (كما ذكر ل، أ، ميجوريان في كتابه «السياسة الاجرامية للصهيونية والحقوق الدولية، والذي يستشهد به يفسييف). ويعتبر ذلك، عملياً، «تدخّلاً في الشؤون الداخلية للدول التي يعيش فيها يهود يتمتّعون بكامل الحقوق أسوة بباقي المواطنين وطبقاً لأنظمة هذه الدول». فالحركة الصهيونية تطالب «بقوانين خاصة» لهؤلاء اليهود تتناقض «حقوقياً مع القوانين المطبقة على جميع المواطنين في هذه البلدان»، وتؤدي إلى «ازدواجية المواطنية».

ويرى يفسييف أنه في عام ١٩٧١، جرى تغيير لقوام الأعضاء القياديين في الوكالة اليهودية، وكان الهدف منه، حسب اعتراف «المجلة الأميركية اليهودية السنوية» لعام ١٩٧٢، «اعطاء دور هام في نشاط الوكالة لأولئك الذين يودعون الأموال ويشرفون على حملات تجميعها». وهكذا «استلم دفة القيادة في الوكالة كبار الأغنياء الذين يموّلون النشاط الصهيوني ويقدمون الإعانات إلى إسرائيل».

وقد «وحّدت» الوكالة اليهودية زعماء الصهيونية العالمية مع «حكام «إسرائيل»، وكبار رجال الصناعة والأموال اليهود في الغرب». وتعتمد

الوكالة على منظمتين صهيونيتين «اخصائيتين» بجمع الوسائل المادية هما: «النداء الإسرائيلي الموحد»، و«النداء اليهودي الموحد»، وحيث تنشطان في ٦٩ دولة من دول العالم، وتسميان «ذراعيْ الوكالة اليهودية». والأموال الضخمة تجمعها الوكالة من أجل تغطية نفقات الاستيطان، وشراء أكبر صفقات الأسلحة من الولايات المتحدة، والدول الغربية الأخرى.

وبالنسبة للمنظمة الصهيونية العالمية، ولكي يتم توسيع انتشار النفوذ الصهيوني في الأوساط اليهودية، فقد جرى تسهيل شروط العضوية، حيث يحق لكل يهودي بلغ الثامنة عشرة من عمره الانتساب إلى المنظمة، بعد الموافقة على برنامجها، ودفع رسم اشتراك سنوي رمزي مقداره «شيكل» واحد.

وفي عام ١٩٦٠، «تمّ تبديل العضوية الفردية بالعضوية الجماعية». وذلك بعد أن حصلت القيادة الصهيونية على صلاحيات غير محدودة، وباتت غير خاضعة لأية رقابة تجاه تحديد السياسة الصهيونية العالمية.

ويقوم بتنظيم العضوية منظمات إقليمية واسعة الانتشار مثل إتحاد المنظمات الصهيونية (في فرنسا وبلجيكا وهولندة)، والمجلس الصهيوني الأميركي في الولايات المتحدة (منذ عام ١٩٧٠). يضاف إلى ذلك نوع آخر من الهيئات الصهيونية التي تنشط «في الأمكنة التي لا يوجد فيها منظمات اقليمية»، مثل «المنظمة الصهيونية الأميركية»، و«منظمة النساء الصهيونيات الأميركية» (هداسا). ويلاحظ أن هناك منظمات يهودية تدخل ضمن إطار الحركة الصهيونية غير ملزم لأعضائها أن يكونوا صهاينة «يعترفون بالبرنامج الصهيوني»، منها «الفدرالية العالمية لليهود السفارديم» (الشرقيين)، و«الاتحاد العالمي للطلاب اليهود».

وهناك الكونغرس اليهودي العالمي «غير الصهيوني» الذي يدخل ضمنه العديد من المنظمات الصهيونية، «كالمنظمة الصهيونية الأميركية»، و«الكونغرس اليهودي الأميركي» وغيرهما من عشرات التجمعات الصهيونية.

ويحتل الكونغرس اليهودي العالمي مكاناً خاصاً في منظومة الصهيونية العالمية. فهو تحت ستار شعار «الاستقلالية» يُستخدم «بشكل واسع لمصلحة الصهيونية والأوساط الحاكمة في إسرائيل».. وهو يشترك في «أعمال المنظمات والمؤتمرات الدولية، ويمارس تأثيره على عشرات المنظمات اليهودية في العالم».

ولقد أصبح «حماية ونشر الدعاية الصهيونية، وتنظيم الدعم لإسرائيل»، والتدخل في شؤون الدول الاشتراكية والدول العربية، هو التوجه الأساسي لنشاط المجلس اليهودي العالمي». وهو يستخدم إلى «جانب الصحافة الصهيونية وسائل الإعلام الغربية أيضاً. ويولي أهمية كبيرة لنشر الأفكار «الوثيقة» الاتصال والمرتبطة «بإسرائيل»، أي «المزدوجة الولاء»، للدعاية من أجل الهجرة إلى «إسرائيل» وتقديم الدعم السياسي والمالي والاقتصادي والمعنوي لها.

وينسّق الكونغرس (المجلس) اليهودي العالمي مع المنظمة الصهيونية العالمية في كل توجهاته وأعماله، ويقف إلى جانبها «في المواقع المعادية للشيوعية، ويسمح لنفسه التحدث باسم اليهود السوفيات، واليهود المقيمين في سائر الدول الاشتراكية». وكما أشار ناحوم غولدمان بأن أهم المسائل التي ينبغي الاهتمام بها هي التأثير المتعاظم في «دول الحلف السوفياتي وقوة الشيوعيين في العالم»، والتركيز على الدول الإشتراكية التي تعتبر «قاعدة الدعم العالمي»، للفلسطينيين والعرب.

ب ـ الجهاز الدعائي الصهيوني: «حرب دون طلقات»

تُعتبر الأساليب الدعائية هي «الأهم في انتشار النفوذ الصهيوني». فالتلغراف المركزي اليهودي (ETA) يعمل منذ عام ١٩٤١، وأصبح جهاز المعلومات الرئيسي للصهيونية. و«في الولايات المتّحدة تسيطر المنظمات الصهيونية على الغالبية العظمى من المؤسسات الإعلامية».

ويوجد في العالم أكثر من ١٢٠٠ دار نشر صهيونية ثلثها في الولايات المتحدة، ويمولها كلها الصندوق القومي الصهيوني وكبار الرأسماليين اليهود الصهاينة. كما تتعاون الصحافة البرجوازية الغربية مع شركات الدعاية الصهيونية، من أجل الدفاع عن السياسات العدوانية للكيان الصهيوني، وهي «تقوم بتغطية الأحداث في الشرق الأوسط بما يخدم المجلس (الكونغرس) اليهودي العالمي».

وفي سبيل «نشر التأثير الصهيوني وتعبئة الرأي العام العالمي لدعم «إسرائيل» يتم استخدام مجموعة من الوسائل». منهاتنظيم «رحلات دعائية «لاسرائيل» لكل من يقدّم التبرعات لها». كما يتم دعم العمل «الخاص» من وراء الكواليس للتأثير على أعضاء الحكومات في الدول الغربية؛ وحيث تطلب المنظمات الصهيونية الإقليمية والعالمية إلى الحكومات ورجال الدولة الغربيين «اتخاذ التدابير أو رفض القرارات التي تتعارض مع المواقف التي تتخذها الصهيونية».

ويعتبر يفسييف أن «دولة «إسرائيل» هي إحدى الدرجات السياسية للصهيونية العالمية»، وحيث يتوجّب على المنظمة الصهيونية «تنفيذ مهامها التاريخية في دولة إسرائيل». هذا بينما، بالمقابل، يتوجب على المنظمة والمجلس الصهيوني دعم الدولة الصهيونية. وهذه الأخيرة عليها «التشاور» مع المنظمة الصهيونية في كل ما يتعلق «بالطوائف اليهودية خارج حدودها».

إن إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين هو «هدف إقليمي» بالنسبة للصهيونية، ويشكل «مركز وصل قوي لجميع اليهود، وسيتمتع بمكانة مقدسة بالنسبة لليهود أكثر من مكانة روما بالنسبة للكاثوليك، وسيغدو الجهاز العصبي للعالم أجمع..»[٥٨] وذلك حسب ما ذكر ماكس نورداو أحد مفكري الصهيونية. ومن جهة أخرى، فإن أملاك المنظمة الصهيونية والكونغرس اليهودي لا تخضع «للقوانين المطبقة على الأملاك المحلية» في فلسطين المحتلة.

يشكل العنف والتعصب والتمييز العنصري أسس السياسة الرسمية للدولة الصهيونية، ويروج الصهاينة أسطورة وجود ثقافة «يهودية واحدة»، و«معجزة» تفوق الدولة الصهيونية في الشرق الأوسط، وإن هذه الدولة هي «المركز» لجميع يهود العالم. وبالرغم من سفور رجعية وعدوانية الدولة الصهيونية، فإن «الرأي العام» الغربي يرفض تصديق ذلك. فإثر العدوان الصهيوني على البلدان العربية عام ١٩٦٧ كتبت جريدة «الواشنطن بوست» الأمريكية «أن حوالي ٨٠٪ من الأمريكيين كانوا مقتنعين بأن العرب عام ١٩٦٧ كانوا هم المعتدين، وبأنهم الذين بدأوا بالهجوم على إسرائيل»! ويتساءل يفسييف «ما سبب هذا؟ لماذا تسكت الصحافة الكبرى في الغرب عن إبراز الحقائق الخاصة «بإسرائيل» وسياستها، أو تزوّر هذه الحقائق»؟

ويجيب يفسييف على ذلك بقوله: «إن الصهيونية تملك إمكانيات كبيرة لشن حروب دون طلقات، بالرغم من أن النظام الحاكم في «إسرائيل» يقوم بشن حروب صريحة». إن شن حروب دون طلقات يستخدم «التكتيك النفسي ووسائل الإعلام بدلاً من المدافع والدروع القديمة». فالصهيونية تملك رسمياً ١٠٣٦ مجلة دورية تصدر حاملة اسم الصهيونية [هذا الكلام صادر عام ١٩٧٠ ـ ١٩٧١]. ففي الولايات

المتحدة وحدها تصدر ١٤٦ جريدة ومجلة أسبوعية وشهرية صهيونية باللغة الانجليزية» ويوزع منها عدة ملايين من النسخ! «إن واحداً من كل إثني عشر شخصاً يعيشون في الولايات المتحدة.. يعرف ما حدث، مثلاً، في الشرق الأوسط في حزيران ١٩٦٧، من خلال خبراء الحرب النفسية الذين يعملون في المركز العالمي للصهيونية»[٥٩].

كما تعتمد الدعاية الصهيونية، اعتماداً رئيسياً، على السكان اليهود في الاتحاد السوفياتي، وتقترن بشن حملة معادية للسوفيات والاشتراكية.

ويهتم القادة الصهاينة اهتماماً مركزاً ومخطّطاً «بإدخال عملائهم أو «العناصر المتعاطفة معهم» في الصحافة المركزية لكل الدول، وفي هيئة التحرير الإذاعي الدولي وفي أوساط صناعة السينما والتلفزيون».

وقد كان الباحث السوفياتي الشهير يوري إيفانوف في كتابه «احذروا الصهيونية»، قد أشار إلى أن الصهاينة، «لا يهملون شيئاً بما فيه التوافه الصغيرة من الأمور التي تؤثّر على الرأي العام لأنهم يدركون كل الادراك أن هذه التوافه، أيضاً، ليست بقليلة الأهمية أحياناً، إذا نحن استخدمنا أسلوب المقالة ووضعناها بجانب صورة تلفت الانتباه، أو إذا كتبناها بحروف صغيرة ونشرناها في زاوية قصية على الصفحة التي تسبق الأخيرة. وتعرف العمالة الصهيونية حق المعرفة أنه يمكن تشويه أية فكرة نبيلة تتناقض مع نظرتهم للحياة».. وقد تتسرب بين فترة وأخرى «رسالة ما إلى صفحات صحيفة ما تتوجّه باللائمة على الصهيونية وعلى إسرائيل، ولكن سرعان ما تنشر في إثرها مئات الرسائل المتهجّمة على العرب وعلى من يعادون الصهيونية». وما أندر أن يُقدّم المنبر «للأمريكيين المدافعين عن العرب».

ثمة ست صحف أميركية يومية رئيسية، كما يذكر يفسييف، هي

نيويورك تايمز، نيويورك هيرالد تريبيون، وورد تلليغرام، ديلي نيوز، نيويورك جورنال أميركان، واشنطن بوست، يدور بينها «صراع تنافسي، فكل واحدة منها تحاول أن تسبق زميلتها في موالاتها «لإسرائيل». وفي زرع العنصرية اليهودية»[٦٠].

جـ ـ الموسيقى تعزف لمن يدفع في الغرب!

وتبرز صحيفة التايمز اللندنية، وبشكل مخطط، نزعة معاداة السامية واليهودية، وتعظّم قوة اليهود الرأسماليين!.. «فما دامت الموسيقى تعزف لمن يدفع في الغرب.. فهل يستعصي الأمر، على محطة الاذاعة في «إسرائيل» بالاشتراك في ترديد أساطير معاداة السامية، وخاصة في الاتحاد السوفياتي»؟!

إن الصهاينة لا يكفيهم ترداد الأفكار الجوفاء والعبارات التجارية، فهم يكثرون من الوقاحة والتبجح في الاذاعة الصهيونية التي شعارها في العمل الدعائي هو «كلما قلّت الحقيقة، كلما كان ذلك أفضل»[٦١]. وهذه الإذاعة تعمل من خلال أجهزة إرسال قوية، تبث لمدّة ٤٢ ساعة في اليوم للمستمع المحلّي، فهي تذيع برامج بعشر لغات أجنبية، وهي تحاول أن تثير عند المستمعين شعور الانتماء إلى «شعب يهودي عالمي واحد»، وإلى «أمة يهودية عالمية»، وإلى معاداة الشيوعية[٦٢].

لقد سبق أن ذكر هرتزل «سيتحتّم علينا إثارة ضجة كبيرة لكي نبني وطننا في فلسطين»!

إن الكذب ضروري، دوماً، بالنسبة للصهاينة. ومخططهم «بسيط جداً»: «فمن الضروري الافتراء على الجميع ـ على كل من يهزّ عرش الرأسمالية، وأساس سلطة البنوك والاحتكارات والامتيازات».. وكما هو معروف فلدى «مفهوم «الافتراء» الكثير من «التباين والتسلسل»، فيمكن

تحريف الحديث، أو التشويه. . أو التزام الصمت إزاء الحقيقة، أو تزوير الوقائع، أو خلط الكذب بالصدق، وفي هذا المجال تعمل جميع أجهزة الدعاية البرجوازية». وفي هذا الصدد «لا يُعتبر الصهيونيون استثناء». ولكن يوجد إلى جانب ذلك الأسلوب واللغة،«فيمكن الكذب بوقاحة، أو من خلف ستار، أو همساً أو بصوت عال، أو بتقديم ما يشبه الحقيقة، أو بحذر، أو بدون استئذان، أو بشكل بدائي، أو بمهارة، أو بدون فائدة، بذكاء أو بغباء، وفي هذا تختلف قنوات الأخبار في الجهاز الدعائي للصهيونية الواحدة عن الأخرى، وليس الكذب وسيلة دعائية فقط، ولكنه، أيضاً سلاح ملازم لتاريخ الصهيونية، وأساس لأيديولوجيتها». وكما هو معروف فإن الصهاينة يملكون مليارات الدولارات، ويسيطرون «على ٨٠٪ من الوكالات العالمية والأمريكية». وينفق الصهاينة «معظم أموالهم على تقوية النشاط المعادي للشيوعية في أنحاء العالم». ويتم صرف الملايين على ما يسمى «دراسة حياة الأقليّات اليهودية في بلاد الستار الحديدي»، وإعداد البحوث وجمع المواد الخاصة، حول ما يطلقون عليه «معاداة السامية الموجودة في البلاد الاشتراكية». ويقوم معهد دراسة الاتحاد السوفياتي في ميونيخ بألمانيا الغربية، «بوظيفة تختلف عن اسمه». فقد انصبّ الاهتمام الرئيسي للمعهد على تنفيذ «المهام الخاصة» الصهيونية، وليس القيام بالدراسات. وهي «ترويج الأكاذيب والافتراءات حول الاتحاد السوفياتي» في بلدان الشرق الأوسط، وأفريقيا وجنوب شرق آسيا، ويتحمل نفقات المعهد، إلى جانب المخابرات المركزية الأميركية، «صناديق بأسماء أصحاب الملايين من ذوي الأصل اليهودي». وتُفبرك الأيديولوجية الصهيونية «حيلاً دعائية تقوم على الافتراءات والنفاق، وتعتبر الكشف عن الجوهر العدواني العنصري للصهيونية إهانة للاحاسيس والتقاليد الدينيّة» اليهودية!

ويتّخذ الصهاينة مختلف الاجراءات والوسائل «بهدف التأثير على الشباب غير الناضج سياسياً»، خاصة في الدول الاشتراكية، حيث يتم «تحريض الطلبة وإثارتهم بصفة مستمرّة». وذلك كما حدث في الجامعات والمعاهد في بولندا عام ١٩٥٦، وفي أحداث بولندا في آذار ١٩٦٨، وأحداث تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨، حيث «أثّروا على الشباب تأثيراً مفسداً» (طبعاً هذا لا يفسّر كل أسباب النقمة هناك، وفي غيرهما من البلدان الاشتراكية). لكن الصهاينة يسعون، بالفعل، إلى استغلال تفاقم الأوضاع والأخطاء، والممارسات غير الديمقراطية، والنفاذ إلى نقاط الضعف. فهم يصبّون الزيت على النار. ويعملون، بشكل منظّم، لدفع الأوضاع في اتجاه يخدم أغراضهم وسياساتهم. والجدير بالملاحظة، هنا، أنه برغم تخلف ورجعية الأيديولوجية الصهيونية وميلها الطفيلي لاستغلال الجوانب السلبية، وقدرتها على التلاقي مع كل قوة تأثير إرث وعادات وتقاليد العالم الاستغلالي الأناني القديم - «الجديد»، وتعقيدات، وتشوهات وانحرافات، وارتدادات، مراحل «الانتقال»، وصعوباتها وتراجعاتها، فإنها تجد لها صدى، ليس بحكم توفّر الامكانيات المادية والأجهزة الدعاوية، أو صعوبات وتعقيدات الأوضاع في البلدان الاشتراكية وغيرها فحسب، بل بحكم عجز العقل «الاشتراكي» أو «القومي» القائمين المعاديين للصهيونية سواء في البلدان الاشتراكية أو البلدان المتخلّفة، وغياب التخطيط الاستراتيجي الشامل - الفكري والسياسي والدعاوي والجماهيري والعسكري إلخ - وأساليب التكتيك والإدارة المتيقظة لمجابهة العدو.

فالصهيونية لا تزدهر «إلاّ في ظل الخواء الروحي» سواء للشعب، أم للقوى السياسية الأخرى التي تواجهها. وهذه حقيقة لا ينبغي أن تغيب عن البال، لحظة واحدة، ولكي لا نلصق القدرات العجائبية بالصهيونية،

ذات الأيديولوجية الرجعية والطفيلية التي تتغذى على تعقيدات التطور التاريخي، وقوّة دعم العالم الاستغلالي القديم الشائخ الذي استعاد «شبابه» المزعوم، بحكم تخلف وعجز العالم «الجديد» (الملتبس الهوية في الممارسة وصلتها الجدلية بالفكر).

لقد قطعت هذه الملاحظة «الخاصة» سياق السرد المنطقي الشكلي، لكي تتجاوز «الموضوعية» الشكلية للعرض، ولا تقع أسيرة الاستطراد، ولتحدّد هوية الذات العارضة، دون أي إسقاط على الذات الأخرى التاريخية والفكرية والسياسية التي تجاوزها الزمن، التي اختزلت كل انتقاد، أو استغلال للأخطاء القائمة بالفعل، إلى مجرّد «عمليات تخريب منظمة»، وهي قائمة بالفعل وبالمرصاد أيضاً! لكن، علينا أن نرى، بالمقابل، الثغرات التي نفذت منها عمليات التخريب؛ كي لا نبرّر أي خطأ راهناً، أو في المستقبل، باسم أية عقيدة أو مصلحة «عامة» سواء كانت اشتراكية أو قومية أو غيرهما!

ويتابع يفسييف فضحه للنشاط الدعاوي والتخريبي الصهيوني، فيذكر أن المنظمات الصهيونية والمخابرات الصهيونية، قبل قطع العلاقات الديبلوماسية بين الاتحاد السوفياتي والكيان الصهيوني، كانت «تعتمد» في نشاطها ضد الاتحاد السوفياتي على «موظفي السفارة الاسرائيلية والسيّاح القادمين من إسرائيل بصفة أساسية». «وأسماء الجواسيس من حاملي جوازات السفر الدبلوماسية معروفة للجميع»، ومنهم جافيش، بارتوف، جوفرين، بيران، شاريت، وغيرهم. أما بعد قطع العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفياتي والكيان الصهيوني، فقد تم تنظيم النشاط التخريبي «ضد الاتحاد السوفياتي عن طريق اليهود مواطني الدول الرأسمالية». كما أن المواطنين السوفيات، وخاصة

اليهود، يتلقّون، بين حين وآخر، «أكواماً من الكتيبات المطبوعة على ورق رفيع والمليء بالدعاية الصهيونية والافتراءات المعادية للاتحاد السوفياتي». وذلك على هيئة طرود بريدية واردة من إنجلترا وعلى عناوينهم الخاصة التي تم الحصول عليها من فهرس «المركز الرئيسي للوثائق» في فيينا. ويدعو مؤلفو أحد هذه الكتيبات، على سبيل المثال، إلى تعكير المناخ الدولي بمعاداة السوفيات، ثم يقدمون النصح في كيفية القيام بذلك، فيقول الكتيب: «عليكم بالصياح بأعلى أصواتكم في كل اللقاءات الدولية» ضد الاتحاد السوفياتي، وأنه ينبغي «جر» الرئيسين الأميركي والانجليزي «إلى المعركة»، و«تحريض بابا روما»، وكذلك تعبئة نفوس «زعماء الدول الأفريقية الفتية»، و«اغراء» اليابانيين والمالاويين والتشيليين إلخ... و«ادعوا للمساعدة كل من يريد ومن لا يريد.. وصيحوا بأعلى ما يمكن.. فيجب أن نستخدم في هذه الحرب كل الوسائل الممكنة من الرسائل الخالية من الامضاءات حتى التحركات العلنية». وهذه «النصائح» الموجهة لاثارة الشغب، تقوم بإعدادها، كما يذكر يفسييف، منظمة صهيونية تمارس نشاطها في انجلترا وفرنسا، بصفة أساسية، وتعرف باسم «رابطة هجرة اليهود الروس». ويتزعم هذه المنظمة المليونيران جرافمان موريس (من أميركا)، وميرلمان جوزيه، أحد رجال الصناعة السويسريين، وهو يقيم في الكيان الصهيوني. واشترك جهاز المخابرات الصهيوني في تكوين هذه المنظمة. كما يقدم العديد من المراسلين الصحفيين الغربيين البرجوازيين العاملين في عواصم الدول الاشتراكية «خدمات كبيرة» من أجل تنظيم وتنفيذ «المخططات الاستفزازية» الصهيونية المعادية للاتحاد السوفياتي. والمنظمات الصهيونية تقوم بتنظيم الكثير من الرحلات «السياحية» إلى البلدان الاشتراكية. وبذلك أصبحت الصهيونية العالمية «عاملاً من عوامل السياحة الدولية»!

ومن جانب آخر، ليس هناك حدود لتدخل السلطات الصهيونية في الحياة الاجتماعية والروحية والثقافية داخل الكيان الصهيوني. فهي تقوم بزرع الأفكار الصهيونية حتى في الأغنيات، وعلى سبيل المثال، يذكر يفسييف مطلع الأغنية الصهيونية التالية:

«العالم كله ضدنا   هكذا كان منذ القدم
وأوصانا أجدادنا: ليحترق   بنار الجحيم كل من كان ضدّنا»!

وتتردّد هذه الأغنية، «ويتغنّى بها مشاهير الفنانين في الاذاعة والحفلات، والأسطوانات، والتلفزيون»، وترى صحيفة «هـآرتس» أن «سبب ذيوع الأغنية» يرجع إلى كونها «تعكس مزاج غالبية سكان إسرائيل» المستوطنين المستعمرين.. وأن «نشيد الكراهية» هذا، الذي تروّج له الدعاية الصهيونية يحظى بتأييد المسؤولين، «ويتفق مع سياسة نشر «هستيريا» الحرب».. وها هم «جنود الجيش «الاسرائيلي» الشجعان.. يمارسون نشاطاتهم على غرار جلادي الفاشية في الحرب العالمية الثانية»..

ويرى يفسييف أن الصهاينة «يقتلون في اليهود دماثة الخلق، ويبذرون فيهم القلق والرغبة في السفر إلى إسرائيل»..

وانطلاقاً من «الطبيعة الديماغوجية الخالصة»، فإن الصهيونية تقوم بتحريض «الغرائز الخسيسة وتوجيهها وفق إرادتها ضد الاتجاهات والأشخاص والأحزاب التي لا تروق لها.

إن الافتراءات والقتل والسرقة والاستفزازات والتجسس والتوسع في الأطماع والعدوان، تُعتبر حصراً غير كامل للجرائم التي تقوم بها الصهيونية العالمية، التي تعمل في كل مكان في العالم كجناح من أجنحة معاداة الشيوعية، وكعدو لدود غادر لحركة التحرر الوطني»..

إن «بكاء» الصهاينة على «مطاردة» اليهود في الاتحاد السوفياتي، لا يعود إلى اهتمامهم لما يسمونه «إخوتهم في الدم»، بل لأن الصهاينة «لا يستطيعون أن يغفروا للاتحاد السوفياتي عدم وجود معاداة للسامية فيه».. كما أنهم يعتبرون، كما ذكرت صحيفة «الغارديان» البريطانية، «روسيا آخر مستودع للمهاجرين اليهود، لأن الدلائل تؤكد أن يهود الولايات المتحدة قد فقدوا الرغبة في السفر إلى «إسرائيل»، وحرث الصحراء باسم الصهيونية»!

ولقد كان يفسييف محقاً حين ذكر، أن «الوعي الوطني السوفياتي من بين ما يركز عليه الصهاينة في نشاطهم التخريبي.. فإنهم يرون في الوطنية، والوطنية السوفياتية الاشتراكية بالذات، أحد خصومهم العقائديين، ولذا، فهم لا يبخلون لا بالجهد ولا بالمال في هجماتهم المحمومة». والصهاينة يحاولون «إثارة المشاعر غير الطيبة» بين شعوب الاتحاد السوفياتي.

إن «كون المرء وطنياً يعني كونه مناضلاً نشيطاً وواعياً من أجل الغد السعيد» وبالتالي، «ضد قوى الظلام الرجعية وضد كراهية الإنسان، وضد من يدعو إلى أيديولوجية العنف والقرصنة».. وخدمة الامبريالية ومعاداة الشيوعية. و«إن الجوهر الطبقي للفاشية لا يتغيّر سواء أكانت تعمل تحت علامة الصليب المعقوف البني، أم تحت النجمة الزرقاء للصهيونية أم العلم الأمريكي بنجومه وخطوطه»![٦٣].

د ـ أشكال الدعم الصهيوني والغربي للكيان

إن للصهاينة الأميركيين دوراً كبيراً في دعم الدولة الصهيونية. فقد بلغت تبرعاتهم في بداية الثمانينات ٦٠٠ مليون دولار في العام. وفي أوائل ١٩٨٢ بلغ حجم مساعدات المنظمات الصهيونية الأميركية مليار

دولار في العام. هذا عدا، عشرات ملايين الدولارات التي وصلت دعماً للعدوان على لبنان عام ١٩٨٢.

ومنذ أكثر من عشرين عاماً يتم عقد اجتماعات علنية، وأحياناً سرية، لكبار رجال الأعمال والرأسماليين الغربيين الذين يمثّلون الشركات المتعددة القوميات، يطلق عليها «لقاءات أصحاب الملايين»، ويتم عقدها، غالباً، في القدس المحتلة. وقد توصلت هذه اللقاءات إلى مستوى رفيع من التنظيم: وضع نظام داخلي، إنشاء لجان مختصة، تعيين سكرتارية دائمة، إقامة هيئات متعددة المجالات. «ومن أهم المسائل التي تناقش في كل جلسة هي البحث عن صيغة فعالة لتمويل المؤسسات الصهيونية»، ودعم الدولة الصهيونية. وكان أول من شجع هذه اللقاءات الأمريكي دافيد روكفلر صاحب الشركات والمصالح النفطية في الشرق الأوسط.

وقد شارك في اللقاءات المذكورة العديد من أصحاب الرساميل الاحتكارية العالمية، كرئيس بنك «دي فرانس»، وبيير دريفوس مدير شركة «رينو» (والاثنان يرتبطان بعائلة روتشيلد الفرنسية اليهودية)، ورجل البنوك السويدي ماركوس والنبيرغ، ونائب رئيس شركة «فيات» الايطالية جيوفاني أنييلي. وتناقش هذه اللقاءات سبل تقديم الدعم والمساعدات للكيان الصهيوني «ومشكلة الشرق الأوسط». وقد تراوحت تقديرات القيمة الاجمالية للمساعدات والتبرعات والقروض والديون الدولية بين عامي ١٩٦٠ - ١٩٨٦ (بما في ذلك التعويضات الألمانية الغربية)، ما بين ٢٧ - ٤٠ مليار دولار. وهكذا «يتضح أن دولة «إسرائيل» لا تعيش وتتطوّر من إنتاجها واقتصادها المحلي، وإنما هي عبارة عن شركة مموّلة من الصهيونية العالمية» والدول الغربية. وتشجع «هذه «الأموال العالمية» سياسة تل أبيب العدوانية وتدفع لها بسخاء للاستمرار بهذا النهج». ولقد

انكشف سر ما أطلق عليه «المعجزة الاسرائيلية»، و«ظاهرة الاستثناء» التي تنفخ فيها الصحافة الصهيونية.

إن كبار الاحتكاريين في العالم هم الذين يدعمون الكيان الصهيوني، وذلك كعائلة روتشيلد التي تسيطر بشكل قوي على الاقتصاد الفرنسي، حيث «أن العديد من الشركات هي بمثابة أفرع لهم، وهم يفرضون، أيضاً، رقابتهم على العديد من الشركات الأخرى من خلال سيطرتهم على البنوك». كما أنها تشكل قوة مالية هائلة في أوروبا «وتشترك بمصالح واسعة مع العديد من الشركات العالمية الضخمة». فهي تملك «علاقات نشيطة» مع المجموعة الرأسمالية الاحتكارية الهولندية التي تحظى بمكانة مرموقة في قطاع الأموال الصهيونية، «وتشترك معها في تمويل نشاط القوى الرجعية في أوروبا، وتخصّص رصيداً ضخماً لدعم الصهيونية». وفي مقدمة المجموعة الهولندية تأتي عائلة فيليبس التي تعتبر من أضخم شركات الصناعة الالكترونية في العالم، «وتكسب المليارات من عمليات تمويل حلف الأطلسي بالسلاح».

وعلى الصعيد السياسي، «تحتل الشخصيات الموثوقة»، أو المرضي عنها، من شركات فيليبس وغيرها من المؤسسات الانجليزية الهولندية المشتركة «يونيفيلير»، إلى جانب ممثلي البنوك الروتشيلدية وسواها من البنوك الباريسية والهولندية «مناصب في الوزارات ليس فقط، في هولندا، بل في فرنسا وبلجيكا، وتنفذ إلى «كوريدور السلطة» في واشنطن. وتمثل هذه الشركات قوة مالية كبيرة، إضافة إلى أصحاب مؤسسات صناعة التبغ الهولندية، وشركات الماس ومؤسسات الملابس الضخمة وأصحاب البنوك وتجار البناء الكبار، وحيث يشترك جميع هؤلاء بتقديم المساعدات إلى «إسرائيل» والمنظمات الصهيونية».

وتعتبر عائلة «ليمين» الصهيونية، واحدة من أغنى عشر عائلات في أمريكا. وهي تحتل «مكاناً هاماً» في الحياة المصرفية ومنظومة رأس المال الأمريكي، ولها دور سياسي فعّال في ولاية نيويورك. وقد أنشأت هذه العائلة، بالاشتراك مع «واربيرغر»، المصرف النيويوركي «الذي يحتل الدرجة الرابعة عشرة بين البنوك الأمريكية الضخمة». وهي بالتعاون مع شركة «الأخوة لازار» تفرض رقابتها على شركات «جنرال أميركان اينفيستورس»، ولها «حصة الأسد في شركات الطيران الخاصة الأميركية». وتشترك في تمويل واحدة من أهم عشر شركات طيران تدخل ضمن اتحاد «جنرال داينيميكس» الذي يشكل «تجمعاً صناعياً عسكرياً عملاقاً»، (بالإضافة إلى تجمع «جنرال موتورز» «وجنرال ألكتريك») ويُعتبر من «المزوّدين الرئيسيين للجيش الأمريكي بالأسلحة». وقد اكتسب اتحاد «جنرال داينيميكس» شهرة واسعة في الحرب الكورية، وهو يصنع الصواريخ الموجهة العابرة للقارات ماركة «أطلس»، ويتلقى «طلبات كثيرة» لصنع الأسلحة الحديثة، نذكر منها «الغواصة النووية «ناوتيلوس» التي رفعت شهرة الشركة إلى المجد». ويحتل الصهاينة «وأصدقاء إسرائيل»، «موقعاً رفيعاً» في الشركة المذكورة.

ومن ناحية أخرى، فإننا نجد، عدا القروض الألمانية التي تحتل المرتبة الثانية (بعد الأمريكية) إلى الدولة الصهيونية والتي «بلغت ٢,٥ مليار دولار وبدون فوائد لصالح النفقات العسكرية»، نجد تبرعات متتالية أخرى من قبل أوساط احتكارات مالية ألمانية «وثيقة الصلة بالمجموعة الروتشيلدية»، و«متعاطفة وداعمة للصهيونية»، مثل «دوتش بنك»، «بركليز بنك»، «فرنكفورتر بنك»، وغيرها، كما «يشارك شركات «هيرتي» بمجمعاته العشرين في برلين وألمانيا الغربية، في تمويل المغامرات الاسرائيلية في المنطقة».

ويتمتع «أصدقاء إسرائيل» بمواقع قوية في الصناعة العسكرية الأميركية. «فالأخوة لازار، الذين يدخلون في قيادة لجنة اليهود الأمريكيين، يفرضون رقابة على شركة الطيران «لوكهيد» التي تضع ٩٠٪ من إنتاجها لصالح البنتاغون. ويحتل الصهاينة موقعاً رفيعاً في شركة «جنرال ديناميكس» التي تنتج الصواريخ البلاستيكية المجنحة عابرة القارات، والغواصات الذرية، والقاذفات الاستراتيجية».

دعم الصناعة الحربية الصهيونية

لقد أقام التجمع الصناعي الحربي «روكويل أنترناشيونال» علاقات مباشرة مع «أضخم شركة «إسرائيلية» في مجال صناعة الطيران «إسرائيل إيركرافت» الخاضعة لوزارة الدفاع الاسرائيلية. . وقد وضعت الشركة الأمريكية المذكورة كميات ضخمة من الوسائل التقنية في مجال الطيران لصالح إسرائيل». وهناك شركات احتكارية أميركية أخرى تساهم في دعم الصناعة الحربية الصهيونية، كشركات «سيلفانيا»، «وستنكهاوس»، «زينيت». والعديد من الشركات الأميركية «تمتلك فروعاً في إسرائيل»، والبعض الآخر يملك أسهماً كبيرة في الصناعة العربية؛ فالشركة الأمريكية «جنرال تليفون أند ألكترونيكس» تملك ثلث أسهم الشركة الإسرائيلية للالكترونيات «تاديران» وصناعة الأسلحة».

وتتعاون أضخم الشركات الأميركية «جنرال أليكتريك» مع الشركة «إسرائيل ايركرافت»، «التي تحصل على ٩٠٪ من الأرباح بفضل الطلب الكبير على الصناعة الحربية، فهي تصنع أجهزة الاتصال البعيدة المدى والرادارات بترخيص من الشركات الأميركية».

وبفضل مساعدة شركات التمويل الأميركية استطاعت إسرائيل، خلال فترة قصيرة، من إنشاء صناعة حربية متطورة تنتج الأسلحة بتراخيص أمريكية وأجهزة ومعدات أميركية، وخصوصاً في مجال إنتاج

الطائرات الحربية. فدور الشركات الاحتكارية الأميركية في تطوير الصناعة الحربية «الإسرائيلية كبير جداً، بحيث يمكن التحدّث عن تكاملها مع شركات الصناعة الحربية الأميركية، وجميع الشركات الأميركية تمتلك فروعاً لها في «إسرائيل» وخصوصاً في مجال صناعة الأسلحة».

وليس غريباً، كما يذكر يفسييف، إذا ما اعتبرنا أن أصحاب الشركات الأميركية (المموّلون للبنتاغون وحلفائه) يدورون في فلك التأثير الصهيوني «الأكياس النقدية». لنأخذ على سبيل المثال شركة «لوكهيد إير كرافت كوربوريشن» المنتجة «للطائرات والحوامات والصواريخ البالستية وأقمار التجسس والغوّاصات الذرية العملاقة «ترايدنت»، ومختلف التجهيزات الألكترونية للأغراض العسكرية». إنّ أرباح هذه الشركة خيالية «وهذا مفهوم لأنها تحتل المكانة الأولى بين ٥٠٠ شركة من أضخم الشركات الأميركية، فهي تسيطر على بنك «الأخوة لازار» أحد أضخم الأمبراطوريات المالية الخاضعة لأمرة وتوجيه رجال البنوك الموالين لإسرائيل». «ويشترك بنك الأخوة ليمن، كون، ليب، مع التجمعات المالية الأخرى كـ مورغان، ميلون، ديوبون، هاريمان، في إدارة العشرات من الشركات المنتجة للسلاح، ضمن تجمع «روكويل أنترناشيونال» والتي تورد السلاح إلى «تل أبيب»، وتنضم إلى هذا التجمع كافة الشركات النفطية الأميركية التي تخضع، في الغالب، للصهيونية، فعشرات الملايين من الدولارات تقدمها شركة «جنرال موتورز» لإسرائيل سنوياً».

كما شاركت المؤسسات الاحتكارية الاميركية في صناعة السلاح النووي «الإسرائيلي» وأعلن الدبلوماسي الاميركية د. نيس أن الولايات المتحدة في بداية السبعينات قدمت لإسرائيل معطيات ومعلومات تقنية متطورة جداً تتعلق بالاستخدام الفعال للسلاح النووي في الشرق الأوسط».

ويعمل «أكثر من خمسين مركزاً للبحث العلمي في «إسرائيل» بـ ٢٢٥ مشروعاً متعلقاً بطلبات الهيئات الحكومية الأمريكية، وخاصة البنتاغون.

وهذه المراكز تنفّذ طلبات البنتاغون بدراسة مواصفات «إسرائيل» الطبيعية والجوية من أجل الأغراض العسكرية، وفاعلية الأسلحة والقدرة القتالية للجنود، وإمكانيات استخدام التقنية المختلفة، والمواد الكيماوية والفيروسات المرضية إلخ..

كما «تخضع» الشركة الصهيونية «أوتوكارز كومباني»، المنتجة لشاحنات الجيش «الإسرائيلي»، لرقابة الشركة الأميركية لصناعة الآليات العسكرية «يو، إس، كايزر فيلكس كومباني». وشاركت الشركة الأميركية «لينيغ ـ تيمكو ـ بووت» (التي تعتبر من الشركات العشر الأميركية المموّلة للبنتاغون)، في إنشاء «الانتاج الحربي في إسرائيل». وقامت «شركة «لورانس روكفلر» بتمويل الشركة الاسرائيلية «ايلترون» التي تنتج المعدات الألكترونية ذات الأهمية الحربية».

ويعتبر بنك «الاخوة لازار» أحد أضخم الامبراطوريات المالية الخاضعة لتوجيه «أصدقاء إسرائيل». وممثّلو هذا البنك في انجلترا وفرنسا يشتركون كأعضاء دائمين في «كونغرس أصحاب الملايين» الذي مقره القدس. ويترأس الفرع الأمريكي للبنك جيفري لازار، الذي يشغل نائب رئيس «لجنة اليهود الأمريكيين»، كما يترأس «المجلس القومي اليهودي». والفرع الأمريكي للبنك المذكور خاضع لسيطرة شركة «جنرال ديناميكس كوربوريشين»، التي تعتبر من الموردين الخمسة الأوائل لاحتياجات البنتاغون من الأسلحة (الصاروخية خاصة). ويعد مدير شركة «جنرال باكارد» من الأغنياء الثلاثين الأوائل في أميركا، ومن أكبر المحتكرين في مجال صناعة الطائرات «ومن أنصار زيادة الدعم العسكري لاسرائيل». وهناك العديد من الشركات المنتجة للأسلحة لها

علاقات مباشرة مع إسرائيل مثل «جنرال تاير أند روبير كومباني»، «راديوكوربويشين أوف أميركا»، «سبيري راند»، «جنرال ألكتريك»، «أمفيتو»، «مفنافوكس». ويستشهد يفسييف، بما أورده ألفرد ليلينتال، في كتابه «أمريكا في شراك الصهيونية» عن مدى «تأثير رأس المال الصهيوني على الحكومة والشعب الأميركي»، وحيث ذكر أنه، حتى عام ١٩٥٥، كان «خمس عدد أصحاب الملايين في أميركا من اليهود»، وأن «المراكز المالية توجّه من قبل اليهود»، وهي «تهتم بمصالحهم، وتلعب البنوك التابعة لغولدمان، ساكس، كون، ليب وك، لازار، ليمن برازرز، سولومون إلخ.. دوراً كبيراً في تمويل الاحتكارات الأمريكية المعاصرة وتؤثّر بشكل كبير على اقتصاد أمريكا».

التأثير الصهيوني في الكونغرس الأميركي

وهو «التأثير الفاضح والأهم للصهاينة» في أمريكا، كما يذكر يفسييف. «فأصدقاء إسرائيل» يتمتعون في ولاية نيويورك بـ ٦٥٪ من المقاعد، وحيث يُطلق على هذه المدينة «القدس الأميركية».

فالاجراءات التي تتّخذها مدينة نيويورك، تدعم، دوماً، «الموقع الاسرائيلي وتعادي العرب وبلا خجل».. فعمدة نيويوبوك (السابق) جون ليندسي، كما يذكر ليلينتال، «أظهر نفسه كعمدة تل أبيب أكثر منه عمدة لأكبر مدينة أمريكية». وموريس إيميتي زعيم اللوبي الصهيوني في الكونغرس عام ١٩٧٥، ذكر أن «مجموعة الضغط» التابعة له «فعالة بشكل كبير»، وأنها «تزور بصورة منظمة.. رجال الكونغرس الجدد، والعلاقة متينة مع الجميع، وخصوصاً، الجدد منهم في مجلس الشيوخ».

في عام ١٩٧٤، اعترف رئيس الأركان العامة السابق في الجيش الأمريكي جورج براون، أثناء لقائه طلبة جامعة «ديوك» بمدى قوة اللوبي الصهيوني في الكونغرس، حيث قال: «اللوبي الإسرائيلي قوي

لدرجة لا تُصدّق. عندما يأتي إلينا الاسرائيليون لطلب الأسلحة يقولون: اطمئنوا من ناحية الكونغرس. فالذي نريده منه ينفذّه. وهم مواطنو دولة أخرى ويستطيعون فعل هذا. وأنتم تعلمون أنهم يمتلكون البنوك والصحف هنا، وأينما نظرتم تشاهدوا النقود اليهودية».

يمارس اللوبي الصهيوني الضغوط المختلفة، ويخلق جواً من الخشية. ويستخدم كافة أشكال «المكافآت»، ويمنح الأجور المرتفعة «لقاء المحاضرات الخاصة بالمنظمات اليهودية».

وحسب القانون (PL ٩٢ ـ ٣٢٩) الأمريكي بصدد «حقوق الإنسان»، فإنه يتم منع تقديم الدعم والعون للحكومات التي لا تحترم هذه الحقوق، «غير أنه وكما تظهر التجربة، يفقد هذا القانون قوته عندما يجري الحديث عن المساعدة الأمريكية للنظام العنصري في تل أبيب. ففي اليوم التالي لمجازر صبرا وشاتيلا صوّتت لجنة الكونغرس الأمريكي على زيادة المساعدات الأمريكية لإسرائيل بمقدار ٣٣٥ مليون دولار»!

كما أن البيت الأبيض نفسه يقدّم «الدعم المطلق لأية جرائم تقوم بها تل أبيب»، وحيث أعلن ريغان، الرئيس السابق، أنه «إذا اتّخذت هيئة الأمم المتحدة قراراً بطرد إسرائيل منها، فإن الولايات المتحدة ستنسحب من هذه المنظمة الدولية»! كما أضاف، أن التحالف بين واشنطن وتل أبيب «أصبح، اليوم، أقوى من أي وقت مضى، بعد توقيع معاهدة التحالف الاستراتيجي».

ويذكر يفسييف، بصدد النفوذ الصهيوني، أن الرأسماليين اليهود في الولايات المتحدة يساهمون «بـ ٤٠٪ من نفقات الانتخابات للحزب الجمهوري، و٦٥٪ للحزب الديمقراطي»!

وإن المنظمات الصهيونية الأمريكية التي تقف في قمة اللوبي الصهيوني، وتمارس نشاطها وتأثيرها القوي في أميركا هي:

١ ـ كونفرانس (مجلس) رؤساء المنظمات اليهودية الرئيسية في الولايات المتحدة (الضغط على البيت الأبيض).

٢ ـ اللجنة الخاصة بالعلاقات الاجتماعية الأمريكية ـ الاسرائيلية (متخصّصة بشؤون الضغط على الكونغرس).

(٣) الكونفرانس (المجلس) الوطني للدفاع عن اليهود السوفيات (٤ ملايين عضو).

٤ ـ منظمات أخرى: «بناي برايت»، «اللجنة اليهودية الأميركية»، «الكونغرس اليهودي الأمريكي»، «مجلس الكنائس اليهودية الأمريكية» (يضم أكثر من ٥٠٠ منظمة في الولايات المتحدة).

«ويصوّت ٨٠٪ من مجلس الشيوخ، و٣٥٠ من أصل ٤٥٥ من أعضاء مجلس النواب على القرارات المعادية للعرب»، والمقترحة من قبل اللوبي الصهيوني. ويملك «أصدقاء إسرائيل الأمريكيين ما قيمته ١٥٠٠ مليار دولار». ويقوم بالدعاية المعادية للعرب عامة، والفلسطينيين خاصة، «أكثر من ٧٠٪ من مؤسسات النشر الأمريكية و٨٠٪ من برامج التلفزيون».

وفي خريف ١٩٨٧، كما يذكر يفسييف، نشرت صحيفة «نيويورك تايمز»، «أن كافة المرشّحين للرئاسة الأميركية أجروا لقاءات مع مندوبي الصهاينة، تتعلق بمواقفهم من مشكلة الشرق الأوسط. واعتبر ناجحاً في «الامتحان» من أعلن عن دعمه غير المحدود لاسرائيل»!

ويضيف أن هناك، ضمن المخابرات المركزية الأمريكية مجموعة خاصة، يطلق عليها «القسم اليهودي» (جويش سيكشن)، وهي معنية

«باشتراك الموساد الاسرائيلي في عمليات التجسس الأميركية. وكل دولار تنفقه الولايات المتحدة.. تحصل مقابله على خدمات تعادل ألف دولار من ضمن هذه الخدمات ـ المعلوماتية الاستخبارية من قبل مجموعات التجسس الاسرائيلية».

التأثير الصهيوني على الرأي العام الأمريكي

يرى يفسييف أن الرأي العام الأمريكي «يتشكل بناءً على التأثير الذي تمارسه الصهيونية من خلال الصحافة والاعلام التي يمتلكها كبار اليهود». أما وسائل الاعلام الحكومية والجماهيرية الأخرى، فاليهود الصهاينة يحتلون فيها «مراكز قيادية». ويتواجد اليهود في «كافة هيئات تحرير الصحف والمجلات والمناصب الحساسة فيها، كرؤساء للتحرير ومحرّرين رئيسيين، حيث يتمتّعون بالفيتو على كل المواد المطبوعة لديهم، ولا أحد يستطيع التعرض لانتقاد اليهود وإسرائيل خوفاً من الخروج عن خط مسيرة المدير، بالرغم من أن طلباته لا تحمل طبيعة صهيونية. وببساطة، لأن المدير لا يرغب المشاحنات مع الشخصيات المؤثّرة، ويخاف فقدان الحجز على الدعايات التي يكسب من ورائها أكثر من «حرية الصحافة الوهمية». إن الخوف والضغط يوجهان الجميع».

ويمارس التأثير الصهيوني دوره في فرض نوع من «الرقابة على بيع الورق والصحف والمجلات»، كما أن هناك «احتكاراً تاماً لتوزيع الأخبار في نيويورك» على أيدي مؤسسة «كوبوريشين ناشيونال سرفيس»، التي يمتلكها غاري غورفنيكل.

أما توزيع الكتب فتحتكره مؤسسة «بوك أوف مويس كلاب» التي «وزعت خلال أربعين عاماً ٢٥٠ مليون كتاب». وصاحبها هو اليهودي الأصل من إنجلترا غاري شيرمان. وتحتل الشخصيات الصهيونية مواقع

حيوية في التلفزيون والاذاعة. منهم مدير المجلس الاداري في (C.B.S) وحتى فترة قريبة، ويليام بالي، والمسؤولان عن إدارة (R.C.S) دافيد وروبرت سارنوف، ولفترة طويلة. والمسؤول الحالي عن (N. B. C) يوليان غودمان. وترأس ليونارد غولدنسون إذاعة (A.B.C)، وحلّ محله فريد سيلفرمان («ثمرة نفس السلالة» الصهيونية). وهناك العديد من الموظفين الصهاينة«في المكاتب الثلاثة في الحي الشرقي في مانهاتن.. والتي تدرس انتقاء أهم الأفكار ووجهات النظر والمعلومات المخصّصة للنشر في أوساط الأمريكيين».

ولكلّ من هذه المكاتب إذاعة وشبكة تلفزيون مستقلّة وهيئة تحرير. وهي تتولّى مسؤولية «تنظيم برامج الأخبار». وتصيغ وتوزّع الأخبار المحليّة والعالمية. فمثلاً، يشرف روفين فرانك على أخبار (N.B.C)وريتشارد سالانت على أخبار (C.B.S). ويعدّ مارتن روبنشتاين وابراهام ويستن، إلى جانب غولدنسون (الذي يعمل عنده روبنشتاين) الذين «يملون على ٢٠٠ مليون أميركي تخريبهم الشخصي للأحداث التي تجري في أمريكا والعالم».

وتفرض الشخصيات اليهودية الصهيونية والمتعاطفة معها، الرقابة على برامج المقابلات الصحفية «بما يخص القضايا الداخلية الأميركية». ولسنوات طويلة شغل ستيوارت شولبيرغ مسؤول البرنامج الجماهيري «اليوم»، نجده «لم يذكر أية أخبار عن الشرق الأوسط» دون موافقة «ازلام إسرائيل» (أمثال هيوداونس، وبربرا وولتر).

اويضيف يفسييف: «أن ٧٠٪ من المراكز الهامة في وسائل الاعلام الجماهيري تتركز في أيدي أنصار إسرائيل». كما يسيطر اليهود الصهاينة على «إنتاج الأفلام الروائية»، وعلى العديد من أوجه النشاط السينمائي في هوليود. وخاصة أفلام «متروجولدين ماير»، «فوكس القرن

العشرين»، «باراماونت»، «كولومبيا»، «وورنر برازرز» وغيرها. وفي السنوات الأخيرة، في الثمانينات، بدأت هوليود «صفحة من التعاون مع مؤسسة صناعة السينما الإسرائيلية الناشئة». وحين قامت النجمة السينمائية البريطانية فانيسا ريدغريف بعرض فيلم وثائقي عن الفلسطينيين في نيويورك عام ١٩٧٧ حيث تظهر الدول الصهيونية، على حقيقتها «كمجتمع فاشي عنصري يجب إزالته»، ثار «عش الدبابير» الصهيوني في وجهها، وتمّت محاصرة عرض الفيلم ومنعه. وكتبت صحيفة «نيويورك بوست»: «ريدغريف تدعو لتدمير إسرائيل». وعندما تم إعلان ريدغريف أفضل ممثلة في فيلم «يوليو» عن دورها كفتاة معادية للنازية، حاولت جامعة حماية اليهود، ولجنة اليهود الأمريكيين بذل كل الجهود «لمنع تقديم الجائزة». وكتب الناقد السينمائي وينسنت كندي في «نيويورك تايمز» أن «الفنانين العظام ليسوا أولئك الذين يحاولون عرض أفلام لصالح الفلسطينيين»، وجرت تظاهرات صهيونية معادية، وأخرى مناوئة لها.

وفي ٢١ آب ١٩٨٥ نشرت الصحف حادثة طرد البروفسور أرنست ديوب من جامعة نيويورك، حيث كان يدرّس مادة التاريخ المعاصر في قسم البحوث الافريقية، وذلك لأنه ألقى محاضرة بعنوان: «ثلاثة أشكال للعنصرية تتمثل في (١) النازية الهتلرية، (٢) نظام الفصل العنصري في جنوب افريقيا، (٣) الصهيونية في إسرائيل». وكان الصهاينة هم الذين «ضغطوا على العمدة م. كومو ليصدر أمراً بطرده من الجامعة».

وفي بداية عام ١٩٨٤ مُنع الصحفي الأمريكي أ. كوكبيرن من نشر كتاباته في صحيفة «فيلليدج»، لأنه «فضح سياسة «إسرائيل» في الشرق الأوسط». وأخذ في تأليف كتاب يبيّن فيه حقيقة الاجتياح الصهيوني للبنان عام ١٩٨٢.

يذكر يفسييف أنه عندما أصدرت الجمعية العمومية للأمم المتحدة عام ١٩٧٤ القرار رقم ٣٣٧٩ الذي يدين الصهيونية كحركة عنصرية رجعية، حاولت الدعاية الصهيونية، وخاصة في أمريكا، تصوير ذلك القرار بأنه «موجه ضد اليهود» في جميع أنحاء العالم، وأنه مضاد للسامية! وتـطلّب ذلك «إدخال مدفعية الصهيونية من العيار الثقيل»، كالكونغرس اليهودي العالمي، والوسام الماسوني «بناي برايت» (أبناء المواعظ)، ووليداتها من المنظمات الصهيونية التخريبية والارهابية، والتي «تستخدم طرق الإرهاب والتصفيات الجسدية للأشخاص الذين يشكلون خطراً على الصهيونية».

وينفق الصهاينة، كما يورد يفسييف، «مبالغ طائلة لتحييد قرارات الأمم المتحدة، حيث تذهب هذه المبالغ لتنشيط «الصحافة الكبرى»، ولشراء بعض الشخصيات السياسية في العالم، وحاملي الألقاب الكبيرة وأصحاب المناصب، وكذلك الكتاب وعلماء الاجتماع والنجوم السينمائيين، وغيرهم من الشخصيات الهامة في الغرب الذين يميلون لحماية الصهيونية من الاتجاهات المعادية لها. وتوجّه جهودهم لوقف انتشار نقد الكيان الصهيوني وفقاً لما جاء في القرار ٣٣٧٩». وقد ابتدع الصهاينة «مسلسلاً من الخرافات للتشكيك بالأمين العام السابق لهيئة الأمم المتحدة كورت فالدهايم» أثناء اتخاذ القرار المذكور. ويظهر نشاط اللّوبي الصهيوني في «برلمانات العديد من الدول الغربية»، للمطالبة بالعدول عنه. وقد أعلنت لجنة من ممثّلي الكونغرس الأميركي، بتاريخ ١١/١١/ ١٩٨٧، أن هذا القرار «ليس مفيداً لتسوية مشكلة الشرق الأوسط»، وغير متناسب مع ميثاق الأمم المتحدة، وكذلك «غير مقبول لأنه يصوّر الصهيونية بشكل خاطىء»!

لكن، وكما كتب يفسييف، فإن «الغضب العشوائي للصهاينة لا يمكن أن يزيل وشم العنصرية والاغتصاب عنهم».

الارهاب ضد العرب في أميركا

أصبح السكان الأميركيون المتحدّرون من أصل عربي، ضحية للأعمال الإرهابية التي تنظمها المجموعات الصهيونية المتطرفة شبه العسكرية مثل «جامعة الدفاع عن اليهود»، مستفيدة من تغاضي البوليس وحماة السلطة.

«إذا كنت أمريكياً من أصل عربي فكن حذراً: في كل مكان يمكن أن تنتظرك قنبلة!».

هذه عبارة رئيس لجنة معارضة التمييز ضد العرب الأميركيين السناتور السابق جيمس أبو رزق. وفي مقابلة صحفية، أجرتها معه صحيفة «الأهرام» القاهرية عام ١٩٨٦، ذكر أنه تلقّى وثيقة وزعتّها المنظمة الصهيونية المتطرفة المذكورة أعلاه، وسُمّيت الوثيقة بـ «العملية الخاصة بالتطهير»، حيث ورد فيها أسماء الأميركيين من أصل عربي الواجب تصفيتهم. وكان بينهم أبو رزق وأليكس عودة الذي شغل منصب مدير لجنة معارضة التمييز ضد العرب، والذي قُتل بقنبلة وضعت تحت باب مكتبه في تشرين الأول عام ١٩٨٥. وقبل الحادث بشهر، جرى تفجير قنبلة موقوتة أمام اللجنة في بوسطن. وفي تشرين الثاني من العام نفسه «تمّت عملية إحراق مقر اللجنة في واشنطن، ودُمرت ممتلكاتها بالكامل، كما تتوارد رسائل التهديد إلى الجوامع والمؤسسات الإسلامية بشكل مستمر».

إن الذي يثير حقد المنظمات الصهيونية الأميركية، أن اللجنة التي يترأسها أبو رزق تبيّن دور «إسرائيل» كمنظم وحامي للارهاب.

في ١٧ حزيران عام ١٩٨٦، نُفّذ حريق في مقر «النداء الفلسطيني الموحد» في ضاحية كولومبيا نجم عنه خسائر بلغت ١٠٠ ألف دولار، كما أصبحت صحيفة «أرراي» الصحيفة العربية الوحيدة الصادرة بالإنكليزية في فيلادلفيا موضوعاً للترهيب والعنف، حيث تعرّضت، أكثر من مرّة، لهجمات عناصر الجماعات اليهودية المتطرفة. وسُرقت منها، عام ١٩٧٥، آلات الطباعة، وفي ١٧ كانون الثاني ١٩٨٦ الساعة الحادية عشرة ليلاً، اعترض ثلاثة أشخاص المحرّر دبّاس في الشارع، وسأله أحدهم إن كان محرراً في الصحيفة فرد عليه بالإيجاب، حينها انهالوا عليه ضرباً، حتى فقدوعيه، وتركوه ينزف بعد أن كسروا جمجمته، واحدثوا جرحاً عميقاً تحت عينه. «وحوّل البوليس الحادثة إلى عملية تشليح مع استخدام القوة»! لكن دباس أكّد أنهم لم يأخذوا منه شيئاً «هاجموني لأني أُعتبر صوت الجالية العربية في الولاية»، هذا ما قاله.

بعد حادث دباس «قُتل عالم اللاهوت اسماعيل الفاكوري مع زوجته حيث كان مدرّساً في جامعة «يتمبل» وتناقلت الشائعات أن الحادثة ذات طابع سياسي وهذا ما أكدته الشخصيات الرسمية».

في مدينة ديربورن ضاحية ديترويت، التي تتواجد فيها أكبر جالية عربية، يمكننا أن نشاهد على الجدران «يجب القاء قنبلة ذرية على رؤوس هؤلاء وفي عماماتهم».

خرافة «اللوبي العربي»

أصبح الموضوع المحبب للصحافة الصهيونية المتاجرة بمشروع «التأثير الكبير للوبي العربي على سياسة واشنطن»، وذلك بناء على مسلّمة أن الاقتصاد الأميركي مرتبط بالكامل بالنفط العربي، وهذا مما يسمح للعرب «مسك واشنطن من حنجرتها»! لكن «الحقيقة أن اللوبي

النفطي ضمن الولايات المتحدة لا يرتبط بالعرب اطلاقاً، وأن نشطاء وشركات الصهيونية هم الذين يسيطرون على زمام الأمور».

فاللوبي المذكور يترأسه معهد النفط الأمريكي الذي يجمع ٣٥٠ شركة غاز ونفط تسيطر عليها الأوساط الصهيونية، وهذه الظاهرة تعم المؤسسات النفطية العاملة في دول الشرق الأوسط أيضاً. منذ عام ١٩٧٥ يوجد في جامعة «جورج تاون» مركزاً لدراسة العالم العربي المعاصر، ويموّل بشكل سرّي من المنظمة الصهيونية العالمية من خلال الاحتكارات الأمريكية «إيكسون» و«موبل أويل» وبنوك «تشيز مانهاتن» و«سيتي بنك».

إنّ «اللوبي النفطي» والمنظمات التابعة له ينتقد إسرائيل «شفهياً» على أعمالها «المتطرفة»، غير أن هذه الاهتمامات والتصريحات «المتوازنة» تجاه المنطقة، ليست تعاطفاً مع الفلسطينيين، وإنما «للحفاظ على استمرار النفط ونقل المواد الخام وكسب المزيد من الأرباح».

كما يتمّ إخفاء حقيقة أن الشركات النفطية المالكة مرتبطة، بشكل وثيق، مع الصهاينة. فهم يسيطرون على أضخم ثلاث شركات نفطية وهي «إيكسون»، و«ستاندارد أويل كومباني أوف كاليفورنيا»، و«موبل أويل»، إضافة إلى أضخم بنك نفطي هو «تشيز مانهاتن» من خلال مجموعة روكفلر. وتشهد «اتصالات» هذه المنظمات والشركات مع المخابرات المركزية الأميركية، على أن هذه المؤسسات هي «أداة السياسة الخارجية الأميركية في الشرق الأوسط».

دسائس المخابرات الصهيونية

تُعتبر أجهزة المخابرات السرية «الموساد» الصهيونية، «جزءاً من

تحالف أجهزة المخابرات الامبريالية التي تقودها المخابرات المركزية الاميركية». كما يوجد «اتفاق بين المخابرات «الاسرائيلية» والأميركية، وأعضاء حلف الناتو حول تبادل المعلومات، واتفاق آخر للتعاون ضد حركة المقاومة الفلسطينية. وتبعاً لذلك، تتلقى «إسرائيل» المعلومات من أقمار التجسس الاميركية وطائرات الأواكس، عن المواقع الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية والأسلحة الموجودة لديهما».

وقد بدأ، فعلياً، النشاط الصهيوني في مجال التجسس بعد الصياغة المنظمة للصهيونية في المؤتمر الصهيوني الأول في بال ـ سويسرا ـ عام ١٨٩٧ وأصبح حزب بوعالي تسيون (عمال صهيون) يتجسس على أعداء الصهاينة في أوروبا.

عندما بدأت الحرب العالمية الأولى، قاد الصهاينة سياستهم في اتجاهين، وأقاموا اتصالات مع الطرفين المتنازعين، فدخل بن تسفي، وبن غوريون، في علاقات مع الحكومة العثمانية واقترحا زج تنظيم «غاشومير» العسكري ضمن القوات العثمانية على شكل ميليشيا، فرفض الأتراك هذا الاقتراح. وعندما بات واضحاً أن تركيا ستخسر الحرب، قدم الصهاينة نفس الاقتراح إلى دول المحور، وفي عام ١٩١٤ تم تشكيل شبكة تجسسية عملت مع دول المحور حتى عام ١٩١٧.

بعد انتهاء الحرب وفرض الانتداب البريطاني على فلسطين، تغيّر وضع الصهاينة حين اعترفت بهم رسمياً السلطات الاستعمارية. وفي عام ١٩٢٠، انشأوا رسمياً وعلنياً الوكالة اليهودية لإدارة شؤون الاستيطان الصهيوني، التي بدورها شكّلت شبكة سرية خاصة، مهمتها إقامة الشبكات التجسسية في أميركا والدول الأوروبية والعربية.

وفي الدول العربية، لجأ الجواسيس الصهاينة إلى الارهاب لإرغام

اليهود في هذه الدول على الهجرة إلى فلسطين. في عام ١٩٤٣ بدأت عصابات «شيروت» نشاطها في العراق حيث يقطن ١٣٠ ألف يهودي، فقام العملاء بتفجير قنابل قرب كنيس موسى شيمتوف في بغداد (١٤ كانون الثاني ١٩٥١) الذي ذهب ضحيته ثلاثة أشخاص، وجرح عشرون آخرون. وقامت اليهودية السكوتلندية ماريون فولفسوت بفضح «المنظمة الصهيونية بتفصيل جزئيات العملية، التي نفذها جواسيسها ضد الطائفة اليهودية في بغداد، ونشرتها في كتابها الصادر في لندن بعنوان «الأنبياء في بابل: اليهود في العالم العربي عام ١٩٨٠».

وقد أعدّت المخابرات الأميركية والموساد «الإسرائيلي» خطة استراتيجية مشتركة لشق صفوف الوحدة العربية، وسميت «الانقسام». وتستمر الخطة حتى عام ألفين، ويعمل الطرفان على تحقيقها سوية.

تتلخّص الخطة في ضرب أي توحّد عربي، (حسب «المبدأ الجغرافي») بفصل دول المشرق العربي عن دول المغرب العربي، ثم توضع مهمة تقسيم كل منطقة عن طريق تكريس النزاعات المحلية: الجزائر مع المغرب، ليبيا مع تونس، سوريا مع مصر وإلخ... تدرس عملية «الانقسام» استخدام القضية الفلسطينية «لتضخيم الخلافات بين الدول العربية وخلق الصعوبات أمام الفلسطينيين في الدول العربية»، وانتهاز الفرص «للانتقام» ممن «سيمنح للفلسطينيين مأوى»؛ وبنفس الوقت السعي لشق صفوف حركة المقاومة الفلسطينية، وإشعال التفرقة الطائفية بين الشيعة والسنة، بين الإسلام والمسيحية، وتشجيع قتل العرب بأيدٍ عربية.

دور «الموساد» الصهيوني في اغتيال عبد الناصر

يورد يفسييف بعض المعطيات عن مقتل الرئيس جمال عبد الناصر فيقول: «بأن ظروف موته حتى الآن مشكوك فيها، حيث أن طبيبه

الخاص د. العطفي كان يعمل لصالح المخابرات الإسرائيلية، وهناك معلومات تؤكد أنه استطاع تسميم عبد الناصر بسم خاص، أعد في مختبرات المخابرات المركزية الأميركية، يوقف عمل القلب ببطء شديد. ويؤكّد بعض المعتقلين السابقين، الذين كانوا مع الطبيب العطفي في زنزانة واحدة، بعد إدانته بالتجسس، أنه روى لهم عن مشاركته في المؤامرة ضد عبد الناصر. وهذا ما يفسره اهتمام السادات الخاص بالتقرير الطبي عن الوفاة، وتأكيده على توقيع أكبر عدد ممكن من الأطباء عليه، وبأن الوفاة حصلت نتيجة أزمة قلبية، وأحيطت ظروف مقتل الدكتور «الموجى» الذي فحص الرئيس عبد الناصر، قبل وفاته بدقائق بالغموض، وبقيت نتيجة المعاينة معه، دون أن يتمكن من الافصاح عنها»[٦٤].

الفصل الخامس

آراء ومواقف متفرقة

الصهيونية في روسيا القيصرية

كان يفسييف من أوائل الكتاب السوفيات الذين اهتموا بدراسة تاريخ ونشاط الصهيونية، حالياً، وفي روسيا القيصرية سابقاً. وكان قبل استشهاده يعد لطباعة كتابه عن «الصهيونية في روسيا» (من القرن التاسع عشر وحتى البيروسترويكا).

إن تاريخ ظهور الصهيونية في روسيا، وتحوّلها إلى عامل «من عوامل الحياة السياسية»، وحيث «لعبت في مرحلة تاريخية دوراً لا يستهان به»، هو «ميدان لم يدرس تقريباً»، قبل يفغيني يفسييف. لأنه وكما يذكر هو، «كانت الدراسات التاريخية لا تولي هذه الناحية اهتمامها؛ مع أن دراسته تساعد الباحثين على الفهم العميق، وإيضاح العديد من ظواهر الواقع الروسي قبل الثورة». وباستثناء دراسة ل. فوستوكوف «نشاط الصهيونية المعادي للشعوب في روسيا»، وبعض الدراسات المعدودة الأخرى، فإن يفسييف يعتبر بحق أوّل من أولى

اهتماماً كبيراً تجاه هذا الموضوع. ومما يدل على عمق عدائه الفكري للصهيونية وما تمثّله. ويحضرنا في هذا الصدد استشهاده، في دراسته عن «الصهيونية في روسيا القيصرية»، بقول روبنشتين (أحد اليهود الروس المعادين للصهيونية في روسيا):

«كنا نعرف الإنسان الشريف بأفكاره المعادية للصهيونية».

تعود بداية النشاط السياسي الذي قام به «أسلاف الصهاينة بين سكان روسيا» إلى العام ١٨٧٣، عندما قامت اللجنة المركزية «للاتحاد الاسرائيلي العالمي» (تأسس في باريس عام ١٨٦٠ برعاية المليونير المصرفي اليهودي روتشيلد، وكان شعاره الكرة الأرضية وعليها عصا موسى، ونداؤه: «كلّ اليهود يتعاونون مع بعضهم»! وفي تقديرات أخرى، أن الاتحاد المذكور تأسّس عام ١٨٤٠، إلاّ أن نشاطه البارز بدأ عام ١٨٦٠)، قامت، بتأسيس ٤٠ مركزاً ومجلساً محلياً في المناطق المتاخمة لروسيا (في المانيا والنمسا).

وكانت هذه المجالس المحلية القائمة على جانبي الحدود، تكوّن «سلسلة متّصلة الحلقات» من مراكز المراقبة على طول الحدود. وهي «تحتضن كل الطرق، وتراقبها، وتؤمّن لنفسها حرية اجتياز الحدود»! وقد تم تكليف المجالس المحلية «بوظائف اقتصادية وسياسية»، أهمها استخدام «عصابات التهريب وتغذية الأمزجة المعادية لروسيا بين اليهود الروس، وجذب الأشخاص ذوي المراكز الاجتماعية المختلفة للتعاون» مع «الاتحاد الاسرائيلي العالمي»، من خلال الاعتماد على «خدمات الحاخامات، وعن «طريق المساعدات المادية» و«نشر التعليم». وكان «الاتحاد» يرسل المعونات المالية إلى المحافظات والأقاليم الشمالية من روسيا، عن طريق البارون غينتسبورغ، وإلى الجنوبية عن طريق المصرفي بيرواك.

واتّسم نشاط «الاتحاد الإسرائيلي العالمي» في روسيا بطابع سري، وكان «موجهاً نحو ترسيخ عزلة اليهود السياسية الدينية عن بقية السكان، وخاصة في لاتفيا وبولونيا والمحافظات الواقعة في الجنوب الغربي من روسيا».

أما الوثائق والمراسلات التي تدل على «هذا الاتجاه السياسي» فكانت، «تُتلف بدقة، حسب تعاليم المركز المشدَّدة». وكانت المراسلات تتم عن طريق الشيفرة، واستخدام الحبر السرّي. ويذكر يفسييف، أنه في أحد الرسائل «التي وصلت إلينا»، والتي تعود إلى عام ١٨٨١، يرحّب فيها «ببداية المذابح اليهودية»، وانطلاقاً من تبنّي سياسة «كلما كانت الحالة سيئة كلما كانت النتيجة أفضل». ويشار في هذه الرسالة إلى «برنامج وطرق توحيد اليهود في منظمة واحدة، وذلك بالاعتماد على تخويف اليهود من المجازر، عن طريق المبالغة في وصف هذه المجازر، وبترغيبهم في مغادرة روسيا إلى أميركا أو فلسطين».

وبهدف تحقيق ذلك، تقترح الرسالة «تنظيم شبكة أوسع من الجمعيات وجذب الجماهير إليها»، وإلى ضرورة القيام «بجمع التبرعات والاشتراكات»، وإحياء «الحفلات المنزلية، والأمسيات المكرسة للدعاية للغة العبرية».

إن عملاء «الاتحاد الإسرائيلي العالمي» لم يدعوا، مطلقاً، إلى النضال الطبقي وتغيير شروط الحياة الاجتماعية والسياسية في روسيا القيصرية، بل ادّعوا الدفاع عن «الطائفة اليهودية»، وقاموا بحراسة مصالح رجال الدين اليهود، وطرحوا الشعار البرجوازي اللاطبقي «التعاون اليهودي الشامل»، وحيث تبنّت هذا الشعار «جمعية نشر التعليم بين اليهود في روسيا»، والتي كانت «ستاراً» لحجب نشاط أحد

فروع «الاتحاد» المذكور الذي اقتصر نشاطه على «القسم الموسر» من اليهود الروس. وأصبحت الفئات الموسرة من السكان اليهود مصدراً مادياً لتمويل نشاط العديد من الجمعيات الصهيونية الأخرى في روسيا. وكما ذكرت مجلة «الفجر» الصهيونية في ٣/ ١٠/ ١٩٠٢، حسب تحليلها لمعطيات غرفة التجارة والصناعة في روسيا، فقد كان الرأسماليون اليهود يملكون عدداً كبيراً من المعامل ورؤوس الأموال، وخاصة على سبيل المثال، في محافظات المنطقة الشمالية الغربية. «فمن أصل ٢٧٤٩ مصنعاً، وتصل رساميلها إلى ٦٢,٩١٨٥٠٠ مليون روبل، كان الرأسماليون اليهود يملكون ١٤٠٢ مصنع، وتصل رساميلها إلى ٢٩,٩٦٢٠٠٠ مليون روبل».

فهل كان الرأسماليون اليهود يساعدون «إخوتهم بالدم والمصير» من العمال اليهود الذين كانوا يعملون في المصانع أو غيرها؟ وكان عدد العمال اليهود، في مختلف المحافظات الشمالية الغربية، والجنوبية الغربية،والجنوبية، يصل إلى ٣٤,٤٠٦ ألف عامل. وكان حسب إحصاء ١٨٩٧، يزيد عدد اليهود في روسيا على خمسة ملايين بقليل، وكان ٣,٢٩٪ منهم يعمل في الأعمال التجارية، «بينما كان ٧,٧٠٪ يعيش دون عمل معين»! علماً أن نسبة التجار اليهود قياساً بالتجار المسيحيين في روسيا هي أعلى في عدد كبير من المدن (خاصة في كييف)، وكذلك الحال في بولندا حيث وصلت نسبة أصحاب الرساميل إلى ٣٨,٨٪ من السكان اليهود، بينما لم تتجاوز ١٢,٩٪ من السكان المسيحيين، عام ١٨٨٢.

لقد كان الرأسماليون اليهود «يستغلون العمال اليهود دون شفقة» مثلهم مثل سائر العمال في روسيا وبولندا. علماً، أنه كان للرأسماليين

اليهود مواقع راسخة، «إذا لم نقل أنها حاسمة في السوق المحلية لأوكرانيا، وبيلاروسيا، وبولندا، ولاتفيا».

فالاضطهاد القيصري والمجازر ضد اليهود، لم تكن ضد الرأسماليين منهم، بل ازدهر وتطور نشاطهم الاقتصادي. وكان من المفيد للحكم القيصري أن يترك للرأسماليين اليهود تغذية التعصب العنصري «وإيقاد جذوة الشك في نفوسهم تجاه كل الأشخاص غير اليهود»، وذلك جنباً مع سياسة «معاداة السامية» التي يمارسها النظام القيصري.

وقد امتدح قادة الصهاينة «التأثير الإيجابي» لمعاداة السامية على مستوى تطور «وتوسّع» نشاط المنظمات الصهيونية في روسيا. فيورد الكاتب يفسييف، نقلاً عن «الأرشيف المركزي للاتحاد السوفياتي»، احدى الوثائق الصهيونية في هذا الصدد، والتي لم تُنشر من قبل:

«إن معاداة السامية تفيد في بث الرعب في صفوف الدهماء الذين سيطيعوننا بشكل أفضل، بعد أن يقرصهم الجوييم (غير اليهود)، وندافع نحن عنهم. ويكون الجوييم في هذه الحالة قد قاموا بدور الكلاب، التي تسوق قطيعنا. يجب أن تنتبهوا إلى أن معاداة السامية لم تسىء إلينا أبداً، ولم تحط أبداً من قدر أية مؤسّسة من مؤسساتنا، بل كانت توجّه دائماً ضد بروليتاريينا، أي ضد الغوغاء..».

هذا بعض ما جاء في هذه الوثيقة التي تعكس الموقف الصهيوني الحقيقي من الترحيب بمعاداة السامية. كما أن ملوك رأس المال وأصحاب المصانع والتجّار اليهود، «كانت أملاكهم وأموالهم تُحرس، بشكل جيّد، من قبل رجال البوليس، والمؤمّن عليهافي شركات التأمين».. فلم يمسسها أحد بسوء، بل كان «الضرر يصيب، بشكل

خاص. . البرجوازية اليهودية الصغيرة. . وفئات الكادحين». وكان هؤلاء الأخيرون يشكلون النسبة الأكبر بين اليهود الروس الذين غادروا إلى الولايات المتحدة الامريكية وغيرها من الدول الأخرى، في أواخر القرن التاسع عشر. أما بالنسبة للهجرة إلى فلسطين، فكانت ضئيلة جداً وقتها.

والجدير بالذكر، هنا، أن البرجوازية الصغيرة اليهودية كانت شديدة الحساسية تجاه أيديولوجية التعصّب العنصري الصهيوني، ليس «بسبب تربيتها على العقائد الدينية الجامدة لليهودية» فحسب، وإنما، أيضاً، «لأن وجودها كان على ارتباط وثيق بالسوق المحلية»، حيث كان ٧٥٪ من اليهود في كل المدن الروسية «في المحافظات الـ ٢٥ التي يطلق عليها «تخوم الحضر» يشتغلون في التجارة والصناعات الحرفية».

لذلك كانت السوق المحلية «المسرح الأساسي للصراع بين برجوازية القوميات المختلفة والديانات المختلفة».

إضافة إلى أن «تعليم وتربية الشبيبة اليهودية، كان يتم في دور للتعليم كان ٩٠٪ منها ذا طابع ديني، وحيث كانت تُحشى أدمغة الشبيبة بفكرة «الشعب ـ المختار»، الذي يقوم بتنفيذ «رسالة خاصة» على الأرض، وكانت الجماهير اليهودية تُلقّح بالفخر والاعتزاز «باختيارها» [«اصطفائها» من الله دون كل البشر!] وبالاحتقار تجاه كل «الجوييم» ـ غير اليهود ـ، الذين سيحرمون من التمتّع برضى الملكوت السماوي»!

عام ١٨٩٦ أسس الرأسماليون اليهود الروس جمعية جديدة أطلقوا عليها اسم «الصهيونية»، وأعلنوا أن هدفهم الأساسي هو «تحسين حياة اليهود في فلسطين»، وأخذوا يحلمون «ببعث المملكة اليهودية».

وأشرفت هذه الجمعية على عملية «الحصول على الكتب من الخارج وتوزيعها على اليهود الروس»[٦٥].

وقد ارتبطت الجمعيات والمنظمات الصهيونية في روسيا مع المنظمات الأجنبية، منذ اللحظات الأولى، وخاصة مع تيودور هرتزل في أواخر القرن التاسع عشر. وانطلاقاً من المواقف الفكرية لهرتزل، انطلق «البوند» في نشاطه «مرتدياً لباساً ماركسياً» لإخفاء أفكاره الصهيونية.

وقد بدأت منذ عام ١٨٩٧، أي بعد مؤتمر بال الصهيوني، وتأسيس المنظّمة الصهيونية العالمية، «مرحلة جديدة من نشاط البرجوازية اليهودية الخارجية» الصهيونية. ورافق وحدة الصهاينة السياسية، وحدة اقتصادية، «فتشكّلت سنديكات وكونتريات وتروستات وكارتيلات يهودية»، وشغلت القوى الرأسمالية اليهودية مكانة بارزة في قطاع المال والقروض المصرفية. وقد أثّرت الفئات الرأسمالية اليهودية «تأثيراً كبيراً في المؤسسات التجارية الكبرى في روسيا، وسيطرت على البنك الروسي الآسيوي. . وعلى البنك الشمالي، وأقامت علاقات وطيدة مع الجهاز الحكومي، ورأس المال الأجنبي، ووقع البنك التجاري الأوديسي تحت السيطرة الكاملة» للرأسماليين اليهود. كما امتلكوا «إمكانية التأثير الفعّال على الحياة السياسية في البلد». وقد أشار الباحث الأمريكي من أصل روسي ب، سموليار في كتابه «اليهودية الروسية اليوم وغداً» عام ١٩٧١، إلى أن «الارستقراطية اليهودية الروسية لعبت دوراً هاماً في العاصمة القيصرية».

لذا، فقد حدّد «الخوف» من الثورة والتغيير، «سلوك الصهاينة الذين عملوا مع السلطة لضرب ايديولوجية وممارسة البلاشفة». .

وأعلنوا أن «الاشتراكية عدو مميت»، وبدأوا يعملون «بكل الطرق والوسائل، وعلى المستوى العالمي، لإضعاف تأثير الأفكار الاشتراكية على الجماهير الكادحة».

لقد اقترحوا على العمال اليهود «نوعاً خاصاً من الاشتراكية يقوم على قاعدة الانفراد والانعزال الديني العنصري». وقد فسّر الصهاينة الهدف من ولادة «البوند»، بأنه تأسيس «تنظيم يهودي عمالي خاص»! وقد فرض نمو الحركة الثورية الاشتراكية في روسيا على قادة الصهاينة «الركض وراء الجمل الاشتراكية، حيث أسسوا عام ١٩٠١ تنظيماً اشتراكياً داخل الحركة الصهيونية». فظهر «الحزب اليهودي العمالي المستقل»، الذي أعلن أنه «لا يضع أية أهداف سياسية كاملة». لقد حاول الصهاينة بعناد إبعاد العمال عن الأعمال السياسية الثورية، ودعوا إلى النظرية الاقتصادية، و«سحب البساط» من تحت أرجل الثوريين. وأعدت خطة «لتوحيد الخلايا العمالية الصهيونية» تحت اسم «بوعالي تسيون» (عمال صهيون)[٦٦].

وقد جاء في أحد تقارير الشرطة القيصرية، إثر تأسيس «الحزب اليهودي العمالي المستقل»، أنه أمكن تأسيس مثل هذا الحزب «بفضل دعم المقدم فاسيلييف في الشرطة، ولأنّه «في الوقت الحاضر لا يمكن لأية قوة أن تقف في وجه نشاط الاشتراكيين الديمقراطيين، إلاّ الحزب العمالي اليهودي المستقل». ويشير لينين في هذا الصدد، إلى أن البوليس القيصري كان وراء تأسيس هذا الحزب «المستقل» من أجل «خدمة مصالح الحكم القيصري، ومن أجل تسميم وعي العمال السياسي». وكما جاء في تقرير مدير إدارة البوليس في مدينة مينسك ما يلي:

«إن «بوعالي تسيون» يتعارض تماماً مع الحركة الاشتراكية ـ الديمقراطية...»

وفي «عام ١٩٠٤ اتّحد القسم الأكبر من أعضاء «بوعالي تسيون» في الحزب الصهيوني ـ الاشتراكي العمالي»؛ الذي أعلن عن هدفه في إقامة «مجتمع اشتراكي يهودي خاص»، كما عمل على التعاون مع الرأسماليين اليهود.

فقد اعتبر الصهاينة في روسيا القيصرية، أن الصهيونية هي توحيد كل اليهودية، والاشتراكية تفكك اليهودية، لأنّها تعني صراع طبقة من طبقاتها ضد أخرى. ومن هنا تكون النتيجة:

«إن الاشتراكية في نشاطها بين اليهود تقف حجر عثرة في طريق الصهيونية». واعتبرت إحدى الصحف الصهيونية «دي فيلت» (العدد ٤١) عام ١٩٠٠، «أن اليهود الاشتراكيين أكثر خطراً على الشعب اليهودي من المسيحيين».

وفي عام ١٩٠٦ وافق مؤتمر «بوعالي تسيون» على برنامج الحزب الذي يتضمن «أن اليهود في البلدان التي يقطنونها، مهما كانت الأنظمة القائمة في هذه البلدان، لا يمكن أن يتطوروا اجتماعياً أو قومياً تحت ظل نظام الحكم الذاتي.. (و) أنهم يؤيدون فكرة «الأممية الصهيونية»، في عملية ترجمة الأفكار الصهيونية إلى عالم الواقع»، كما يقر البرنامج بضرورة «تنسيق النشاط مع «الصهيونية البرجوازية» في المسائل المتعلقة بالعمل الفعلي في فلسطين». وذلك مما يتطلب «ضرورة المشاركة في نشاط المنظمة الصهيونية العالمية ومؤتمراتها».

وقد أسس عام ١٩٠٥ قسم من المنظمة الصهيونية «غاتهيو» (الانبعاث)، وقسم من «بوعالي تسيون» حزباً جديداً هو «حزب

الصهاينة ـ الاشتراكيين». وذلك بهدف إقامة منظمة سياسية من العمال اليهود «تحت الراية الصهيونية»، ومن أجل تحقيق «تعادل في القوى» في الديمقراطية الاشتراكية.

وقد ضم هذا الحزب في برنامجه وبشكل صريح، «الأفكار الأساسية» للمنظمة الصهيونية العالمية، كما قام بتطبيق «المواد الواردة في نظامها الداخلي.. وتوطيد العلاقات مع جميع المؤسسات والجمعيات الصهيونية في روسيا وخارجها».

وفي المؤتمر الثاني لهذا الحزب عام ١٩٠٨ تمّ الاعلان عن الرغبة الحارة في «أن يبدأ الحزب بعمل التهجير بأسرع وقت ممكن».. وأخذ يقوم «بتنظيم المكاتب الإعلامية، ومكاتب الهجرة، وتأسيس الجمعيات التهجيرية ـ الاستيطانية في روسيا»، وفي نيسان ١٩٠٨ أصبح «حزب الصهاينة الاشتراكيين» يسمى «حزب الاشتراكيين الاقليميين»!

أما «الحزب الاشتراكي العمالي اليهودي»، فقد أيّده «الاشتراكيون الثوريون»، بعد أن أيّد، بالمقابل، برنامجهم! وأصدرت اللجنة المركزية «للاشتراكيين الثوريين» تعليمات إلى منظماتها المحلية بضرورة «الاهتمام الكافي بهذه الظاهرة الجديدة»؛ وطالبت عام ١٩٠٧ من كوادرها الدخول في «مناقشات فكرية» مع أعضاء هذا الحزب، وإقامة علاقات ثقافية معهم! علماً أن برنامج الحزب الاشتراكي العمالي اليهودي «ذو طابع صهيوني علني»، حيث نص على «منح اليهود الاستقلال الذاتي القومي ـ السياسي» في كل بلدان «الشتات». كما يهدف الحزب إلى إقامة «دولة يهودية».. على أساس «الاستقلال الذاتي القومي ـ السياسي» الخارج عن سلطان الدولة. كما طلب برنامج هذا الحزب من أعضائه اليهود «ضرورة رؤية «الوطن» ليس في الوطن، ولكن في اليهودية العالمية»[٦٧].

وفي نيسان ١٩٠٩ اجتمعت الأحزاب الصهيونية التي «لبست قناع الاشتراكية في روسيا» في نيويورك! وهذه الأحزاب هي الحزب الاشتراكي العمالي اليهودي، «وبوعالي تسيون» (عمال صهيون)، والحزب الاشتراكي الاقليمي، «من أجل نقاش مسألة الوحدة»، وبالتالي، توحيد هذه الأحزاب «القومية الاشتراكية» الثلاثة في «حزب قومي يهودي اشتراكي».

وقد نفذت «المسرحية» في المؤتمر، «حسب المخطط»، حيث أظهروا، في البداية، «التفاوت في الآراء (التي لم تكن موجودة في الحقيقة)، ومن ثم حصلوا على قرار جماعي بوحدة روحية منسجمة كاملة».

ويرى يفسييف أنه قد «تحقق في الحياة بيان مؤتمر نيويورك، بعد ثورة شباط [١٩١٧] البرجوازية الديمقراطية في روسيا، وذلك بتشكيل الحزب الاشتراكي العمالي اليهودي الموحد»[٦٨]. وقد انضم إليه الحزب الاشتراكي العمالي اليهودي والحزب الاشتراكي الاقليمي.

وفي ١٦ ـ ١٨ تموز ١٩١٧ عُقد في بيتروغراد مؤتمراً صهيونياً، شارك فيه مختلف أحزاب وجمعيات الصهاينة، ودعوا فيه إلى اجتماع المؤتمر اليهودي العام في روسيا. وذلك لبحث: ١) وضع الأسس اللازمة للحكم القومي الذاتي لليهود في روسيا. ٢) تحديد أشكال ضمان حقوق الأقلية اليهودية. ٣) إقامة الأشكال الانتقالية للمنظمة الطائفية اليهودية الروسية. ٤) تأمين الحقوق «القومية» لليهود في بولندا، وفلسطين ورومانيا!

وبتفويض من المؤتمر الصهيوني السابع لعامة روسيا، سافر تشلينوف رئيس منطقة موسكو إلى لندن لحث الحكومة البريطانية من

أجل «الاعتراف الشرعي» بالمنظمة الصهيونية العالمية، و«بشرعية» ادعاءاتها في فلسطين. ووعد تشلينوف، بالمقابل، باستخدام «نفوذ اليهودية الروسية» للحيلولة دون «خروج روسيا من صف الحلفاء»، ودعم حكومة كيرنسكي. فقد عرضوا على القيادة العسكرية لحكومة كيرنسكي «تشكيل قوات يهودية من ١٠٠ ألف يهودي، وإرسالها إلى الجبهة تحت راية الصهيونية البيضاء ـ الزرقاء»؛ وتحت شعار «من أجل روسيا الحرة!»، و«من أجل الديمقراطيات المتحدة!»، و«من أجل «فلسطين اليهودية المستقلة!»، واقترحت إرسال هذه الوحدات العسكرية اليهودية «إلى جبهة فلسطين»، لكنها «تضع نفسها تحت إمرة القيادة الحربية العليا»(٦٩).

والجدير بالذكر، هنا، أنه خلافاً لتأكيدات الصهاينة، فإن الصهيونية لم تدخل إلى جماهير اليهود الروس «بسهولة ودون عوائق»، فقد قاومتها جماهير القوميات المختلفة، خاصة الجماهير العمالية، إضافة إلى نشاط الحزب البلشفي المعادي للصهيونية، وكذلك مقاومة اليهود أنفسهم.. الذين يرفضون «الانعزال الديني والاجتماعي» لليهود في روسيا. وقد عقد هؤلاء مؤتمراً مناهضاً للصهيونية، تحت اسم «المؤتمر الروسي العام للشخصيات اليهودية». وذلك مما أثار في «معسكر الصهاينة القلق الشديد». ومما دفع أحد قادة الصهاينة في روسيا القيصرية، توغال. بيرنشتاين، إلى الكتابة في احدى مقالاته، الموجهة إلى كل الحلقات الصهيونية، «ليس بإمكاننا تقدير الضرر الذي يلحق بشبابنا والذي يعمل ويخطط له أعداؤنا الألدّاء، والذين يعملون، الآن، لبعث رأي مغاير».. ذلك لأن «رأيين لا يمكن أن يتعايشا معاً. فعلينا القضاء على كل رأي مخرب يهدف تشتيت الشمل»! أي أن الصهاينة أعلنوها «حرباً لا هوادة فيها ضد الآراء والأفكار النيّرة».

لقد ذكر م. روبينشتاين اليهودي الروسي المعادي للصهيونية، «لقد كنا ضد الصهيونية.. كانت الكلمات الرفيعة (البراقة) تغطي أعين الكثيرين، وتغلّف بالضباب عقول الأشخاص حتى المتطورين.. نحن لسنا وحدنا نحتج ضد الصهيونية ونشجب أعمالها.. لقد كنا نعرف الإنسان الشريف بأفكاره المعادية للصهيونية».

لقد كانت الصهيونية، قبل ثورة اكتوبر ١٩١٧ «منظّمة جيداً»، وقد تحكمت، «بشكل كبير»، في منظمات «حزبية ونقابية كبيرة واسعة»، وامتلكت «آلية».. مؤهلة «لإقامة صلة مع أي حزب سياسي تقريباً». لقد دأب الصهاينة على العمل، «بشكل دائم، في صفوف الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية والثورية، ليس كصهاينة كما هو معروف، ولكن كجواسيس يخفون وجهات نظرهم»(٧٠).

أما أسباب «نجاح الدعاية الصهيونية» بين البرجوازيين الصغار والكادحين اليهود في روسيا القيصرية، فيعود، حسب رأي يفسييف، إلى عاملين: ١) «نمط الحياة اليهودي المتميز، حيث كان الحاخامات والديانة اليهودية والتربية القائمة عليها تلعب دوراً لا يستهان به». ٢) «السياسة الاقتصادية والقومية ـ الدينية للنظام القيصري، التي كانت تغذي العداء الديني والقومي» بين شعوب الاتحاد السوفياتي. لأن الطبقات الحاكمة كان يهمها عن قصد اتباع مبدأ سياسية «فرّق تسد». ولكنه بسبب اندلاع ثورة اكتوبر الاشتراكية وتأمين المساواة الاجتماعية والسياسية، تحوّلت الاشتراكية إلى «العدو رقم واحد»(٧١). لدى الصهاينة.

الأممية والقومية لدى يفسييف

في حوار «جهاد صالح» مع يفغيني يفسييف، قبل استشهاده باسبوع، (وهوحوار نشرت مجلة «الهدف» جزءاً رئيسياً منه، وألقى عليه المزيد

من الإضافات في ندوة عقدت في آذار ١٩٩٠ في دمشق)، لخّص يفسييف وجهة نظره في تقييم التجربة السوفياتية تجاه العلاقة بين الأممية والقومية، فذكر: «لقد رأى لينين والحزب الشيوعي لعموم روسيا، بعد نجاح ثورة اكتوبر الاشتراكية، أن نجاح التجربة السوفياتية، يقتضي صهر القومية الروسية في المجتمع الاشتراكي الجديد، في نفس الوقت الذي يقتضي فيه بعث وتطوير المزايا القومية الايجابية لدى القوميات السوفياتية الأخرى. وذلك لسببين: ١) التخوّف من النزعة القومية الروسية الاستعمارية التي كانت سائدة قبل انتصار الثورة، وطمأنة القوميات الأخرى. ٢) لكي يمثل الروس الحاضنة القوية لنجاح تجربة بناء المجتمع المتآخي الجديد، وعلى اعتبار أنهم القومية الأكثر عدداً وحضارة».

ويتابع يفسييف وجهة نظره بقوله: «إذا كان صهر القومية الروسية في المجتمع السوفياتي صحيحاً لإنجاح التجربة السوفياتية، فإنه أصبح ضرورياً إعادة الاعتبار لها، بعد تكريس التجربة، خلال سبعين سنة من تطبيقها، بل إنها، اليوم، أصبحت قضية نضالية يجب أن يخوضها الشعب الروسي، بعد الانفجار الحاد للمسألة القومية في ظل العهد الجديد الذي بدأ فعلياً في عام ١٩١٧».

ويضيف يفسييف، موضحاً العلاقة الجدلية بين القومية والأممية، فيقول: «أنا روسي.. وأصرّ على ذلك، على الرغم مما يشاع هنا وهناك أنها نزعة شوفينية، أو معاداة السامية، هذا غير صحيح. أنا روسي لأنني روسي، وروسيا بلد عظيم له تاريخ قديم، وحضارة عريقة؛ وحبي لوطني وشعبي لا يعني شوفينية. فالشوفينية ليست حب الوطن والقومية، بل هي كراهية الشعوب الأخرى والعداء لها.. ومن المفروض أن ذلك هو الأساس الذي قام عليه الاتحاد السوفياتي، كنظام

اشتراكي أممي. وبهذا المعنى ـ فأنا إلى جانب كوني روسياً ـ فأنا، أيضاً، سوفياتي بالمعنى الحقيقي والعلمي لهذه الكلمة». وهذا هو «الأساس» الذي جعل يفسييف يتّخذ، على حدّ قوله: «موقفاً واضحاً وصريحاً، بل ومقاتلاً في بعض الأحيان، من الصهيونية التي هي نزعة شوفينية واضحة منذ ولادتها، ليس ضد العرب والفلسطينيين، بل وضد كل الشعوب، وضد الروس أكثر من أي شيء آخر»[٧٢].

ويعتقد يفسييف أن رأيه في علاقة القومية بالأممية، «لا يشكّل خروجاً عن رؤية المسألة القومية من منظار الماركسية اللينينية»، بل التزاماً بها، ولا يشكل انتقاصاً لتجربة البناء السوفياتية، بل تماشياً معها. فالاعتزاز القومي نقيض التعصب القومي وهو في صلب التطبيق الحيوي المتآخي للمجتمع الاشتراكي متعدّد القوميات»[٧٣].

ويعتقد يفسييف أن التربة السوفياتية، والروسية تحديداً، لا تسمح بتشكيل أحزاب أو حزب صهيوني في الاتحاد السوفياتي. فهناك أفراد يهود صهاينة ينشطون، اليوم، في هذا الاتجاه «مستغلّين الجو الديمقراطي للتعبير عن أنفسهم سياسياً، ومجمل نشاطهم الآن موجّه ضد الروس. تصوّر أن الروس أصحاب البلد وأكبر قومية في الاتحاد السوفياتي، وليس لهم صوت، وليس بمقدورنا الدفاع عن تاريخنا الروسي، بينما اليهود تحت راية الصهيونية يعبرون عن مواقفهم.. وينسبون كل ما هو جيد لهم، بل يحاولون تدمير تاريخنا.. الحركة الصهيونية حركة فاشية وهي ضد الشعب الروسي، ولن نسمح لها بتشكيل أطر حزبية، وبصراحة أكثر أقول، حتى لو سمحت لها السلطات بذلك، سنتصدى لها وللسلطات معاً.. نحن شعب كبير وعريق.. وينتمي إلى قومية، اليهود أفراد يدينون باليهودية، هم حتى ليسوا قبيلة، نحن لا نمانع أن يعيشوا بيننا، بل نريد ذلك، لكننا نطلب منهم احترام تقاليدنا ونظمنا

وتاريخنا وسيادتنا، لن نسمح باستمرار التسلط اليهودي الصهيوني في بلادنا».

وهذا التسلط تستّر، سابقاً، واستغلّ «شعار الأممية البروليتارية»، لكن، «الآن، الوضع مختلف جداً في ظل الجو الديمقراطي الذي يحاولون استغلاله لمصلحتهم.. لقد نجحوا في أكثر من دولة اشتراكية»، من خلال قدرتهم على استغلال المناخ الديمقراطي، فهم، كما يرى، «نجحوا في تشيكوسلوفاكيا والمانيا والمجر ورومانيا، وهم يحاولون نفس المحاولة في بلادنا، ونحن لن نمكنّهم من ذلك. اهلاً بهم (اليهود) كمواطنين صالحين، أما كمتسلّطين، وكصهاينة، فالوضع مختلف! هل هذه شوفينية؟ لا أعتقد، بل إنها أبسط الحقوق القومية، وأبسط الواجبات المواطنية. وبالمناسبة، لقد أصدرت كتاب «فلسطين في شراك الصهيونية»، وفي الحقيقة تخيّلت، في لحظات كثيرة، أن فلسطين اسم مستعار لكتابي، لأن الصحيح، أيضاً، أن روسيا في شراك الصهيونية»[٧٤].

وبسبب أفكاره ومواقفه العلمية وروحه الكفاحية العالية، اتّهمته الصحافة الصهيونية في الغرب، والقوى اليهودية الصهيونية، والمتعاطفة معها في الاتحاد السوفياتي «بالشوفينية» الروسية. هذا، بينما يحظى يفسييف باحترام كبير لدى مختلف أوساط القوميات الأخرى في الاتحاد السوفياتي! والصهاينة حين يصفون نزعة الاعتزاز القومي الروسي بالشوفينية، فإنهم يقومون، في نفس الوقت، بتعزيز نزعات الانفصال القومية الأخرى عن الاتحاد السوفياتي، خاصة في لاتفيا وأستونيا وغيرهما؟!

ويتساءل يفسييف، في حواره مع أصدقائه العرب والفلسطينيين، «كيف أكون معادياً للسامية وأنا أحبكم كل هذا الحب؟! يبدو أن

الصهيونية تريد أن تحتكر سلالة «سام» لوحدها، أليست هذه سرقة للتاريخ؟»[٧٥].

أما شعار «روسيا النظيفة» الذي رفعه يفسييف، فإنه لا ينطلق من مفهوم عنصري، بل كان جواباً على ازدواجية ولاء اليهود الصهاينة في الاتحاد السوفياتي. والمقصود بهذا الشعار «الولاء الخالص للوطن الروسي، والتخلي عن ولاء اليهود الروس للصهيونية».

ويدحض يفسييف ما يردده الصهاينة من أساطير عن الدور الخاص لليهود في الثقافة العالمية وبعض الثقافات القومية، أو ما يسمونه «العبقرية اليهودية». فبالنسبة للكوسموبوليتية فإن الإنسانية تُعتبر مضموناً مجرداً، لا تمر عبر تجسيدات تاريخية قومية ثقافية محددة، والصهاينة يدّعون أن «ثمار الجهد الجبار للفكر الإنساني على مر العصور والشعوب» من إنجازات «العبقرية اليهودية». فهم يتجاهلون أن بعض الكتاب «اليهود»، في روسيا أو المانيا أو أي مكان آخر، هم «محل فخر الشعب الروسي والشعب الألماني والشعوب الأخرى، ليس بسبب نشاطهم أو انتمائهم الديني، ولكن لسبب مشاركتهم في الثقافة القومية والبناء الابداعي لتلك الشعوب..».

ويرى يفسييف أن مطلب الاعتراف الصهيوني بوضع «إسرائيل» «المركزي» بالنسبة لجميع اليهود في العالم، إنما يطرح قضية «الولاء المزدوج»، ويتعارض مع «الالتزامات الوطنية» بالنسبة لليهود في مختلف البلدان. ان الصهاينة يرون في الكاتب «الملتزم بقناعاته؛ أو الذي يتحدث عن أمجاد قوميته، وأبطالها الايجابيين..» بأنه أصبح «شوفينياً وعنصرياً ولا ساميا»![٧٦].

وهكذا، «إذا ما تحدثنا عن تاريخنا الروسي، وعن غوغول،

وبطرس الأكبر، ودوستويفسكي، فإننا في نظر الصهاينة لسنا، فقط، شوفينيين، بل ومعادين للسامية. . إنهم يبحثون عن البطل الايجابي في تاريخهم على ندرته، بينما أبطالنا الايجابيين، عنصريون، لا ساميين، قتلة، أو يستحقون القتل. هكذا، جرّموا دوستويفسكي لأنه تحدث عن البطل السلبي اليهودي، ونبشوا قبر ماياكوفسكي لأنه أنشد للثورة والجنود، وأدانوا مكسيم غوركي لأنه لم يتحدث عن جرائم ستالين بحق اليهود، وقتلوا يوري ايفانوف (صديق يفسييف) لأنه حذّر من الصهيونية؛ بينما يصبح يفتشنكو نجماً عالمياً لأنه مجّد اليهود الذين قتلهم النازيون في كييف، أما إيتماتوف، فيعتقد أنه يشق طريقه إلى جائزة نوبل عبر تل أبيب»[٧٧].

القضية الفلسطينية وعنصرية الصهيونية

لم يفهم يفسييف القضية الفلسطينية باعتبارها مجرد «دعم» لقضية عادلة، بل اعتبرها جزءاً من عملية الصراع الفكري والسياسي الشامل ضد الامبريالية والصهيونية وممارساتها العدوانية. وإذا كانت كتاباته، بحكم المتابعة والتخصص والاهتمام، قد أولت هذه القضية القسم الأكبر من كتاباته، فإنها ارتبطت، دوماً، بنشاطاته ومواقفه الصراعية الجريئة، وبشكل يومي، في الاتحاد السوفياتي.

وانحياز يفسييف للقضية الفلسطينية والقضايا العربية، نابع في «الأساس»، وكما يقول عن نفسه: «من ثقتي أن «إسرائيل» كيان غريب صنعته الدول الامبريالية، وليس لها أية صفة قانونية، وأن اليهود فيها. . تجمعوا من دول وجنسيات» مختلفة. .

وفي السنوات الأخيرة (عام ١٩٨٧) قام بإعلان موقف جديد يرفض فيه الاعتراف بالكيان الصهيوني، وينتقد الموقف السوفياتي

لاعترافه بقرار التقسيم في الأمم المتحدة عام ١٩٤٧، ويدعو إلى مراجعة السياسة الخارجية السوفياتية عامة، وتجاه الموقف من القضية الفلسطينية خاصة. وقد سبق أن عرضنا لموقفه في هذا الصدد.

وينطلق يفسييف في مواقفه من الأسس التالية:

١ ـ رفض القرار الدولي الآيل إلى تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧، وباعتباره تطبيقاً غير قانوني لمبدأ حق تقرير المصير، (هذا الموقف تبلور عام ١٩٨٧). ويخطّىء الاعتراف السوفياتي الرسمي بهذا القرار، مطالباً بتصحيح هذا الموقف.

٢ ـ فضح أيديولوجية وسياسات الصهيونية وأساليبها وممارساتها العنصرية العدوانية في الاتحاد السوفياتي وفلسطين والعالم.

٣ ـ قاوم كل المحاولات الرامية، حالياً، إلى إعادة العلاقات السوفياتية الديبلوماسية، مع الكيان الصهيوني. (شكل عام ١٩٨٨ اللجنة الاجتماعية السوفياتية المناهضة لإعادة العلاقات الديبلوماسية مع «إسرائيل»).

٤ ـ نقد التراخي العربي الرسمي في مواجهة الكيان الصهيوني، وانتقد المواقف الفلسطينية المتخاذلة التي تدعو إلى «الحوار»، وتقديم التنازلات والتخلي عن الكفاح المسلح لتحرير فلسطين.

أمّا «مستقبل القضية الفلسطينية»؟ فجواب يفسييف، حسب حديثه الأخير، «بسيط» للغاية إذ يقول: «أخذوا منكم كل شيء بالقوة، فلا تتوقّعوا منهم أن يعيدوا لكم شيئاً ـ مهما كان بسيطاً ـ إلّا بالقوة. ليس هناك أي طريق آخر، عدوكم لا يفهم إلّا لغة القوة. وبصراحة أنا مدهوش لمسألتين: الأولى، كيف نسي بعض الفلسطينيين هذه الحقيقة،

وأعلنوا عن استعدادهم للتخلّي عن القوة. والثانية، لماذا، فقط، بالحجارة؟ ألا ترى أن الرصاص أجدى؟ أنتم (٢٠٠) مليون عربي، لو كل واحد أطلق على «إسرائيل» رصاصة، ماذا يحصل؟ أعرف مشاكلكم، ومعاناتكم. وكذلك أنا لا أطالب بإلغاء وقتل «الإسرائيليين» عن بكرة أبيهم، أنا لست نازياً. لكن، بصراحة عندي رغبة ورجاء أن أراكم تحققون النصر. لكنني أكرّر رأيي: بدون سلاح، هذا ليس ممكناً»[٧٨].

وعلى صعيد كشف ومقاومة النشاط الصهيوني الحالي في الاتحاد السوفياتي، قامت «اللجنة الاجتماعية السوفياتية المناهضة لإعادة العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل»، التي أسّسها وترأسها يفسييف، بإصدار نشرة، جاء في عددها الأول في صيف ١٩٨٨، أن هذه النشرة تستهدف «إطلاع وتعريف» المواطن في الاتحاد السوفياتي بعمل اللجنة المذكورة، «وكشف نشاطات «أصدقاء إسرائيل» في الاتحاد السوفياتي، الذين يطالبون بتوسيع وتطوير العلاقات السياسية والثقافية مع نظام تل أبيب العنصري». . وهذا مما يعتبر مخالفاً «لمبدأ الأممية العمالية». كما أن «ايديولوجية وسياسة «إسرائيل» مدانة بشكل واسع ولا رجعة فيها». وذلك بموجب قرار الأمم المتحدة رقم ٣٣٧٩ الذي «يعتبر الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية والاضطهاد العنصري العرقي». وأعلنت النشرة عن رفضها لتصريح أ. زوتوف أحد المسؤولين في قسم العلاقات الدولية في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي، الذي كان قد صرح «أن الاتحاد السوفياتي لم يعتبر يوماً أن إسرائيل دولة عدوانية»! وكذلك أدانت النشرة تصريح النائب الأول لرئيس وكالة نوفوستي س. ايفان الذي أفاد بأن ما نشره زوتوف «صحيح. . وجاء في مكانه»، وحيث رأى فيه «خطوة أساسية من أجل تطبيع العلاقات مع تل أبيب».

كما صرح إيفان المذكور، بأنه «يعتبر عمل اللجنة الاجتماعية السوفياتية المناهضة لإقامة علاقات دبلوماسية مع «إسرائيل» محاولة ضغط على الحكومة السوفياتية!! هذه حقيقة، ولكن ألا يعتبر نشر مقالات «أصدقاء إسرائيل» في «أنباء موسكو» هو، أيضاً، ضغط على الحكومة أم لا؟»[٧٩].

والنشرة تعبّر عن النشاط الدعاوي، والتحركات الشعبية، والبيانات والمواقف المختلفة المعادية للنشاط الصهيوني، وفيما تسميه النشرة، تنشيط «الدبلوماسية الشعبية».

ويدافع يفسييف بشراسة عن قرار الأمم المتحدة ضد الصهيونية العنصرية، ويعتبره يوازي من حيث «الأهمية السياسية. . حكم محكمة نورمبرغ الدولية بالنسبة للنازية». فهذا القرار يتحدث «عن ممارسة سياسية ملموسة، ترتكز على ايديولوجية ملموسة»، وتنعكس في «تصرفات» النظام الصهيوني في فلسطين.

كما أن العالم يمكنه أن يكوّن فكرة عن جوهر الصهيونية الحقيقي، «لا من تصريحات وبيانات رؤساء المنظمات الصهيونية»، بل من خلال السياسة الصهيونية الفعلية، وخاصة تجاه السكان العرب في فلسطين. والأمثلة الكثيرة في هذا الصدد تبيّن بجلاء «أن الايديولوجية التي «تلهم» عساكر الجيش «الإسرائيلي» على اقتراف جريمة الإبادة الشاملة هي من طبيعة كارهة للبشر. لقد كان الصهاينة، على الدوام، ولا يزالون أخوة الفاشيين والعرقيين بالروح وأتباعهم وتلامذتهم». كما أن لهم نفس الايديولوجية الواحدة: ادعاء التفوق العرقي! فالصهيونية هي «أيديولوجية عرقية، وإن شتى الحكايات والخرافات عن تميّز اليهود لم تكن سوى اختلاق ديني ساذج، يحوّله ايديولوجيو الصهيونية، في الوقت الحاضر، إلى أساس لايديولوجية وسياسة إسرائيل العرقيتين

الكارهتين للبشر». إن كتاب الحاخام يهودا هاليفي «سفر حاكوزاري» (من القرون الوسطى) هو «المصادق» عليه ككتاب مدرسي للمدارس الثانوية «الإسرائيلية»، والذي يؤكد فيه أن «اليهود هم نخبة البشرية»، وأن «شعب «إسرائيل» شعب مختار بين الشعوب»، وأن «اللغة العبرية أفضل اللغات»، وأن «إسرائيل بالنسبة للأمم الأخرى مثل القلب بالنسبة لسائر أعضاء الجسم البشري». وهكذا «بمثل هذه «الدرر» يتبرقش الشعر والنثر والمنتوج السينمائي وأدب الأطفال، والبحوث التاريخية المزيفة، والصحافة اليومية والمطبوعات الدورية في إسرائيل».

ويذكّر يفسييف بكلمات غولدا مائير العنصرية الاستعمارية «لا وجود لشيء اسمه الفلسطينيون.. لا وجود لهم»، وبأقوال «الحاخام الأكبر» في الجيش الصهيوني، في كراس أصدرته وزارة الدفاع الصهيونية وجاء فيه «عندما تتماس عساكرنا بالسكان المدنيين في زمن الحرب أو أثناء غارة خاصة (لأنه لا يمكن لأحد أن يكون على ثقة بأن السكان لن يلحقوا الضرر بعساكرنا)، فإنه يجب على كل عسكري، بموجب أحكام هالاها (القانون الشفوي) أن يقتلهم».

ويذكّر يفسييف بحروب الصهاينة ضد الفلسطينيين والعرب، ومصادرتهم للأراضي وتنكيلهم واضطهادهم للسكان. كما يفضح سياسة التمييز العنصري ضد العرب الفلسطينيين داخل فلسطين، وحيث تبيّن أن العرب الذين يحملون قسراً الجنسية «الإسرائيلية» لا يعمل منهم في نظام الإدارة الصهيوني، وفي مختلف الإدارات الرسمية، «سوى ١,٠٪ عام ١٩٦٧ - ١٩٦٨، ٤٥,٠٪ عام ١٩٧١»!

ويستنتج يفسييف، من التطلعات الاستيطانية والعدوانية الصهيونية بأنها لا زالت «تأمل» في تحقيق فكرة «إسرائيل الكبرى»[٨٠].

مشاركة الولايات المتحدة في العدوان على لبنان

أعدّت الولايات المتحدة و«إسرائيل» جرائم الإبادة ضد العرب، حيث أكد المستشار الاميركي هيغ خلال زيارته «لاسرائيل» في نيسان ١٩٨١ أن «الهدف الاميركي يتلخص بدعم إسرائيل لتحقيق تفوقها على الدول العربية مجتمعة»!

وفي سياق محادثات شارون في واشنطن في أيار عام ١٩٨٢ «أُخبر سكرتير الإدارة الاميركية هيغ ووزير الدفاع واينبرغر أن «إسرائيل» تنوي اجتياح لبنان، فلم تبد الجهة الاميركية أية اعتراضات، وبالعكس فقد وافقت واشنطن على زيادة المساعدات العسكرية لـ «تل أبيب» وعجّلت في تنفيذ مذكرة التعاون الاستراتيجي». وبدعم كامل من الولايات المتحدة، بدأ الجيش الاسرائيلي هجومه الشامل على لبنان، حيث كتبت صحيفة «واشنطن بوست»: «بدل أن تسعى واشنطن لإخراج القوات الإسرائيلية من لبنان، فقد حاولت تأخير القرارات [قرارات الأمم المتحدة] لخلق الوضع الذي يخدم المصالح الاسرائيلية في لبنان، كما خرج الكسندر هيغ وغيره من زعماء الادارة الاميركية باستنتاج أن إنزال الضربة بالقوات السورية والفلسطينية يعطي إمكانية السيطرة على الخارطة السياسية في المنطقة».

أثناء استقباله لمناحيم بيغن في حزيران عام ١٩٨٢، أعلن الرئيس الاميركي ريغان أنه أخذ على عاتقه حماية الأعمال التي تقوم بها إسرائيل ودعا إلى «تعميم السلوك الاميركي الإسرائيلي».

في مقابلة صحفية مع مجلة «شتيرن» الالمانية، تكلم فيها وزير الحرب شارون عن موافقة واشنطن على الاجتياح «لقد ناقشت معهم ذلك في أيلول ١٩٨١، وبالتحديد بحثت هذه القضية مع وزير الدفاع

واينبرغ، وحذرتهم (أي الاميركيين) لا تتظاهروا بأنكم مذهولون عندما سننفذ ذلك»!

واعترف شارون أنه «ناقش موضوع الإبادة الجماعية في مخيمي صبرا وشاتيلا مع معاون السكرتير الخاص للإدارة الاميركية» (م. درايبر)، الذي تواجد أثناءها في بيروت «حيث أعطانا الضوء الأخضر».

وقام الجنرالات «الإسرائيليون»، وبالتنسيق مع ممثلين عن الجانب الاميركي، بوضع خطة احتلال المخيمات الفلسطينية في بيروت، وبالفعل نقلت طائرات النقل العسكرية «س ـ ١٣٠» أميركية الصنع، مجموعات القتلة المحترفين، التي نفذت مجازر صبرا وشاتيلا ضد السكان العزل.

وأثناء العدوان على لبنان أعلن الوزير «الإسرائيلي» م. تسيبوري بأنه «لم تتلق إسرائيل مساعدات بهذا الحجم من الولايات المتحدة، في السابق، كما هي اليوم».

من أصل (٥٦٧) طائرة مقاتلة كانت موجودة لدى سلاح الجو «الإسرائيلي» قبل الاجتياح، منها ٤٥٧ طائرة امريكية حصلت عليها كقروض أو إعانات من الولايات المتحدة. أما الثمانون طائرة «كفير» الإسرائيلية الصنع، فهي مزودة بمحركات أميركية. وقبل عدة أشهر من بدء العدوان، زادت الإدارة الاميركية من إرساليات الأسلحة إلى «تل أبيب»، وخاصة «ذات الطابع الهجومي». ففي الربع الأول من عام ١٩٨٢، بلغت قيمة الأسلحة المرسلة ٢١٧ مليون و٦٩٥ ألف دولار، وبعد الاجتياح بلغت نصف مليار دولار.

إن المساعدات الاقتصادية لإسرائيل عن طريق تقديم الأموال والقروض، هي «إحدى أشكال التحالف الاميركي ـ الإسرائيلي»، فمنذ عام ١٩٥١ وحتى ١٩٨٦ تلقت «إسرائيل من الولايات المتحدة ٣٠ مليار

دولار على شكل قروض وديون». وفي عام ١٩٨٤ (ومن أصل المساعدات الاميركية لدول العالم والبالغة ١١ مليار دولار) «حصلت إسرائيل على ربع المبلغ ٢,٦١ مليار دولار، منها ١,٧ مليار للاحتياجات العسكرية». وفي نفس العام أكد ريغان في كلمة ألقاها أمام ممثلي «النداء اليهودي الموحد» قائلاً: «في المستقبل العاجل ستقدم الولايات المتحدة مساعدات عسكرية لإسرائيل، ليس على شكل قروض، بل كهبات. لقد أعدنا النظر في برنامج مساعداتنا للدول الأخرى لعام ١٩٨٥. والآن سيكون بوسع إسرائيل تلقي مساعدات اقتصادية بقيمة ٨٥٠ مليون دولار، وكذلك معونات الأغراض العسكرية بقيمة ١,٤ مليار دولار. وهذا ما سيكون ضمانة كي تحافظ إسرائيل على تفوقها العسكري».

وحسب معطيات معهد دراسات الشرق الأوسط في واشنطن، فإن «المعونات الأمريكية لإسرائيل تشكل ٨٠٪ من مجمل المساعدات الخارجية لها». فالأرقام الرسمية لحجم المساعدات هي٣,٢ مليار، وإذا أضفنا المساعدات الصهيونية غير الرسمية، فالرقم يفوق ٥ مليار دولار.

أكد الكاتب الاجتماعي البريطاني غريث هالسيل «أن الكثير من الصهاينة المتطرفين الذين يقاتلون في الجيش الإسرائيلي ـ أميركيون ـ وأن ثلث المستوطنين في الضفة الغربية، على الأقل، عادوا منذ فترة قريبة من نيويورك والمدن الأميركية الأخرى. والجميع يحوزون على جوازات سفر أمريكية».

آلان غادي غودمان، هو أحد الإسرائيليين الذين يحملون جواز سفر أميركي كان قد غادر بلتيمور إلى إسرائيل، حيث أنهى الخدمة العسكرية، وبعدها دخل المسجد الأقصى وقتل رجلين وجرح آخرين. أما جيمس ميهون، فهو بروتستانتي أميركي تعرض للاعتقال أكثر من مرة في ١١ ولاية

بسبب اعتداءاته وجرائمه، ويعتبر سفاحاً في فيتنام، «ولأنه يحب القتل، حسب أقواله، اعتنق الدين اليهودي وأصبح إسرائيلياً كي يقاتل العرب»، وقد قُتل وهو يحمل بندقية (م ١٦)، وفي جيبه جواز سفر أميركي.

ويعيش الكثير من الأميركيين في إسرائيل ويشاركون في حروبها. لهذا، يشير يفسييف إلى أن التساؤلات التي تطرحها الصحافة العربية في مكانها «فهل كان الطيار الذي قصف المفاعل النووي العراقي أميركياً؟ كم من الأمريكيين قادوا طائرات «ف ـ ١٥»، «ف ـ ١٦» التي قصفت لبنان»؟

وعندما سئل المدير السابق لإدارة الهجرة والتطبيع في الدولة الصهيونية، ما إذا كان في دول أخرى أناس يحملون أزدواجية في الجنسية؟ أجاب: «لا، لا أعرف دولاً أخرى، لكن كما أذكر فإن العلاقات الأميركية ـ الإسرائيلية ذات طبيعة خاصة».

شكّل ممثلو العديد من الجمعيات الاجتماعية الأميركية «لجنة خاصة» لبحث مقومات المشاركة الأميركية في الحرب اللبنانية، وأعدت تقريراً قدمته إلى الكونغرس حول «استخدام إسرائيل الأسلحة الأميركية في لبنان». وتضمن التقرير شهادات عن الضحايا، وروايات شهود عيان للقاذفات الأميركية، وبراهين الأطباء، وحصيلة البحث في المناطق المدمرة. كما جلب أعضاء اللجنة نماذج من القنابل العنقودية والشظايا، كبراهين مادية على ما ذكر في التقرير.

وجاء في التقرير «لقد واجهتنا صعوبات أثناء بحثنا في لبنان، حيث نفّذ الإسرائيليون غارات جوية على بيروت الغربية، فاضطررنا للاختباء في الملاجىء، بالرغم من أننا تواجدنا في مناطق لا تخضع للأعمال

القتالية أو المناطق الخطرة. ولمدة ثلاثة أيام كنا بمثابة شهود على قصف بيروت/ ٤، ٦، ١٢ آب ١٩٨٢/ وهذا عنصر هام في تقريرنا، شاهدنا بأم أعيننا أهوال القصف وتدمير البنايات من حولنا.

في السادس من آب شاهدنا كيف تهدمت بناية سكنية قرب حديقة الصنايع، بجوار المستشفى الذي أخذنا منه المعلومات قبل نصف ساعة من بدء القصف، حيث شاهدنا آثار القنابل الفوسفورية والعنقودية على الجرحى هناك. ثم قمنا بزيارة المكان الذي تهدمت فيه البناية، والتي طمر تحت أنقاضها ١٥٠ شخصاً، هذا من جراء القنابل الفراغية. وسمعنا أنباء عن سقوط بناية أخرى قرب فندق «السمرلاند» من جراء استخدام هذا النوع من الأسلحة، وتحققنا أن ٨٠٪ من القتلى والجرحى هم من المدنيين وشاهدنا الغارة بتاريخ ١٢ آب حيث قصف الطيران، باستمرار، السكان المدنيين بالقنابل الأميركية الملقاة من طائرات (ف ـ ١٦) الأميركية الصنع أيضاً». وعندما تواجد أعضاء اللجنة في حرم الجامعة الأميركية ببيروت، كانت طائرة أميركية الصنع تقصف الكلية المجاورة، فجاء بالتقرير: «اختبأنا نحن الأميركيين من الشظايا التي كانت تطير باتجاهنا».

وكانت الطائرات الإسرائيلية توجه صواريخها الأميركية الصنع على مدخل البنايات لتصيب أكبر عدد من السكان المختبئين في الطوابق السفلى والملاجىء، يقول التقرير: «الجرحى من النساء والأطفال الذين شاهدناهم في المستشفيات أكّدوا هذه الحقيقة: إن الأسلحة الأميركية المحرمة دولياً والمستخدمة من قبل إسرائيل ضد المدنيين تتنافى حتى مع القانون الأميركي الذي ينصّ على مراقبة تصديرها وعدم استخدامها».

لقد استخدمت «إسرائيل» على نطاق واسع الأسلحة الأميركية التالية:

«القنابل العنقودية والمتشظيّة والفوسفورية والفراغية بأوزان بين ٥٠٠ ـ ٤٠٠٠ باوند، وقنابل ذات تأثير أفقي، وصواريخ خاصة بالأعماق لتدمير الملاجىء، والألعاب الملغومة التي ذهب معظم ضحاياها من الأطفال».

وقد أكد المراقبون العسكريون «أنه استُخدم نوعان جديدان من القنابل العنقودية في لبنان: نوع يعمل على بطارية عادية لمصباح جيب، وهي مزوّدة بخيط حرير تنفجر بمجرّد ملامسته. النوع الثاني من القنابل العنقودية مثلّث الشكل، وتُلقى من الصواريخ عن ارتفاع عدة أمتار، فينفجر قسم منها، ويتحول القسم الآخر إلى ألغام أرضية، ذات تأثير كبير، يفوق النوع الأول، حيث تنتشر شظاياها على مساحة كبيرة، وتصيب الإنسان بتشويهات لا مثيل لها في حال ملامسته لأحد نتوءات التفجير فيها»[٨١].

خاتمة

هذه بعض أبرز مفاهيم ومواقف يفغيني يفسييف شهيد المواجهة الساخنة ضد النشاط الصهيوني في الإتحاد السوفياتي، وقد خسر فيه الشعب الروسي والحركة الفكرية والثقافية والسياسية مفكراً وباحثاً وصحفياً وسياسياً اشتراكياً ثورياً، أدرك ومارس الترابط الجدلي بين القومية والأممية، كما خسرت فيه القضية الفلسطينية وأمتنا العربية صديقاً حقيقياً كافح بكل مبدئية وعناد ضد ما تمثله الصهيونية الطفيلية العفنة، وباعتبارها أداة الإمبريالية، وأحد أشكالها الأكثر عنصرية وعدوانية.

إن ما عرضناه من مفاهيم ومواقف يفسييف لا يستنفد الغنى الفكري والسياسي لهذا الكاتب. وهو يحمل، دون شك، بعض أوجه القصور. لكنها مبادرة لا بد منها، للاسهام في معركة الصراع الشامل الفكري والسياسي ضد الصهيونية في بلادنا والعالم، وهي أيضاً، لمسة وفاء وتقدير لهذا الكاتب الصديق.

إن ما يدور في الاتحاد السوفياتي من تغيّرات وصراعات، وبحكم الدور المؤثر له على أكثر من صعيد في العالم، يؤثر في أوروبا وبلادنا

وغيرها، وخاصة أن النشاط الصهيوني أخذ في التصاعد هناك، مستغلاً المناخ الديموقراطي الجديد، وبالتالي الظروف الصعبة الانتقالية التي يمر بها الاتحاد السوفياتي البلد الصديق. ويسعى هذا النشاط إلى تشجيع ورعاية الموجة الجديدة من هجرة اليهود السوفيات إلى فلسطين، وذلك من خلال التنسيق مع الولايات المتحدة الأمريكية ودعمها وتمويلها.

إن الحركة الصهيونية تسعى للاستفادة من المتغيرات والتعقيدات الدولية الراهنة، واستغلال الضعف الراهن للنظام الاشتراكي، وهي تصعّد من نشاطها في كل مكان، ومن أجل تطوير ودعم الكيان الاستيطاني الصهيوني، ورفده بموجات جديدة من الهجرة اليهودية.

تبقى ملاحظة أخيرة لا بد منها، خاصة في هذه الظروف، وهي أنه لا يمكننا ـ مهما كانت الصعوبات، أو التطورات معقدة وسلبية وفي غير صالحنا ـ أن ننسب أو نفسّر كل تخريب «وشر» في الاتحاد السوفياتي أو سواه، أو في بلادنا، «بالمؤامرة اليهودية»، أو نعزوه إلى الدور الصهيوني وحده. فهذه الطريقة، عدا كونها غير علمية ولا تفسّر عملية التأثير والتأثّر على أساس جدلي، ولا تحلل الأسباب الحقيقية للظواهر المختلفة، فهي، منهجياً، تعتمد على التفكير المثالي التآمري والبوليسي، فتختزل (سواء عن دوافع حسنة أو كسل أو عجز أو عن تحكّم نمط جامد من التفكير) تفسير التاريخ والأحداث إلى وجود مخطط قبلي سارت عليه الأحداث والتطورات. عدا ذلك، فإنها تضفي على الفكر الصهيوني (الرجعي التافه) والقوى الصهيونية العالمية قوة هيمنة «شيطانية» هائلة، تحرك كل شيء، وتتحكّم في مجرى الأحداث والتغيرات في العالم، وبعيداً عن التناقضات الفعلية والظروف وصراعات القوى الطبقية الاجتماعية والسياسية والقومية والدولية. وهذا مما يؤدي إلى تغييب دور الجماهير والنشاط الذاتي، وتفسير أي حدث

أو تغير سيء (سلبي) في أي مكان بأنه يعود إلى دور أو تأثير القوى الصهيونية، أو «الخطة» الصهيونية العالمية. وقد ذهب البعض ألى حد تفسير كل ما جرى في الاتحاد السوفياتي منذ عام ١٩١٧ وإلى اليوم، بأنه «مؤامرة يهودية» مدبرة اتخذت أشكالاً مختلفة؟! صحيح أن الصهيونية بحكم طفيليتها واستغلالها للظروف الصعبة، يبرز دورها أكثر إبان الأزمات والمنعطفات، تماماً كالبوم بين أنقاض الخرائب! كما أننا لا نقلل من الدور التخريبي التآمري والأساليب التجسسية للصهيونية العالمية والكيان الصهيوني وطابعهما العنصري الفاشي العدواني، وتهديدهما، بشكل خاص، لبلادنا وأمتنا العربية. لكن، ومن وجهة نظرنا، نعتقد أن الصهيونية لا تملك سوى فكر عفن مضى عليه الزمن، مستمداً من فكرة «الشعب المختار» العنصرية المأخوذة عن الدين اليهودي القبلي المتخلف المنغلق، والتي بعثتها إلى الحياة مجدداً في عصرنا الراهن، مصالح الامبريالية العالمية التي تريد إحكام السيطرة والهيمنة على الوطن العربي والعالم. فالامبريالية هي التي رعت ودعّمت إقامة الكيان الصهيوني الاستعماري الاستيطاني العدواني، ومدّته، ولا زالت، بكل وسائل الدعم السياسي والاقتصادي والعسكري، وذلك نظراً لأهمية موقع فلسطين وبلادنا في السياسات الاستراتيجية للامبريالية.

إن الحركة الصهيونية، قوة سياسية طفيلية ملحقة بالسياسات الامبريالية، التي تستخدمها لأكثر من سبب:

١ ـ إقامة الكيان الصهيوني (الدولة الحاجزة) لمنع الوحدة القومية التاريخية لبلادنا، والإبقاء على التخلّف.

٢ ـ ممارسة العدوان والتوسع ضد بلادنا، وضرب القوى والأنظمة المعادية للإمبريالية.

٣ ـ ممارسة التخريب الفكري والسياسي في كل البلدان، وخاصة تجاه الدول الاشتراكية، وحركات التحرر العالمي.

٤ ـ نشر الثقافة والقيم الاستهلاكية، وتشجيع النزعات العنصرية، والفكر الطائفي، والاتجاهات العدمية القومية، والتيارات الفوضوية، وتشويه تراث وثقافة الشعوب، لكي يسهل أحكام قبضة الهيمنة الإمبريالية.

إن الصهيونية بالنسبة لنا، هي شكل من أشكال الأيديولوجيا والممارسة الامبريالية، وقد نشأت كحركة سياسية عشية تحول الرأسمالية إلى إمبريالية عالمية لها مصالحها المتشابكة الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية على النطاق العالمي. وهي دوماً كحركة طفيلية، في خدمة أسيادها الامبرياليين. ومن هنا، فإن المواجهة مع الصهيونية لا يمكن أن تنفصل لحظة واحدة عن المواجهة ضد الامبريالية.

الهوامش

(١) فالنتين، تشيمودين، في ذكرى يفغيني يفسييف، وكالة نوفستي، ٢٧/٢/١٩٩٠.

(٢) يفغيني يفسييف، موسكو مع العرب وضد إسرائيل، جريدة «الوطن» الكويتية، ١٩/ ٥/ ١٩٨٨.

(٣) مجلة «روز اليوسف» المصرية، ٢٦/ ٢/ ١٩٩٠.

(*) البقع البيضاء، تعبير تستخدمه الصحافة السوفياتية، اليوم، للاشارة إلى القضايا والفترات التي كان محرّماً دراستها أو الحديث عنها.

(٤) مجلة «المنار»، أيار، ١٩٨٨، العدد (٤١).

(٥) جريدة «الثورة» السورية، ٢٩/ ٢/ ١٩٨٨.

(٦) حوار جهاد صالح، مجلة «الهدف»، ٢٥/ ٢/ ١٩٩٠، العدد (٩٩٦).

(٧) مجلة «المنار»، المصدر السابق.

(٨) يفغيني يفسييف، جريدة «الوطن»، المصدر السابق.

(٩) مجلة الهدف، المصدر السابق.

(١٠) مجلة الشراع، بيروت، ٥/ ٢/ ١٩٩٠.

(١١) مجلة «الشراع»، ١٢/ ٢/ ١٩٩٠.

(١٢) مجلة «الشراع»، ٥/ ٢/ ١٩٩٠.

(م: رغم الاستشهاد، هنا، ببعض ما أوردته مجلة «الشراع» من المعطيات والمعلومات، فإننا لا نوافق، البتّة، عما ورد فيها من آراء وتحليلات، واستنتاجات).

(١٣) جريدة «الثورة»، دمشق، ٣٠/ ٨/ ١٩٩٠.

(وراجع وكالة «نوفستي» في ٢٣/ ٨/ ١٩٩٠).

(١٤) وكالة «نوفستي»، ١٦/ ٨/ ١٩٨٩.

(١٥) مجلة «الشراع»، ٥/ ٢/ ١٩٩٠ .

(١٦) جريدة «النداء»، ٩/ ٣/ ١٩٩٠ .

(١٧) مجلة «الشراع» ، ١٩/ ٣/ ١٩٩٠ .

(١٨) مجلة «الشراع» ، ٢٦/ ٣/ ١٩٩٠ .

(١٩) مجلة «الكفاح العربي»، بيروت، ١٩/ ٣/ ١٩٩٠، عدد (٦٠٧) .

(٢٠) مجلة «المنار»، مصدر سابق .

(٢١) مجلة «الشراع»، ٢/٤/١٩٩٠ .

(٢٢) يفغيني يفسييف، جريدة «الوطن» الكويتية، مصدر سابق .

(٢٣) حوار مع يفسييف، جريدة «الثورة»، دمشق، ٢٩/ ٢/ ١٩٨٨ (مصدر سابق) .

(٢٤) مجموعة من المؤلفين السوفيات، الصهيونية العالمية (الأيديولوجيا والممارسة)، دار دمشق، ١٩٨٥، ص ٢٠١ .

(٢٥) مجلة «المجلة»، لندن، ٢٤/ ١٠/ ١٩٨٩، (عدد ٥٠٦) .

(٢٦) حديث مع ديمتري فاسيلييف ، جريدة «السفير» ، بيروت ، ١٧/١٠/ ١٩٨٧ .

(٢٧) جريدة «الحياة»، لندن ٥/٣/ ١٩٩٠ .

(٢٨) جريدة «البعث»، دمشق ١٥/ ٣/ ١٩٩٠ .

(٢٩) مجلة «الكفاح العربي»، مصدر سابق .

(٣٠) جريدة «الحياة»، ٥/ ٣/ ١٩٩٠ (مصدر سابق) .

(٣١) جريدة «الحياة»، ١٠/ ٤/١٩٩٠ .

(٣٢) مجلة «الكفاح العربي»، مصدر سابق .

(٣٣) جريدة «الحياة»، ٢٠/ ٤/ ١٩٩٠ .

(٣٤) يفغيني يفسييف، «فلسطين في شراك الصهيونية»، ترجمة مخلوف سليمان (عن الروسية) ـ كتاب ستنشره قريباً «اللجنة العربية لتكريم يفغيني يفسييف» .

(٣٥) المصدر السابق .

(٣٦) يفغيني يفسييف، الفاشية في ظل النجمة السداسية، مصدر سابق، ص

٥، ٦، ٩، ١٠، ١٨ .

(٣٧) مجموعة من الكتّاب السوفيات، الصهيونية نظرية وممارسة، (دراستا يفسييف: (١) الجوهر الرجعي لمفاهيم الصهيونية الفلسفية وعقائدها الجامدة، (٢) الديانة اليهودية والصهيونية)، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٤، ص ص ٢٠ ـ ٣٢ .

(٣٨) يفغيني يفسييف، الفاشية في ظل النجمة السداسية، مصدر سابق، ص ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢ .

(٣٩) روجيه جارودي، قضية إسرائيل والصهيونية السياسية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٤، ص ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤٢، ٤٣ .

(٤٠) مجموعة من الكتاب السوفيات، الصهيونية نظرية وممارسة، مصدر سابق، ص ١١، ١٢ .

(٤١) يفغيني يفسييف، الفاشية في ظل النجمة السداسية، مصدر سابق، ص ٢١، ٢٢ .

(٤٢) مجلة «المنار»، مصدر سابق، ص ٧٢ .

(٤٣) يفغيني يفسييف، الفاشية في ظل النجمة السداسية، مصدر سابق، ص ص ٢١ ـ ٤٠ .

(٤٤) هنري لوفيفر، كارل ماركس، دار بيروت، بيروت، ١٩٧٢، ص ٧١ ، ٧٢، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨ .

(٤٥) مجموعة من الكتاب السوفيات، الصهيونية نظرية وممارسة، مصدر سابق، ص ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦ .

(٤٦) يفغيني يفسييف، الفاشية في ظل النجمة السداسية، مصدر سابق، ص ٥٠، ٥١ .

(٤٧) مجموعة من الكتاب السوفيات، الصهيونية نظرية وممارسة، مصدرسابق، ص ٣٦، ٣٧ .

(انظر، أيضاً، الفاشية في ظل النجمة السداسية، ص ٥١).

(٤٨) المصدر السابق، ص ٣٧، (انظر، أيضاً، الفاشية. . ص ٥١).

(٤٩) المصدر السابق ص ٣٨ ـ ٤٩ .

(٥٠) يفغيني يفسييف، الفاشية في ظل النجمة السداسية، مصدر سابق، ص ٥٣.

(٥١) يفغيني يفسييف (ول. فوستوكوف)، الصهيونية في روسيا القيصرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٦، ص ١٤، ١٥، ١٦.

(٥٢) هنري لوفيفر، كارل ماركس، مصدر سابق، ص ١٦، ١٧، ١٩، ٢٠.

(٥٣) روجيه جارودي، قضية إسرائيل والصهيونية السياسية، مصدر سابق، ص ١٢، ١٣، ١٤.

(٥٤) يفغيني يفسييف، الفاشية في ظل النجمة السداسية، مصدر سابق، ص ١١.

(٥٥) روجيه جارودي، قضية إسرائيل والصهيونية السياسية، مصدر سابق، ص ١٥، ١٦، ١٨، ١٩.

(٥٦) يفغيني يفسييف، الفاشية في ظل النجمة السداسية، مصدر سابق، ص ١٢.

(٥٧) روجيه جارودي، قضية إسرائيل والصهيونية السياسية، مصدر سابق، ص ٢٨، ٢٧، ٢٩.

(٥٨) يفغيني يفسييف، فلسطين في شراك الصهيونية، مصدر سابق.

(٥٩) يفغيني يفسييف، الفاشية في ظل النجمة السداسية، مصدر سابق، ص ١٢١، ١٢٢.

(٦٠) مجموعة من كتاب البلدان الاشتراكية، الطغمة الصهيونية أغراضها وأساليبها القذرة (يفسييف: «مخططات الصهيونية الرقطاء»)، مطبعة الاتحاد، دمشق، (بدون تاريخ)، ص ٦ ـ ١٢.

(٦١) يفغيني يفسييف، الفاشية في ظل النجمة السداسية، مصدر سابق، ص ١٣٠، ١٣١، ١٣٢.

(٦٢) مجموعة من كتاب البلدان الاشتراكية، الطغمة الصهيونية أغراضها وأساليبها القذرة، (يفسييف: مخططات الصهيونية الرقطاء)، مصدر سابق، ص ١٨.

(٦٣) يفغيني يفسييف، الفاشية في ظل النجمة السداسية، مصدر سابق، ص ١٣٥، ١٢٨، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٥، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٦٢، ١٧٣، ١٧٤.

(٦٤) يفغيني يفسييف، فلسطين في شراك الصهيونية، مصدر سابق.

(٦٥) يفغيني يفسييف (ول. فوستوكوف)، الصهيونية في روسيا القيصرية، مصدر سابق، ص ١٥، ٦٧، ص ١٧، ١٨، ١٩، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨.

(٦٦) يفغيني يفسييف، الصهيونية والثورة المضادة ـ من تاريخ روسيا القيصرية، مجلة الكاتب الفلسطيني، دمشق، شتاء ١٩٩٠، (العدد ١٨)، ص ١١٢، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧.

(٦٧) يفغيني يفسييف (ول. فوستوكوف) الصهيونية في روسيا القيصرية، مصدر سابق، ص ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥١، ٥٢، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١.

(٦٨) يفغيني يفسييف، الصهيونة والثورة المضادة ـ من تاريخ روسيا القيصرية، مصدر سابق، ١٠٩، ١١١، ١١٢.

(٦٩) يفغيني يفسييف، ول. فوستوكوف، الصهيونية في روسيا القيصرية، مصدر سابق، ص ٧٠، ٧١، ٦٩.

(٧٠) يفغيني يفسييف، الصهيونية والثورة المضادة ـ من تاريخ روسيا القيصرية، مصدر سابق، ص ١١٢، ١١٣، ١١١ (انظر أيضاً يفسييف، الصهيونية في روسيا القيصرية، ص ٦٧).

(٧١) يفغيني يفسييف، (ول فوستوكوف)، الصهيونية في روسيا القيصرية، ص ٧٢.

(٧٢) جهاد صالح، نص «القومية والأممية عند يفسييف»، (ندوة عن يفسييف في آذار ١٩٩٠، دمشق).

(٧٣) مجلة «الهدف»، مصدر سابق.

(٧٤) مجلة «الهدف» ، مصدر سابق.

جهاد صالح، (نص) القومية والأممية عند يفسييف، مصدر سابق.

(٧٥) جهاد صالح، (نص) القومية والأممية عند يفسييف، مصدر سابق.
(٧٦) مجلة الهدف، مصدر سابق.
(٧٧) جهاد صالح، (نص) القومية والأممية عند يفسييف، مصدر سابق.
(٧٨) مجلة الهدف، مصدر سابق.
(٧٩) مجلة «فتح»، ١٠، ١٢، ١٩٨٨، دمشق، (عدد ١٧٤)، ص ٦٦، ٦٧.
(٨٠) مجموعة من الكتاب، الصهيونية: الحقيقة والاختلاقات، (يفغيني يفسييف: الأمم المتحدة ضد العرقيين الصهاينة)، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٠، ص ص ٢٩٤ ـ ٣٠٧.
(٨١) يفغيني يفسييف، فلسطين في شراك الصهيونية، مصدر سابق.

الفهرس

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

للمؤلف

عدا مئات الدراسات والمقالات في المجلات والصحف فإن أبرز مؤلفاته هي:

- الفاشية في ظل النجمة السداسية.
- الصهيونية في النظرية والتطبيق.
- التخريب الفكري الصهيوني.
- الصهيونية في روسيا القيصرية.
- الصهيونية في روسيا من الإصلاح العظيم ١٨٦١ وحتى البيروسترويكا.
- طبيعة وبناء ونشاط الصهيونية العالمية.
- صراع الأفكار في العالم المعاصر.
- التوسع الفكري والأيديولوجي للغرب.
- فلسطين في شراك الصهيونية.
- الفلسطينيون شعب لا يُقهر.
- الصهيونية والعرب.
- الجلّاد (كتاب وثائقي عن جرائم الصهيوني لازار كاغانوفيتش في الاتحاد السوفياتي).
- أعدّ المادة الوثائقية لثلاثة أفلام قصيرة في الاتحاد السوفياتي: أ ـ الصهيونية في محكمة التاريخ. ب ـ الفلسطينيون وحق الحياة. جـ ـ شارع الصهيونية.



في العاشر من شباط (فبراير) ١٩٩٠، امتدّت يد الغدر والارهاب الصهيونية إلى قلب موسكو، واغتالت أحد أبرز الكتاب والمستشرقين السوفيات المعادين لها: يفغيني يفسييف رئيس اللجنة الشعبية الاجتماعية السوفياتية المناهضة للصهيونية (٥٨ عاماً). فقد انتظرته سيارة «سوداء»، مطفأة الأنوار، أمام منزله، وإثر عبوره الشارع، انطلقت بسرعة ودهسته، ثم عادت وضربته مرة أخرى، ولاذت بالفرار.. ولم يتمّ إلقاء القبض على السيارة، ولا على من كان فيها حتى الآن.. وكانت آخر كلمات يفسييف: «قتلوني بسيارة سوداء»!.

كان يفسييف أوّل من أعلن موقفاً ضد اعتراف الاتحاد السوفياتي بالكيان الصهيوني عام ١٩٨٧.

وقد كتب يفسييف عدداً من المؤلفات تناولت كلها الخطر الصهيوني ونشاطاته التخريبية في روسيا والعالم وتضمنت هذه المؤلفات موقفاً واضحاً داعماً للقضايا العربية وفي طليعتها قضية فلسطين.

كما أعدّ المادة الوثائقية لثلاثة أفلام قصيرة في الاتحاد السوفياتي هي: «الصهيونية في محكمة التاريخ» و«الفلسطينيون وحق الحياة» و«شارع الصهيونية».